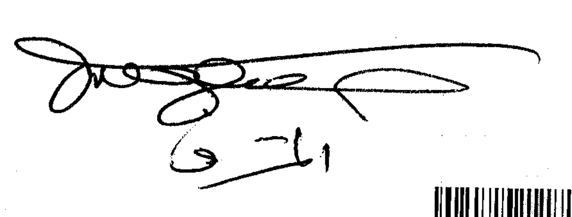
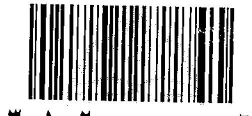
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا للتاريخ
والحضارة الإسلامية





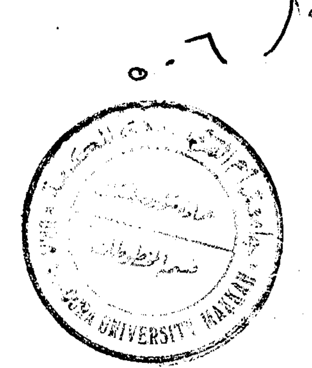
الموفق بالله طلحة بن المتوكل العباسي

٢٥٦هـ ٢٧٨هـ

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

مقدم من

الطالبة ابتسام أكرم مندورة



إشراف

الدكتور حسام الدين السامرائي

١٤٠٢ / ١٤٠٣هـ

مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات البحث

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
* محتويات البحث	أ - ب
* شكر وتقدير	١ - ٢
* المقدمة :	٣ - ١٦
- نطاق البحث وتحليل لأهم المصادر	٤
* التمهيد :	١٧ - ٢٣
- فترة فوضى الجند في أعقاب مقتل المتوكل ...	١٨
* الفصل الأول :	٢٤ - ٤٥
حياة الموفق بالله :	
١ - نسبه	٢٥
٢ - نشأته	٢٦
٣ - حنكته وشخصيته	٣٢
٤ - وفاته	٤٣
* الفصل الثاني :	٤٦ - ١٣٦
تطور الأوضاع وبروز دور الموفق :	
١ - توقف قادة الأتراك عن اثارة الاضطرابات وأسبابها	٤٧
٢ - الحركات المناوئة لسلطان الخلافة وموقف الموفق منها	٧٩
٣ - تولى الموفق قيادة الجيش العباسي (الفترة الأولى)	١٢١

الموضوع	الصفحة

٤ - وضع الخطط لتوفير المال والرجال لمجابهة الأخطار ١٣١

* الفصل الثالث : ... ... ١٣٧ - ١٦٣

سيطرة الموفق بالله على ادارة الدولة وتحكمه في الخليفة : ... ...

١ - اعادة تعيين الموفق قائدا للجيش العباسي . ١٣٩

٢ - تأزم علاقة الخلافة بالصفاريين ١٤٠

٣ - صمود جيش الخلافة بقيادة الموفق بالله في وجه الخطر المزدوج ، وانتصاره على الصفاريين وصده زحف الزنج ١٤٤

٤ - موقف الموفق من محاولة انتقال المعتمد على الله الى الشام ومصر ونتائج ذلك ١٥١

٥ - فشل الموفق في سياسته مع أحمد بن طولون ... ١٥٨

* الفصل الرابع : ... ... ١٦٤ - ٢٣٥

التصدى للزنج : ... ...

١ - مرحلة التمرد والتوسع (٢٥٦-٢٦٠هـ) ١٦٥

٢ - مرحلة التصدى وانهاء التمرد (٢٦١-٢٧٠هـ) ١٨١

* الخاتمة ... ... ٢٣٦ - ٢٤٧

- نتائج البحث ٢٣٧

* ملحق الخرائط ... ... ٢٤٨ - ٢٥٢

* قائمة المصادر والمراجع ... ... ٢٥٣ - ٢٧٦

شكر وتقدير

شكــــر وتقديــــر

الى كل من له حق علي .. وأمدني بعونه وارشاده فيما ينفعني فـــي دنياي وآخرتي أتقدم بخالص الشكر والتقدير العميق وأخص بذلـــــك الأستاذ المشرف على البحث **سيادة الدكتور حسام الدين السامرائي** ، على ما تفضل به من اشراف وتوجيه وارشاد وايضاح لمعالم الطريق التى أنارت لي السبيل في اعداد هذا البحث بسهولة ويسر ، والذي منحني قسطـــا من وقت راحته وأمدني بعدد من المصادر والمراجع الهامة. فكان فـــي ذلك مثال العالم المؤمن الذي يعطي لطلاب العلم برحابة صدر. فجزاه الله عني وعن طلبة العلم خير الجزاء .

وأسأل الله تعالى أن يعيننا لصالح الأعمال وأفضلها انه على مايشاء قدير. وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، فيما يعود بالنفع والخير على الأمة الاسلامية العظيمة ، والله من وراء القصد ،

الطالبة

ابتسام أكرم منـــــدوره

المقدمة

نطاق البحث وتحليل لأهم المصادر

نطاق البحث وتحليل لأهم المصادر

الحمد لله الذي علم الانسان مالم يعلم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم رسول هذه الامة ومعلمها وقائدها الى سبيل الرشاد .. وبعد :

ان الباحث في تاريخ الخلافة الاسلامية خلال العصر العباسي يجده حافلا بجوانب مضيئة مشرقة . وعلى الرغم من الامتحان العسير الذى مرت به الدولة في أعقاب مقتل الخليفة المتوكل على الله (١) وما أعقب ذلك من هيمنة الجند الأتراك على السلطة والفوضى التي احدثوها في مرافق الدولة المختلفة والتى استمرت لمدة تسع سنوات (٢٤٧-٢٥٦هـ / ٨٦١-٨٦٩ م) حيث أوشكت الخلافة العباسية على الانهيار ، فانها استعادت ثباتها وتمكنت من تأكيد مدى صلابتها ودرجة رسوخها مما انعكس عنه مدى ايمان الامة بشرعيتها وضرورتها ، كما تمكنت من المحافظة على كيانها وشق طريقها رغم كل الصعوبات التى جابهتها ، وذلك بفضل تماسكها وقوة العوامل المؤثرة في نشأتها ، وكذلك نتيجة لحسن ادارة وحزم الامير العبقرى والقائد الفذ أبو أحمد الموفق بالله ـ شقيق الخليفة المعتمد على الله وولى عهده ـ ولقد كان ماقام به الموفق بالله في تحسين أوضاع

---

(١) المتوكل على الله : هو جعفر بن محمد بن هارون بن المعتصم ، تولى الخلافة في ٢٤ شعبان سنة ٢٣٢ هـ . ابن قتيبة : المعارف ، ص ١٧٢ ، اليعقوبى : تاريخ جـ ٢/ ٤٨٤ ، المسعودى : مروج جـ ٤/ ٨٥ .

الدولة العباسية والجهود المضنية التى بذلها منذ عام (٢٥٦ - ٢٧٨ هـ/ ٨٦٩ - ٨٩٢ م) والتى أثمرت فى النهاية استعادة الخلافة لسلطاتها ومكانتها الطبيعية من حيث القوة والمهابة، دافعا رئيسيا لى في اختيار الموضوع اذ بعد أن عاشت الخلافة العباسية فترة فوضى مدمرة ، نتيجة لاستبداد الجنود الاتراك وقادتهم بالسلطة وتحكمهم فى تعيين الخليفة وعزله حسب أهوائهم ، انحطت الخلافة واتجهت مؤسساتها المختلفة الى الانحلال .

كانت سلطة الخلافة قد تراجعت بسبب انشغال قادة الاتراك فى التنافس على السلطة وكذلك نتيجة لحالة الصراع الحاد الذى نشب بين الفرق العسكرية المختلفة مما شجع أمراء الأطراف على الانفصال وخاصة الصفاريين فى المشرق ،والطولونيين فى مصر . كما شجع على قيام الثورات التى هددت الخلافة بالزوال . ولولا ظهور خطر الزنج متمثلا فى حركات التمرد العنيفة والمدمرة التى باشروها ، واحساس قادة الجند الاتراك بان الخطر الذى يتهدد الخلافة سيعصف بهم أيضا لانتهى أمر الخلافة العباسية الى التحلل والزوال . ولكن فى هذا الوقت العصيب يبرز الموفق الى الساحة ، ويتوقف الجند الاتراك عن التنافس على السلطة بل ويمتنعون ،بتأثير حزمه وحنكته ، من التدخل او محاولة التأثير فى سياسة الدولة ، وربما اعانه فى ذلك احساسهم بالخطر المشترك ، فى حين عمل الموفق على توحيدهم وتوجيه طاقاتهم لدرء الخطر واستعادة هيبة الخلافة واستقرار احوال الدولة . ولقد تمكن الامير القائد أبو أحمد الموفق بما أتاه الله من شجاعة وبطولة نادرة ومقدرة عسكرية فذة من أن يقضى على هذا التمرد الاسود ، كما تمكن من ايقاع الهزيمة بجموع الصفاريين التى

اقتربت من بغداد كثيرا بقيادة زعيمهم يعقوب بن الليث ،في نفس الوقت الذى عمل فيه على منع توسع الطولونيين فى الغرب . وهو بذلك قد أعاد للخلافة مجدها وسلطانها واعاد للدولة وحدة أكثر تماسكاً ووضوحاً .

والراجح هو أن أبا أحمد الموفق بالله لم يطمع فى ازاحة أخيه الخليفة المعتمد على الله عن الخلافة مع قدرته على ذلك ،وقوة شخصيته وعلو شأنه وعلى الرغم من ضعف شخصية اخيه الخليفة وانشغاله عن النظر فى أمور الامة بل وحتى بعد ثبوت انسياقه خلف تآمر الطولونيين ضد مصلحة الخلافة والدولة وقواتها فى أحلك الظروف . ذلك أن الموفق كما تؤكد المصادر كان يرغب رغبة صادقة فى انقاذ الأمة من محنتها ، والخلافة من الخطر الذى يتهددها ،ولذلك فقد فضل أن يتولى قيادة الجيوش وأن يشرف بنفسه على ادارة الدولة والتحكم فى ايراداتها ضمانا لتنسيق العمل وتعبئة الجيوش ونجاح خططه فى القضاء على الاخطار . وكان من حصيلة ذلك أن عمت البلاد السكينة والاستقرار وذاقت الامة بعض الرفاه والامن . فاستحق بذلك لقب المنصور الثانى الذى أطلقه عليه أهل عصره .

والغريب ، مانلاحظه من سكوت المصادر عن ايراد معلومات تتصل بالمرحلة المبكرة من حياة أبى أحمد ونشأته ونضوج شخصيته ،اذ هى لا تقدم الا القليل عن جوانب شخصيته وحياته الاجتماعية فى حين انها تقدم معلومات دقيقة ومفصلة عن المرحلة التالية لتوليه قيادة الجيش العباسى ، وبشكل خاص خلال مرحلة الجهاد التى باشرها ضد الاخطار التى جابهت الخلافة حتى انها لم تهمل ايراد ادق التفاصيل عن ذلك فى بعض الاحيان .

ويتألف هذا البحث من مقدمةوتمهيد ، وأربعة فصول ، وخاتمة .
وقد تضمنت المقدمة لمحةموجزة عن أهمية الموضوع والدوافع التى دفعت الى اختياره ، بالاضافة الى التعريف بأهم المصادر التى اعتمد عليها البحث . أما التمهيد فقد أفرد للحديث عن فترة فوضى الجند التى أعقبت اغتيال الخليفة المتوكل على الله ، وما آلت اليه حال الخلافة نتيجة تسلط قادة الجند الاتراك واستبدادهم وتنافسهم .

اختص الفصل الاول بتقديم ترجمة مفصلة عن الموفق بالله ،اذ تعرض للحديث فى نسبه ،ونشأته وملامح شخصيته ،وأسلوبه فى العمل ،وبروزه كقائد عسكرى من طراز فريد .

أما الفصل الثانى : فقد كان دراسة عامة لتطورات اوضاع الخلافة ومدى اسهام الموفق فى سير الاحداث التى جابهتها ،والفصل يتألف من أربعة اقسام ،ركز القسم الاول منه على أسباب توقف قادة الجند الاتراك عن اثارة الاضطرابات فى عاصمة الخلافة العباسية ،بغداد ،فى حين اهتم القسم الثانى بدراسة أساليب الموفق فى مجابهة الحركات المناوئة لسلطان البيت العباسى . وكان لابد من توجيه الاهتمام فى هذا الاطار الى مرحلة استلام الموفق للقيادة الجيش العباسى لاول مرة ، وكان ذلك ماتضمنه القسم الثالث من الفصل . أما اعتزال الموفق لقيادة الجيش وتصميمه على وضع الخطط السليمة للتصدى للزنج ، ومن أجل توفير الأموال والرجال لمجابهة الاخطار التى تهدد الدولة ، فهو ما أفرد له القسم الاخير من هذا الفصل .

أما الفصل الثالث ، فقد خصص للحديث عن مرحلة احكام الموفق بالله لسيطرته على مرافق الدولة الادارية والمالية والعسكرية وتحكمه في الخليفة . وقد قسم هذا الفصل الى خمسة أقسام تيسيرا للبحث ، تناول القسم الأول منها تولية الموفق قيادة الجيش العباسي للمرة الثانية ، أما القسم الثاني فقد استعرض مسألة تأزم علاقة الخلافة بالصفاريين ، في حين خصص القسم الثالث للحديث عن صمود جيش الخلافة بقيادة الموفق بالله بوجه الخطر المزدوج وانتصاره على الصفاريين وصده زحف الزنج . أما القسم الرابع فقد أفرد للبحث في موقف الموفق من محاولة انتقال الخليفة المعتمد على الله الى بلاد الشام ونتائج ذلك . وفي القسم الاخير تعرض البحث لدراسة عوامل فشل الموفق في سياسته مع ابن طولون .

وقد افرد الفصل الرابع لتتبع حركة الزنج ابتداء من تاريخ تمردهم ومرورا بمراحل توسعهم وطغيانهم والتصدي لهم ، حتى نهاية حركتهم ومقتل صاحبهم ، وقد شمل ذلك الحديث عن اصولهم والمناطق التي جاءوا منها قبل استقرارهم في السواد ، ونسب صاحبهم واسباب تذمرهم وآمالهم وتطلعاتهم ، وطبيعة دعوتهم ودعاياتهم وتطبيقاتها وما نجم عنهما من اخطار . ثم بروز دور الموفق بالله لمواجهتهم ، وجهاده الطويل المستمر وعمله الدائب من أجل تحطيم آخر فلولهم .

واخيرا فقد تضمن البحث خاتمة جرى فيها استعراض اهم النتائج التي امكن التوصل اليها من خلال هذه الدراسة .

ان المصادر والمراجع التي بني البحث عليها كانت كثيرة ومتنوعة امكن بواسطتها بحمد الله ، تغطية جوانب البحث الى حد بعيد ، غير أن

البعض منها كانت له أهمية خاصة ولذلك فلابد من الاشارة اليها فى هذا المجال ،وتوضيح مدى افادة البحث منها .

ان اول وأهم المصادر التى أفاد البحث كثيرا كتاب " تاريخ الأمم والملوك " لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤-٣١٠ هـ) والذى كان معاصرا للاحداث وعلى تماس مباشر بها اذ كان يسكن الكرخ من بغداد ،ويوصف المؤلف بانه كان امام عصره وفقيه زمانه ،حافظا لكتاب الله بصيرا بمعانيه فقيها فى الاحكام عارفا بايام الناس واخبارهم (١) . وقد سار الطبرى فى مؤلفه على نهج الحوليات فبدأ أحداثه منذ بدء الخليقة حتى سنة ٣٠٢ هـ/ ٩١٤ م فى خلافة المقتدر بالله العباسى . ويعتبر كتابه هذا من أهم المصادر حيث جرى الاعتماد عليه كثيرا فى جميع ثنايا البحث اذ أن المؤلف مع دقته وضبطه كان شاهد عيان للاحداث التى دار البحث حولها ، وهو يسهب فى تقديم وسرد المعلومات الوافية عن هذه الفترة سواء منها مايتصل بجهود الخلفاء وتضحياتهم فى سبيل استرجاع سلطانهم من قادة الجند الاتراك ، أو مايتصل بثورة الزنج . والحق ، فان الامام الطبرى قد استعرض باسهاب " ثورة " الزنج منذ ظهور صاحبها حتى مقتله على يد الموفق وقدم تفصيلات غاية فى الدقة والوضوح ، فتحدث عن التنظيمات العسكرية والادارية للدولة العباسية فى تلك المرحلة ، والامكانيات المتاحة لكلا الطرفين ، والسياسة التى اتبعها أبو أحمد الموفق فى القضاء على الزنج ، كما قدم تفصيلات عن اخبار المعارك التى دارت بين الجيش

---

(١) لمعلومات أوفى انظر ابن النديم : الفهرست ص/ ٣٢٦ ، ياقوت: معجم الادباء جـ ١٨ / ٤١ ومابعدها ، ابن كثير : البداية جـ ١١/ ٤٥ ،فؤاد سوزكين : تاريخ التراث العربى جـ١/ ٥١٩ .

العباسي وصاحب الزنج حتى انه ليتابع ذلك يوميا اذا اقتضى الامر. ومما يزيد من قيمة هذه المعلومات أن الطبرى نقل بعضها من أشخاص عايشوا صاحب الزنج لفترة طويلة قبل أن يؤمنهم الموفق عندما طلبوا منه ذلك(١). بالاضافة الى ماينقله من أخبار نقلا عن اشخاص اسهموا فى حركات الجيش العباسى ومعاركه. وبذلك يكون قد قدم لنا صورة واقعية عن حقيقة الأوضاع فى تلك الفترة، وكذلك قد أثرى البحث بمعلومات لا يمكن للبحث أن يستقيم دونها وهى غاية فى الاهمية فى فصول البحث المختلفة.

ويعتبر كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" لابى الحسن علي بن الحسين المسعودى(٢) (ت ٣٤٥هـ/٩٥٦م) من المصادر المهمة التى انتفع بها البحث بما حواه من معلومات قيمة فقد استعرض المسعودى فى كتابه الذى سار فى تأليفه على نظام الموضوعات اوضاع الخلافة خلال الفترة موضوع البحث، فقدم مجمل اخبار كل خليفة وسيرته والطريقة التى أودت بحياته كما لم يهمل الحديث عن الحركات المناوئة لسلطان الخلافة وخاصة تلك التى قامت فى المشرق، فدون لنا اخبار يعقوب بن الليث الصفار ومدى أطماعه والتى أدت الى تأزم علاقته بالخلافة. هذا بالاضافة الى أنه أبرز حقيقة دعوة صاحب الزنج ومدى حقده على العرب المسلمين وخاصة الهاشميين.

---

(١) كان منهم محمد بن سمعان كاتب صاحب الزنج ووزيره. فكان الطبرى عندما ينقل خبرا يقول: حدثنى مما يدل على انه كان ينقل حرفيها عنهم. انظر الطبرى: تاريخ جـ٩/٤٨٤.

(٢) وهو اخبارى علامة طاف بكثير من البلدان ولذلك اصبحت لديه ثقافة متنوعة فاحتوت كتبه على معلومات مهمة من مصادر مفقودة لا نجدها الاعند المسعودى. انظر الذهبى: دول جـ١/١٦٧، ابن العماد: شذرات جـ٢/٣٧١، فؤاد سوزكين: تاريخ التراث جـ١/٥٣٤.

أما كتابه الثانى " التنبيه والاشراف" فلا يقل فى الاهمية عن كتابـــه الاول فقد شرح فيه المسعودى اخبار الخليفة المعتمد على الله وتشاغله ،وأهم أعمال أبو أحمد الموفق مما استحق من أجلها أن يلقب بالناصر لدين الله . وعلـى الرغم من الاتهامات الموجهة للمسعودى والخاصة بوجهته وميوله وموقفـــه من العباسيين فان قربه من عصر الاحداث واعتماده مصادر موثقة يعزز كثـيرا من قيمة المعلومات التى اوردها ، وقد افاد البحث منها كثيرا فى اطـــار التعريف بالحركات المناوئة للعباسيين فى المشرق وكذلك فى الفصل الرابـع حين أفرد البحث لاستعراض حركة الزنج بشىء من التفصيل .

وقد استفاد البحث أيضا من المعلومات التى وردت فى مؤلفـــات القاضى أبى على المحسن بن على التنوخى (١) (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م)" الفرج بعد الشدة " و " جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة" فقد ضم هذين الكتابين بين دفتيهما اخبارا لها اهميتها فى الكشف عـن جوانب محددة من شخصية الموفق بالله وصفاته . وحينما يتناول المؤلـف هذه الجوانب فانه يعرضها بطريقة خاصة فهو يكثر من ضرب الامثلة ، فتأتـي معلوماته فى اطار عرض شيق وبأسلوب سهل يصور من خلاله **الحياة الاجتماعية والادارية** والاقتصادية . وقد أفاد البحث من مؤلفات القاضى التنوخى فـى

---

(١) كان التنوخى اديبا شاعرا اخباريا ،وكان متحفظا فى الشهادة محتاطا صدوقا فى الحديث . ولد فى البصرة سنة ٣٢٦ هـ وتقلد القضاء فـى نواحى عدة منها الانبار واعمالها .انظر الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ١٢/١١٥ ، ابن خلكان : وفيات جـ٤/١٥٩-١٦٠ .

الفصل الأول حيث يقدم المؤلف معلومات طيبة عن الموفق بالله ومواقف من حياته، وكذلك عند الكلام عن أوضاع الخلافة خلال الفترة موضوعة البحث.

كما استفاد البحث من مخطوطة "التذكرة الحمدونية في السياسة والآداب الملكية" لابن حمدون (١) (ت ٥٦٢ هـ/١١٦٦م) والتي تعتبر في رأى المؤرخين من أحسن المجاميع التي لم يجمع أحد من المتأخرين مثله، وبالرغم من انه لم يفصل كثيرا فى تناول الاحداث الا انه قدم لنا معلومات هامة أفادت البحث وخاصة فى اطار التعرف بطبيعة الصراع الذى كان يجرى بين الفرق العسكرية المختلفة من أجل الهيمنة على السلطة فى الخلافة العباسية خلال الفترة موضوع البحث. وكذلك حينما تحدث عن نشأة بعض الحركات المناوئة للبيت العباسى والتى اهتم البحث بدراستها مثل تعيين أحمد بن طولون خليفة لبايكباك فى مصر فكان ذلك مبدأ قوته واستقلاله بها، كما تتبع بداية ظهور صاحب الزنج وطبيعةعمله ثم تطلعه الى السلطة واستخدامه جموع الزنج لتحقيق أطماعه الذاتية.

ويعتبر كتاب "المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم" لابن الجوزى (٢) (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٦م) من المصادر المهمة التى اعتمد عليها البحث.

---

(١) هو ابوالمعالى محمد بن ابى سعد الحسن بن محمد بن على بن حمدون. ولد سنة ٤٩٥ هـ كان فاضلا ذا معرفة تامة بالادب والكتابة من بيت مشهور بالرياسة والفضل. انظر ابن خلكان : وفيات جـ٤/ ٣٨٠-٣٨٢ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٥/ ٣٧٤-٣٧٥.

(٢) ابن الجوزى : هو ابوالفرج عبدالرحمن على بن محمد الجوزى القرشى كان من اعلام القرن السادس الهجرى. وهو من الثقات العدول، اشتهر بفصاحته وبلاغته، له مصنفات فى علوم كثيرة يضيق عنها الحصر. توفى فى سنة ٥٩٧ هـ، انظر ابن كثير : البداية جـ١٣/ ٢٨، ابن تغرى بردى : النجوم جـ٦/ص ١٧٤-١٧٥.

وابن الجوزى قد سار فى تأليف كتابه هذا على طريقة الحوليات . وقد كان اعتماد البحث بشكل خاص على المعلومات التى قدمها المؤلف فى الجزء الخامس الذى يبدأ من عام ٢٥٨ هـ/ ٨٧١ م حيث أنه أسهم فى تغطية جوانب متعددة من البحث وخاصة عند تناول سياسة الموفق وخططه فى القضاء على الحركات المناوئة لسلطان الدولة العباسية .

ومن المصادر المهمة التى أفاد البحث منها كتاب " الكامل فى التاريخ " لابن الاثير (١) (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٤ م) والذى اتبع فيه المؤلف السير على طريقة الطبرى فى الكتابة على نظام الحوليات فبدأ من اول الزمان واستمر فى تدوين التاريخ الى آخر سنة ٦٢٨ هـ . وبالرغم من ان ابن الاثير قد نقل معلوماته عمن سبقه من المؤرخين ، ومن الطبرى بشكل خاص حيث لخص المعلومات التى وردت عنده ، فانه يضيف على تلك الروايات التى نقلها احيانا من مصادر متنوعة اخرى . كما انه يقوم بتعليل ونقد لهذه الاخبار ومن هنا تظهر اهمية الكتاب . وقد أفاد منه البحث فى توثيق المعلومات التى اعتمدت من المصادر المبكرة ، وكذلك من الاضافات التى ترد على قلتها والتى اسهمت فى اكمال جوانب الصورة فى بعض الاحيان ، وخصوصا فى ما يتصل بالحديث عن الزنج وهو ما اختص به الفصل الرابع من البحث .

---

(١) ابن الاثير : هو عز الدين أبوالحسن بن على بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى الجزرى . ولد بالجزيرة ونشأ بها . كان اماما فى الحفظ للحديث ومعرفته ، حافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة ، خبيرا بانساب العرب واخبارهم وايامهم ووقائعهم . انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ٣ /٣٤٨-٣٥٠ ، ابن كثير : البداية جـ١٣ /١٣٩ .

ومن كتب التراجم التى أفاد البحث منها كثيرا كتاب " وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان " لابن خلكان (١) (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) فقد قدم المؤلف معلومات لها أهميتها عن كثير من الشخصيات التى وردت فى ثنايا البحث. وقد ساعدت هذه المعلومات البحث فى تقديم التراجم عن تلك الشخصيات .

بالاضافة الى هذه المصادر الرئيسية هناك عدد من المراجع استفاد منها البحث ويأتى على رأس هذه المراجع كتاب " دراسات فى العصور العباسية المتأخرة " (٢) للاستاذ الدكتور عبد العزيز الدورى . وهو من الكتب الموثقة والجادة التى غطت جوانب كثيرة من البحث وخاصة بما يتصل بثورة الزنج حيث تعرض بايجاز لها سواء فى مرحلة التمرد والتوسع او مرحلة التصدى . وهذا الكتاب يعد بحق من الكتب القيمة بما حواه من معلومات مهمة استقى بعضها من مخطوطات او نوادر المطبوعات التى لم يتوفر الوصول اليها وهو يعتبر بحق مرجعا أساسيا لكل من تطرق لبحث موضوع الخلافة العباسية فى عصورها المتأخرة .

---

(١) ابن خلكان : هو شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبى بكر البرمكى الاربلى الشافعى . ولد باربيل سنة ٦٠٨ هـ وتفقه على يد كبار علماء الموصل . كان عالما فقيها حسن الفتاوى بصيرا بالعربية علامة فى الادب والشعر وايام الناس . انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٧/ ٣٥٣-٣٥٤ ، ابن العماد : شذرات جـ٥/ ٣٧١ .

(٢) عبد العزيز عبد الكريم الدورى - دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ، مطبعة السريان . بغداد ١٩٤٥م .

أما كتاب " المؤسسات الادارية في الدولة العباسية "(١) للأستاذ الدكتور حسام الدين السامرائى فقد أفاد البحث كثيرا وخاصة بما يتصل بمرحلة الفوضى التى مرت بها الخلافة العباسية ثم انتقالها الى مرحلة الاستقرار والهدوء موضحا جهود الموفق التى بذلها فى سبيل احداث هذه النقلة العظيمة فى اوضاع الخلافة العباسية .

كما استفاد البحث من كتاب " العالم الاسلامي في العصر العباسي "(٢) تأليف د . حسن أحمد محمود ، واحمد ابراهيم الشريف ،بما احتواه من دراسة شاملة لاوضاع الخلافة العباسية فى تلك الفترة وفى تحليل الاسباب التى أدت الى اشتداد ورسوخ حالة التجزئة فى الدولة الاسلامية .وبجانب ذلك فقد افاد البحث من عدد كبير من المصادر والمراجع وقد تم الحاقها فى آخر البحث فى ثبت تفصيلى .

ولقد كلفنى جمع هذه المصادر والمراجع الكثير من الجهد والوقت ،اذ أن مكتبة قسم الطالبات فى الجامعة تفتقر الى الكثير من المصادر والمراجع ويزداد الامر خطورة حين نفكر بالمخطوطات فهى الاخرى مفقودة ،وانه لمن المؤمل فى عمادة شئون المكتبات فى الجامعة ان تولى هذه المسألة جميل عنايتها ورعايتها فيما يحقق الخير للجميع ويزيل عقبة كأداء تقف بصلابة أمام الباحثات وتحول بينهن وبين البحث والتقصى العلمى الرصين .

والله يهدى الى سواء السبيل .

ابتسام اكرم مندوره

---

(١) حسام الدين السامرائى _ المؤسسات الادارية فى الدولة العباسية ، ٢٤٧ _ ٣٢١ هـ " الطبعة الاولى _ مطبعة دار الفتح _ دمشق ١٩٧٢ "

(٢) حسن احمد محمود _ احمد ابراهيم الشريف _ العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، الطبعة الثانية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٣م

التمهيد

فترة فوضى الجند في أعقاب مقتل المتوكل

فترة فوضى الجند في أعقاب مقتل المتوكـــل :
(٢٤٧-٢٥٦ هـ/ ٨٦١-٨٩٦ م)

نقم الاتراك على الخليفة المتوكل على الله لمحاولاته المتكـــررة التي كانت تهدف الى تقليص نفوذهم فاجتمعوا عليه وقتلوه في سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م(١) . وقد واجهت الدولة في أعقاب مقتل المتوكل على الله فتـــرة عصيبة كانت جحيما من الفوضى والاضطرابات الشديدة ، اقترف خلالهـــا الاتراك شتى أنواع الفظائع واستصغروا الخلفاء(٢) وأخذوا يتحكمون فـــي تعيينهم أو خلعهم فكان الخليفة منذ ذلك الوقت كالاسير في ايديهـــم ان شاءوا أبقوه ، وان شاءوا خلعوه ، وان شاءوا قتلوه (٣) . استمر هذا الوضع لمدة تسع سنوات (٢٤٧ - ٢٥٦ هـ/ ٨٦١-٨٦٩م) حكم خلالها اربعـــة خلفاء هم المنتصر والمستعين والمعتز والمهتدى .

وبالرغم من ان المنتصر قد جاء الى الحكم بموجب عهد سابق من والده ، فقد تسلط قادة الاتراك في عهده (٤) والح زعمائهم - وصيف وبغا واوتامش(٥) - على ضرورة خلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد (٦) ، وكان المتوكـــل

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩ /ص ص ٢٢٦-٢٢٧ .
(٢) الدوري : دراسات ص/٩ ٥ .
(٣) ابن الطقطقى : الفخرى ص/٢٤٣ .
(٤) السامرائى : المؤسسات ص/٤ ١ .
(٥) انظر اليعقوبى : تاريخ جـ٢ / ٤٩٣ .
(٦) اذ خشى الاتراك ان يتوفى المنتصر فيخلفه احدهما فيستأصلهم ثـأرا لابيه . انظر الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٢٤٤ .

على الله قد عقد لهما البيعة بعد المنتصر ، فلم يجد الخليفة بداً من الاستجابة لرغبتهم واجبر اخويه على التنازل بحجة صغر سنهما يوم التولية(١).

ولم تطل مدة حكم المنتصر اكثر من ستة أشهر اذ يبدو أنه سأم من تسلط قادة الاتراك وانفرادهم بتدبير الامور دونه ، فأخذ يعلن تبرمه وسخطه ويهددهم بالقتل (٢) . مما اثار حفيظة قادة الجند الاتراك الذين خافوه وبدأو يدبرون لقتله . فلما مرض رشوا طبيبه طيفور ففصده بريشة مسمومة (٣) ، فتوفى في الخامس من ربيع الاخر سنة ٢٤٨ هـ/٨٦٢م ، دون أن يعهد لأحد بالخلافة . مما ترك المجال مفتوحاً امام قادة الجند الاتراك للتدخل في اختيار المرشح الجديد لمنصب الخلافة(٤) . وقد اجتمع زعمائهم " واستحلفوا قواد الاتراك والمغاربة والاشروسنية على ان يرضوا بمن يرضى به بغا الصغير وبغا الكبير واوتامش ، وذلك بتدبير احمد بن الخصيب (٥) فحلف القوم "(٦) . وقد قرر هؤلاء استبعاد اولاد المتوكل عن الترشيح لئلا ينتقم منهم ، ووقع اختيارهم اخيرا على احمد بن محمد المعتصم الذى لقبوه بالمستعين بالله (٧) .

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩/٢٤٦ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ٩/٢٥٢ ، المسعودى : مروج جـ٤/١٣٤ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ٩/٢٥٣ ، المسعودى : التنبيه ص/٣٦٣ ، الذهبى دول جـ١/١٥٠ .
(٤) السامرائى : المؤسسات ص/٦٧ .
(٥) احمد بن الخصيب : هو وزير المنتصر بالله وقد أقره المستعين على وزارته لمدة شهرين ثم عزله . وكان ابن الخصيب هذا متصفا بالحدة والطيش . انظر ابن الطقطقى : الفخرى صص/٢٣٩-٢٤٢ .
(٦) الطبرى : تاريخ جـ٩/٢٥٦ ، نقل الخبر عنه ابن مسكويه جـ : تجارب جـ٦/٥٦٣ .
(٧) الخطيب البغدادى : تاريخ جـ٥/٨٤ ، ابن العبرى : مختصر ص ١٣١ .

لم تعرف العاصمة سر من رأى الاستقرار في عهد المستعين وذلك بسبب ضعف شخصيته أمام الاتراك (١) فقد ترك لامه ولأوتامش الذى اتخذه وزيرا ولشاهك الخادم حق التصرف في بيوت الاموال فكانت معظم الاموال تنتقل الى هؤلاء دون غيرهم من القادة الاتراك (٢) . وقد تذمر بقية قادة الجند وأخذ وصيف وبغا يدبران مع من معهما من الأتراك لقتل الوزير اوتامش بغية التخلص منه (٣) . وقد نجحت دسائسهما فثار الأتراك والفراغنة ضد اوتامش بحجة استئثاره بارزاقهم وقتلوه في ربيع الاخر سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٢م(٤)

ولكن المستعين لم يسترد سلطاته بعد ذلك الحادث الدامي ، فقد حل قائد تركي جديد وهو باغر محل اوتامش ، وكان المتغلب الجديد شريرا قويا كما كان حذرا (٥) . فلما احس بان وصيف بغا يدبران بمعاونة الخليفة المستعين بالله للتخلص منه اتفق مع الجماعة التي كانت قد اشتركت معه في قتل المتوكل على قتل وصيف وبغا والمستعين دفعة واحدة ، والمجيء بعلي بن المعتصم او بابن الواثق الى الخلافة (٦) . غير أن الكتلة المؤيدة لوصيف وبغا كانت الاقوى فتمكنت من النهاية من قتل باغر (٧) . وقد ثار أصحاب الأخير

---

(١) ابن الطقطقى : الفخرى ص/٢٤١ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٢٦٣ ، ابن مسكويه : تجارب جـ٦/ ٥٦٦ ، ابن كثير : البداية جـ١١/ ٣ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٢٦٤ .
(٤) اليعقوبى : تاريخ جـ٢/ ٤٩٦ ، الدورى : دراسات ص/ ٦١ .
(٥) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٢٧٨ .
(٦) ن ٠م ٠س جـ ٩/ ٢٧٩ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧/ ١٣٨ .
(٧) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٢٨٠ ، ابن كثير : البداية جـ١١/ ٧ .

وتأزم الوضع مما اضطر الخليفة ووصيف وبغا الى أن يتركوا العاصمة وينحدروا الى بغداد (١) . وقد حاول قادة الاتراك اعادة الخليفة المستعين الى سر من رأى اذ أرسلوا له وفدا من زعمائهم الى بغداد حلف للخليفة على الاخلاص والسمع والطاعة وطلبوا منه الرضى عنهم والعودة معهم . الا أنه رفض وعندئذ بايعوا المعتز بالله بالخلافة وأعلنوا خلع المستعين (٢) . وهكذا أدى تنازع الاتراك على السلطة الى وقوع الحرب الاهلية الثانية . والى حصار بغداد للمرة الثانية (٣) . وبقيت الحرب مستمرة بين الطرفين الى أن أحس محمد بن طاهر امير بغداد (٤) بعدم جدوى الحرب فوافق على الصلح والذى نصت اهم بنوده على ضمان الامان للمستعين وأهله (٥) . وعندئذ اضطر المستعين الى خلع نفسه وخرج الى واسط ولكن لم يلبث أن قتل فى شوال من سنة ٢٥٢ هـ/ ٨٦٦م. (٦)

كانت الظروف التى أحاطت تولية المعتز بالله الخلافة قد أكدت أن لقادة الجند زمام التحكم والمبادرة (٧) ، ولذلك فلقد فشلت أمام نفوذهم

---

(١) المسعودى : التنبيه ص/٣٦٤ ، ابن الاثير: الكامل ج٧/١٣٩ ، الصفدى : ج ٨/٩٣ .

(٢) الطبرى : تاريخ ج٩/٢٨٤ ، ابن الاثير : الكامل ج٧/١٤٢ ، ابن كثير : البداية ج١١/٧ .

(٣) الدورى : دراسات ص/٦٣ .

(٤) وكان المستعين قد أوكل اليه مهمة الدفاع عن بغداد . انظر الطبرى : تاريخ ج٩/٢٨٧ .

(٥) اليعقوبى : تاريخ ج٢/٤٩٩ ، المسعودى : مروج ج٤/١٦٣ .

(٦) المسعودى : مروج ج٤/١٦٤ ، الصفدى : الوافى ج٨/٩٤ ، الذهبى العبر: ج٢/٢ ، السيوطى : تاريخ ص/٣٣٢ .

(٧) السامرائى : المؤسسات ص/٢٢ .

واستبدادهم جميع محاولات المعتز في التخلص من طغيانهم . فلما احس الاتراك بخطورة مبادرات الخليفة اتخذوا من عجزه عن دفع رواتب الجند بصورة منتظمة سبباً للمطالبة بخلعه . واتفقوا مع المغاربة والفراغنة على الشغب مطالبين بارزاقهم المتأخرة . فلما عجز الخليفة المعتز بالله عن توفير الاموال دخل عليه جماعة من الاتراك وهو في مجلسه فسحبوه من رجله الى باب المجلس وضربوه واقاموه في الشمس حافيا فكان يرفع رجلا ويضع الاخرى لشدة الحر، وكان بعضهم يلطمه وهو يتقي ضرباتهم واستمروا به كذلك حتى خلع نفسه من الخلافة في مقابل أن يأمنوه على نفسه وماله وولده ولكنهم سجنوه وعذبوه حتى مات(١) .

استقدم الاتراك محمد بن الواثق من بغداد (٢) وبايعوه بالخلافة وتلقب بالمهتدي بالله (٣) . ولكن موسى بن بغا الذي كان في الري لمحاربة الحسن بن زيد قد ساءه عدم استشارته في ترشيح المهتدي والبيعة له ، لذا فانه لم يعترف بالخليفة الجديد (٤) مما زاد في اضطراب أمور الخلافة .

---

(١) الطبري : تاريخ ج٩/ص ٣٨٩-٣٩٠ ، المقدسي : البدء ج ٦ / ١٢٣ ، ابن الاثير : الكامل ج٧/ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٢) وكان المعتز قد نفاه اليها . انظر المسعودي : مروج ج٤ / ١٧٨ .

(٣) الطبري : تاريخ ج٩ / ٣٩١ .

(٤) المسعودي : مروج ج ٤ / ١٨٤ .

اقتدى الخليفة المهتدى بسيرة عمر بن عبد العزيز فى العدل ورفع الظلم (١) ،وفى نفس الوقت حاول توسيع شقة الخلاف بين قادة الاتراك وضرب بعضهم ببعض . ولكن الاتراك سرعان ما تضامنوا ووحدوا صفوفهم لمجابهته فاجتمعت جموعهم لقتاله ،وبالرغم من ان المهتدى قد واجه الموقف بشجاعة حيث خرج اليهم شاهرا سيفه معلنا النفير العام ضدهم (٢) ، غير ان قوة الأتراك وكثرتهم وشدة بأسهم،وقلة أعوان الخليفة والملتفين حوله ، قد أدت الى التغلب عليه ، فأسروه وأهانوه ثم حاولوا اجباره على خلع نفسه فأبى ، ومع ذلك فقد أعلنوا خلعه وعذبوه حتى مات فى رجب سنة ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠م (٣) .

بهذه الاساليب الوحشية كان قادة الجند الاتراك يطون رغباتهم حتى جعلوا من الخلافة ألعوبة فى أيديهم (٤) . ولكن منذ أن تولى المعتمد على الله الخلافة (٥) توقف قادة الأتراك عن أثارة الأضطرابات وذلك بفضل من الله ثم بجهود الامير أبو أحمد الموفق بالله وهذا ما ستوضحه تطورات الاحداث التى سنتعرض لها خلال هذا البحث .

• • •

---

(١) اليعقوبى : تاريخ جـ٢/ ٥٠٥ ،الخطيب البغدادى : تاريخ ، جـ ٣/ ٣٥٠ ، ابن دحية : النبراس ص٨٨ .

(٢) اليعقوبى : تاريخ جـ٢/ ٥٠٦ ، الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤٥٨ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤٦٧ ،ابن العمرانى : الانباء ص١٣٢ .

(٤) الدورى : دراسات ص٦٦ .

(٥) بويع المعتمد على الله الخلافة فى اليوم الذى خلع فيه المهتدى . يوم الثلاثاء ١٦ رجب سنة ٢٥٦ هـ/ ٨٦٩ م .انظر اليعقوبى : تاريخ جـ٢/ ٥٠٧ ، المسعودى : مروج جـ ٤/ ١٨٦ .

الفصل الأول

حياة الموقع باللغة

الفصل الأول

حياة الموفق بالله

١ - نسبه :

هو طلحة بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد . أبو أحمد الموفق بالله ، الناصر لدين الله (١) ولد يوم الاربعاء الثاني من ربيع الاول عام ٢٢٩ هـ / ١ ديسمبر ٨٤٣م (٢) . وأمه أم ولد

---

(١) ابن عبد ربه ، شهاب الدين أحمد : العقد الفريد ، ج ٣ / ٢٩٩ ، المسعودى ، ابوالحسن على بن الحسين بن على : التنبيه والاشراف ص ٣٦٧ ، ابن الابار ، ابوعبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى : الحله السيراء ج ١/ ٢٨٨ ، الكازرونى ، ظهير الدين محمد بن على : مختصر التاريخ ص ١٦١ ، ابن دحيه ، ابوعلى حسين ابن على : النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس صص ٨٩-٩٠ ، الاربلى عبد الرحمن سنبط قنيتوب : خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٣٣ ، ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل بن محمد : البداية والنهاية ج ١١/ ٦٣ ويذكر الخطيب البغدادى ، ابوبكر احمد بن على ان اسم الموفق هو محمد ولكن الراجح ان اسمه طلحة فأغلب المصادر تذكره بذلك كما ان الخطيب البغدادى نفسه ليس متأكدا من هذا الاسم فيقول : هو محمد بن جعفر ويقال ان اسمه كان طلحة . تاريخ بغداد ، ج ٢ ص ١٢٧ .

(٢) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ج ٢/ ١٢٧ ، ابن الجوزى ابوالفرج عبد الرحمن بن على : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم ، ج ٥/ ١٢١ ، ابن كثير : البداية ج ١١/ ٦٣ .

رومية يقال لها اسحاق (١) ، أدركت ولايته ويبدو أنها كانت تكن له حبـــا كبيرا حتى انه لما شفى من اصابته فى حرب الزنج تصدقت "بوزنه ورقـــا فكان ثلاثين ألف درهم" (٢) . وقد توفيت فى سنة ٢٧٦هـ/ ٨٩٠م (٣) .

٢ - نشأتـــه :

نشأ أبو أحمد فى قصر الخلافة بسر من رأى (٤) . ويبدو وأنه كان يكثـــر من ملازمة والده المتوكل ولعل مايؤكد ذلك وجوده فى مجلس المتوكل عنـــد اغتياله (٥) . وقد أكسبه ذلك الكثير من الخبرة السياسية والعسكرية الـــتى أفاد منها فى حياته العملية .

---

(١) الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الأمم والملوك ج٩ /٣٦٢ ، التنوخى ، أبوعلى المحسن بن على : الفرج بعد الشدة ج ٣/١١٨ ويذكر المسعودى بأن اسمها اسحر . مروج الذهب ج٤ /٢٢٨ والمرجح أن اسمها كان اسحاق كما ذكر الطبرى فهو معاصر للاحداث .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ج ٥ /٦٧ .

(٣) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ج ٢ /١٢٧ .

(٤) لم تذكر المصادر أين نشأ الموفق ولكنه نشأ فى نفس المكان الذى تربى فيه المؤيد بالله فهما من أم واحدة . والمؤيد هو أحد أبنـــاء المتوكل الذين عقد لهم العهد فى سنة ٢٣٥ هـ . الطـــبرى : تاريـــخ ج ٩ /ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، التنوخى : نشوار المحاضـــره ج ٣/١١٨ .

(٥) الطبرى : تاريخ ج ٩ /٢٢٧ (ط . دار المعارف) .

وقد كان المتوكل على الله قد هيأ لابنه ابى أحمد أن ينشأ نشأة فاضلة اذ عهد الى الزبير بن بكار (١) مهمة تأديبه (٢) ، فكان لذلك أثر بعيد فى اذكاء عقله وعلو همته فلم يتأثر بمحيط الترف الذى نشأ فيه ولم ينجرف فى طلب اللذة كما يفعل أقرانه من الامراء (٣) . ولعل ذلك كان دافعا للزبير بن بكار فى أن يؤثره بتأليف كتاب له فى الاخبار سماه (الموفقيات) (٤) .

وقد ظهرت كفاءة أبى أحمد الموفق العسكرية لأول مرة عندما عهد اليه المعتز بالله (٥) بقيادة الجيش لحصار بغداد خلال فترة احداث الصراع بين المعتز والمستعين (٦) فقد أحكم أبو أحمد الحصار على بغداد

---

(١) الزبير بن بكار : هو ابوعبد الله الزبير بن ابى بكر بن عبد الله بن مصعب ابن الزبير بن العوام ، كان ثقة عالما بالنسب عارفا باخبار المتقدمين وسائر الماضين ، ولى القضاء بمكة وفيها توفى سنة ٢٥٦ هـ ، انظر ترجمته فى ابن النديم : الفهرست ص ١٦١ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ٨ / ٤٦٧ .

(٢) التنوخى : نشوار المحاضرة جـ ٤/ص ٢٧٧ .

(٣) فيصل السامر : ثورة الزنج ص ١٢٨

(٤) ابن النديم : الفهرست ص١٦١ ، التنوخى : نشوار المحاضرة جـ ٤ / ٢٧٧ ، ابن الاثير : اللباب فى تهذيب الانساب جـ٣/ ١٩٠ .

(٥) بويع بالخلافة فى محرم عام ٢٥١هـ/ ٨٦٥م . وكان المستعين قد اضطر الى الانحدار الى بغداد بعد أن تأزم الوضع فى سامراء بسيطرة الاتراك على الخلافة . وسنتعرض لهذا الموضوع بالتفصيل عند الحديث عن الجند التركى فى الفصل الثانى .

(٦) ويمكن ان نتعرف على مقدرة أبو أحمد الموفق العسكرية من قول الشاعر المعروف بناذنجانه :

يابنى ظاهر أتتكم جنود الـ ـله والموت بينها مشهور
وجيوش امامهم ابو احمـ ـد نعم المولى ونعم النصير

انظر ابن الاثير : الكامل جـ٧/ ١٤٥ .

حتى فكر قائد جيش المستعين ، محمد بن عبد الله بن طاهر (١) فى طلب المصالحة بعد أن رأى عبث المقاومة (٢) . وقد تم فعلا وضع شروط الصلح بينه وبين أبى أحمد والذى كان من أهم بنوده ضمان الأمان للمستعين وأهله وولده وما حوته أيديهم من الاملاك (٣) .

ولم يكد يتم هذا النصر ويستقر الامر للخليفة المعتز بالله حتى أجزل الخلع على أبى أحمد فتوجه بتاج من ذهب وقلنسوة مجوهرة ووشاحين مجوهرين وقلد سيفين (٤) وقربه اليه (٥) .

اختلف المعتز بالله مع الاتراك بعد ذلك بمدة قصيرة لمحاولته الحد من تسلطهم ولتقريبه المغاربة والفراغنة اليه (٦) وتحريكهم ضد الترك، فلما فشلت هذه المحاولة خشي أن يقدم الاتراك على عزله فعمد الى خلع أخيه المؤيد من ولاية العهد وحبسه (٧) . كما أنه لم يأبه لسابقة أخيه

---

(١) محمد بن طاهر هو أمير خرسان والشرطة والسواد والرى وطبرستان توفى فى عام ٢٥٣ هـ . ابن الاثير : الكامل ج٧/ص ص ٦٥ ، ١٨٠ .
(٢) الطبرى : تاريخ ج ٩ / ص ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ .
(٣) المسعودى : مروج الذهب ج ٤ ص ١٦٣ .
(٤) الطبرى : تاريخ ج ٩ / ٣٥٤ ، ابن تغرى بردى ، جمال الدين يوسف ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٢ / ٣٣٤ ، السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر : تاريخ الخلفاء ص ٣٣٣ .
(٥) ابن الاثير : الكامل ج ٧ / ١٦٩ .
(٦) المسعودى : مروج الذهب ج ٤ / ١٧٨ .
(٧) الطبرى : تاريخ ج ٩ / ٣٦١ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ج ٦ / ٥٠ .

أبى أحمد وما حقق له من نصر على المستعين فحبسه أيضا وضيق عليه . ثم بلغ الخليفة المعتز بالله أن نفرا من الأتراك يريدون اخراج المؤيد من سجنه ليولوه الخلافة فأرسل الى موسى بن بغا " فسأله فأنكر وقال يا أمير المؤمنين انما أرادوا أن يخرجوا أبا أحمد بن المتوكل لأنسهم به يوم كان فى الحرب التى كانت "(١) ، غير أن رأى الخليفة المعتز بالله قد استقر على التخلص من المؤيد فعمل على قتله من دون أثر ظاهر ثم حول أبا أحمد الى الحجرة التى كان قد حبس فيها المؤيد (٢) " فكان بين دخوله سر من رأى وما لقى بها من الاكرام وبين حبسه ستة أشهر وثلاثة أيام "(٣) . ولم يكتف الخليفة المعتز بالله بسجنه لابى أحمد وتضييقه عليه بل قام بنفيه الى واسط أولا ثم أمر بنقله الى البصرة ثم رده أخيرا الى بغداد حيث أنزل فى الجانب الشرقى فى قصر دينار بن عبدالله" (٤) (٥) . ويبدو أن أبا أحمد قد حظى هناك بتعاطف أهل بغداد معه .

تفاقمت الأزمة المالية فى الدولة العباسية وخلا بيت المال من الاموال ولم يتمكن المعتز بالله من دفع رواتب الجند الذين توحدت كلمتهم وقرروا خلعه من الخلافة(٦) . فدخلوا عليه واعتقلوه وعذبوه حتى اضطر الى التنازل

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٣٦٢/٩ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٣٦٢/٩ .
(٣) المسعودى : مروج جـ ١٧٦/٤ .
(٤) قصر دينار بن عبدالله : يقع في الجانب الشرقى من بغداد بين سوق الثلاثاء ونهر دجلة . ياقوت : معجم جـ ٤١٩/٢ .
(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٣٧٧/٩ .
(٦) الطبرى : تاريخ جـ ٣٨٩/٩ .

عن الخلافة لمحمد بن الواثق (١).

أرسل محمد بن الواثق الذى لقب بالمهتدى الى سليمان بن عبدالله بن طاهر (٢) والى الخلافة على مدينة بغداد يأمره بأخذ البيعة له ، غير أن العامة والجند ثاروا لذلك " ونادوا باسم أبى أحمد ودعوا الى بيعته" (٣) فخاف الاتراك من تفاقم الأمر فأسرعوا فى ارسال الاموال من العاصمة (سر من رأى) حيث وزعت على أهل بغداد والجند مما سهل أخذ البيعة للخليفة المهتدى بالله (٤) .

اجتهد الخليفة المهتدى بالله فى اصلاح أمور الدولة وحاول أن يقتدى بسيرة عمر بن عبدالعزيز فى العدل ورفع المظالم واقامة الدين على شرائعه المستوية (٥) . ويبدو أن الخليفة قد صمم على مباشرة حركته الاصلاحية ، غير أنه خشى أن يستغل خصومه وجود أبى أحمد فى بغداد وتعاطف الجند والعامة معه ويقدموه كمرشح بديل للخلافة

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ص ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ابن العبرى : غريغوريوس ابوالفرج بن هارون الطبى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٥ .

(٢) سليمان بن عبدالله بن طاهر : كان عامل طبرستان من قبل ابن أخيه محمد بن طاهر بن عبدالله فلما استولى الحسن بن زيد العلوى عليها أنفذه محمد بن طاهر الى العراق فى سنة ٢٥٥هـ خليفة له وقد أقره الخليفة المعتز على ذلك . الشابشتى : الديارات ص ٨٣ .

(٣) ابن الاثير : الكامل جـ ١٩٩/٧ .

(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ص ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ويبدو أن أبا أحمد لم يكن يطمع فى الخلافة والا لاستغل تلك الفرصة .

(٥) ابن دحيه : النبراس ص ٨٨ ، البيهقى ، ابراهيم بن محمد : المحاسن والمساوئ ص ٥٣٩ .

فيسوء الحال أكثر مما هو عليه ويتكرر ماجرى من صراع بين القوى المتنافسة تماما كما حصل فى احداث الفتنة والحرب بين المستعين والمعتز. ولعله رغب فى أن يفوت على خصومه الفرصة فى استغلال أبا أحمد ، فعمد الى الأمر بنفيه الى مكة المكرمة(١) .

غير أن الخليفة المهتدى لم يوفق فى تقليص نفوذ الجند التركى ، ورغم شجاعته فى مجابهتهم فانهم استطاعوا التغلب عليه وعلى من ناصره من العامة وخلعوه من الخلافة ثم قتلوه (٢) .

اجتمع الأتراك على ترشيح أحمد بن جعفر المتوكل للخلافة والذى لقب بالمعتمد على الله وقد تمت بيعته فى ١٦ رجب سنة ٢٥٦هـ/ ٢٠ يونيو ٨٦٩ م(٣) . استقدم الخليفة المعتمد على الله أخاه أبا أحمد من مكة المكرمة(٤) . ولقبه بالموفق بالله (٥) . وفوض اليه مقاليد السلطة والنظر فى أمور المملكة بينما انصرف هو الى مصالحه الخاصة والتفرغ لجلسائه (٦) .

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤٧٥ ، اليعقوبى :احمد بن ابى جعفر بن وهب تاريخ اليعقوبى ، جـ ٢ / ٥٠٥ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ص ٤٦٥ ، ٤٦٧ .
(٣) ابن قتيبة : المعارف ص ١٧٢ ، اليعقوبى : تاريخ جـ٢ / ٥٠٧ ،الطبرى تاريخ جـ٩ / ٤٧٤ ،ابن ماجه ، ابوعبدالله محمد بن يزيد : تاريخ الخلفاء ص ٤٥ ، ابن عبدربه : العقد الفريد ص ٢٩٩ ، المسعودى : مروج جـ ٤ / ١٩٨ .
(٤) المسعودى : مروج جـ٤ / ١٩٩ ، ابن الاثير: الكامل جـ٧ / ٢٤١ .
(٥) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ٢ / ١٢٧ ، القلقشندى ،ابوالعباس أحمد ابن على : مآثر الانافة فى معالم الخلافة جـ١ / ٢٥٣ .
(٦) المسعودى : مروج جـ٤ / ٢١١ ،الشابشتى ،ابوالحسين على بن محمد : الديارات ص٦٦ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس جـ٢ / ٣٣٢ ، العصامى المكى : سمط النجوم جـ٣ / ٣٤٨ ،محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية جـ٢ / ٢٤٥ .

٣- حنكته وشخصيته :

كان الموفق بالله يتمتع بشخصية قوية ذات دراية وحنكة بالامـــور ، وتبدو حنكته من خلال سياسته التى اتبعها فى ادارة الدولة ، وفى محاربة اعدائها ، فلقد كان ذلك القائد القدير والسياسى المحنك الذى أعاد السلطة الى العباسيين بعد أن تمكن فى مدة قصيرة من اخضاع الجنــد التركى وتوجيه طاقاتهم الى مافيه مصلحة الامة وضمان هيبة الخلافــة بعد أن كانوا عامل ضعف وارباك لها (١) . فقد انشغل الجنود الاتـراك فى طاعته والالتزام بقيادته ، وخصوصا بعد أن أذعن كبير قادتهم موسى بن بغا للموفق وقام بخدمته وقدم له الطاعة بولاء واخلاص(٢) . ولعل من أهـم الاسباب التى أدت الى تغيير موقف القادة الاتراك من العصيان والتمـرد الى الطاعة والولاء هى كون أبا أحمد الموفق شقيق أمير المؤمنين وليس مــن سائر قياداتهم التى تتنافس عادة لضمان مصالح فردية (٣) ، الى جانــب مايتمتع به الموفق من شخصية قوية جمعت كل صفات البطولة والمقدرة العسكرية الفذة (٤) والتى أجبرت القادة الاتراك على الخضوع له والانصياع لامــره ، وخاصة بعد أن وجد هؤلاء القادة بأن التنافس والصراع بينهم قد انهــك قواهم وضعضع صفوفهم (٥) دون أن يجنوا من وراء ذلك أى منفعة ســوى

---

(١) السامرائى : المؤسسات الادارية ص ٣٢ .
(٢) الدورى : دراسات ص ١٨٧ .
(٣) الدورى : دراسات ص ١٥ .
(٤) المسعودى : التنبيه ص ٣٦٧ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس ج ٢ / ٢٤٢ ، الذهبى : دول ج ١/ ١٦٨ .
(٥) الدورى : دراسات ص ٧١ .

مالحق بالدولة من اضطرابات وأزمات مالية وادارية [1]. كما أن احساس القادة الاتراك بأن الخطر المحدق بالخلافة والمتمثل فى ثورة الزنج وانتشار القرامطة وحركات الخوارج والانفصال سوف لاتقضى على الخلافة فقط وانما ستقضى مع ذلك على مصالحهم ووجودهم . وعندئذ اتفق الجند الاتراك والقادة على أن الاذعان للقيادة أبى أحمد هى المخرج الوحيد من المأزق الذى تواجهه الدولة ومصيرهم ومستقبلهم كذلك .

وقد استعمل الموفق حنكته فى الحروب التى خاضها ولا سيما فى حربه ضد الزنج ومن أمثلة ذلك أنه كان لايخاطر الا قليلا وعند الضرورة القصوى بل لايكاد يخطو خطوة الا بعد أن يتأكد من نجاحها [2]، فيتعرف بنفسه على الطرق والمسالك [3] ، ويهتم بتأمين مواصلاته وخطوطه الخلفية وكثيرا ما حرص على حماية ظهر جيشه بالسفن الحربية التى يشحنها بأشجع المقاتلين " لتكون حصنا للجيش من ورائه " فيأمن بذلك من مباغتة العدو له [4] .

لما حاصر المختارة مدينة صاحب الزنج ، ورأى من منعتها وكثرة عدد مقاتليها " مالم ير مثله ممن تقدم من منازعى السلطان " [5] أظهر بعد نظر

---

(١) السامرائى : المؤسسات ص ١٦٦ .
(٢) الدورى : دراسات ص ٩٣ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٦٣٨ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٦٤٧ .
(٥) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٥٨١ . وكان صاحب الزنج قد بناها على الضفة الغربية من نهر ابى الخصيب . وسوف يأتى ذكرها بالتفصيل فى الفصل الثالث عند الحديث عن الزنج .

فى مجابهة هذه المشكلة ، فقد أدرك أن مسألة فتحها ليست باليسيرة انما تقتضى سياسته النفس الطويل فأمر بأن يضرب عليها حصار اقتصادى شديد وشامل قطع به على الزنج جميع سبل التموين ،فنالهم بذلك اكبر الضرر وأضعف قوتهم كثيرا (١) . وقد استعمل الموفق سياسة استمالة الزنج اليه لانه رأى فى ذلك من أنجح المكايد التى يكيد بها صاحب الزنج . فكان يأمر بالخلع على المستأمنين واقتنائهم " من الموضع الذى يراهم فيه نظراؤهم " فكان لذلك أثره على الزنج اذ جعل الآخرين منهم يفرون على شكل جماعات الى معسكر الموفق (٢) .

ومن الاساليب التى لجأ اليها الموفق فى الحرب وكانت سببا هاما فى انتصاره وسحق أعدائه ، أسلوبه فى الدعاية وشحذ الهمم ، اذ نراه قبل أن يبدأ فى مهاجمة عاصمة الزنج ، يعلن فى الملأ بأن صاحب الزنج كافر خارج عن الاسلام ، ومع ذلك فانه قد كتب اليه كتابا يدعوه الى " التوبة والانابة الى الله تعالى " (٣) ، وبأنه قد تجاهل هذه الدعوة الشرعية الكريمة ولم يرد على ماعرضه عليه ، وبهذا فانه نجح فى اثارة حمية جنده وأصحابه لانهم أدركوا بأنهم انما يقاتلون فى حرب شرعية وفى سبيل الله ،

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٦٠٨ .
(٢) ن . م . س . جـ ٩ / ٥٨٢ .
(٣) ن . م . س . جـ ٩ / ٥٨١ .

كما وأن ذلك قد جند معه الكثير من المتطوعين من أنحاء البلاد الاسلامية الذين قدموا وحاربوا معه حبا فى الجهاد وطلبا للشهادة فى سبيل الله (١). ومن الامثلة الاخرى أنه بعد أن ازدادت جرأة يعقوب بن الليث الصفار واطماعه (٢) وفشلت المفاوضات بينه وبين الخلافة فى عام ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م وقدم يعقوب الى واسط فى طريقه الى العاصمة معلنا بأنه سيدخل بغداد ليقرر بنفسه مايريد (٣)، أقدم الموفق على الخروج لقتاله مصطحبا أخاه الخليفة المعتمد على الله فقد أدرك بأن وجود الخليفة مع الجيش سوف يؤثر كثيرا على جند الصفار، لما للخلافة من مكانة عالية وقدسية فى نفوس الناس، وحينما تقابل الطرفان كان النصر حليف جيش الخلافة وقائده الموفق، فقد نجحت خطوة الموفق فأظهر كثير من الجند يعقوب كراهية القتال وانفصلوا عن جيشه حين رأوا أنهم انما يقاتلون أمير المؤمنين وخليفة المسلمين (٤).

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦٥٤.

(٢) يعقوب بن الليث الصفار هو أحد المتطوعة من سجستان وتمكن من القضاء على الشراة فيها ثم اشتد أمره حتى تغلب على سجستان ثم كرمان وفارس. اليعقوبى : تاريخ جـ ٢/ صص ٤٩٥، ٥٠٤.

(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥١٦، السامرائى : المؤسسات ص ٣٥.

(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ صص ٥١٧، ٥١٨.

ومن دلائل حنكة الموفق أيضا أنه لم يتوان عن تأديب ابنه أحمد عندما بدرت منه ملامح التمرد على أوامره (١) . فقد رفض تنفيذ أمر والده بأن يسير الى بعض المناطق قائلا : " لا أخرج الا الى الشام لانها الولاية التى ولانيها أمير المؤمنين" (٢) . فما كان من الموفق الا أن قبض على ابنه وفرض عليه الاقامة الاجبارية فى داره ، مما جعل أصحابه من القادة يتذمرون ويدأون الشغب اذ أنهم تجمعوا فى الميدان بسلاحهم ، وقد بدت حكمة الموفق فى مجابهة الموقف حيث خرج بنفسه اليهم وعاتبهم بقوله : " أترونكم أشفقتم على ابنى منى ؟ هو ولدى واحتجت الى تقويمه " (٣) . وبذلك هدأ الجند وانصرفوا بعد أن اقتنعوا برأى الموفق .

- شخصيته :

عقد المعتمد على الله لأخيه الموفق على قيادة جيوش الدولة بعد توليته الخلافة مباشرة . ثم ولاه العهد فى عام ٢٦١ هـ/ ٨٧٤ م بعد ابنه جعفر الذى لقبه بالمفوض (٤) . فى الوقت الذى كانت فيه الخلافة العباسية تنوء تحت وطأة اضطرابات عظيمة كادت تهددها بالزوال ، حتى ليذكر ابن العمرانى بأنه لو ابتلى المنصور أو المأمون بشىء منها ((لبعل به))

---

(١) السامرائى : المؤسسات ص ٣٩ .
(٢) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ٤٣٣ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ١٠ / ١٥ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٥ / ٩٤ ، السامرائى : المؤسسات ص ٣٩ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٥١٤ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ٢ / ١٢٧ ، المقدسى ، المطهر بن طاهر : البدء والتاريخ جـ ٦ / ١٢٥ ، ابن عربى محي الدين : محاضرة الابرار ومسايرة الاخيار ص ١٥٨ ، السيوطى : تاريخ ص ٣٣٧ .

ويجعلها فى قوله : انهماك المعتمد على الله فى اللهو وترك النظر فى أمور المسلمين ، وخروج صاحب الزنج واستيلاؤه على مساحة كبيرة من بلاد المسلمين ، وخروج يعقوب الصفار فى فارس وكرمان ، ثم عصيان أحمد بن طولون فى مصر " وهذا كله مع ذهاب الاموال وفراغ الخزائن وتضاعف النفقات "(١) . فلم يكن أمام الموفق ازاء هذا الوضع الا أن يتحمل أعباء الخلافة بهمه فبذل أقصى جهده فى ادارة الدولة والنفاذ بها من المشكلات التى واجهتها وقيادة الجيوش والاهتمام بأمور الرعية فنهت الخلافة الى أبعد حد(٢) . وهذا بلا شك يعود الى مايتمتع به الموفق من صفات أفاض المؤرخون فى الحديث عنها .

يعتبر الموفق بالله فلتة بين أقرانه فى الشجاعة والبطولة النادرة(٣) حتى لقد لقب بحسام الاسلام(٤) . فهو الذى نازل الزنج حتى قضى على ثورتهم العارمة قضاء تاما(٥) . وهذا بعد أن فشلت جميع الجهود لكسر شوكتها والتقليل من أخطارها . كما أنه استطاع أن ينقذ الخلافة من خطر

---

(١) ابن العمرانى : الأنباء فى تاريخ الخلفاء ص ١٣٧ ، ١٢٨ .
(٢) شوقى ضيف : تاريخ الادب العربى فى العصر العباسى الثانى ص ١٧ .
(٣) الذهبى : دول جـ ١/ ١٦٨ ، ابن العماد : شذرات جـ ٣/ ١٧٢
فيصل السامر : ثورة الزنج ص ١٢٩ .
(٤) ابن كثير : البداية جـ ١١/ ٠٦٣ .
(٥) انتهت ثورة الزنج بمقتل صاحبهم فى يوم السبت ٣ صفر ٢٧٠هـ / ١١ أغسطس ٨٨٣م . الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦٦٣ .

يعقوب بن الليث الصفار ويهزمه هزيمة نكراء [١] ، اضافة الى أنه قد حــد من توسع الطولنيين فى الغرب . فأعاد بذلك هيبة الخلافة وسلطتها [٢] .

كان الموفق أشد بنى العباس شكيمة لعصره وأحزمهم بكل معانـــى الحزم وأروعه [٣] ، فقد استقطب مقاليد السلطة فى يده ووجه سياســـة الدولة حسب رأيه [٤] . وذلك بعد أن رأى فى أخيه الخليفة التخـاذل والانكباب على اللهو والانغماس فى الترف وتبذير الأموال [٥] ، ويبـــدو أن الخليفة المعتمد على الله كان مشغولا عن أمور الخلافة حتى فى أحلك الظروف ففى الوقت الذى كان فيه الموفق يرابط أمام الزنج كان المعتمد على اللــه " مستهترا بالشرب لا يبرح من الجوسق بسامراء ولا يخرج الا الى متصيــد أو متنزه " [٦] . فلما سأم من سيطرة الموفق على الأمور كاتب أحمد بن طولون

---

(١) الذهبى : دول ج ١/ ١٦٨ ، الدورى : دراسات ص ١٨٧ . ويصور محمد بن فيد الطائى بطولة الموفق بقوله :

يا فارس العرب الذى ما مثله ... فى الناس يعرف آخر لنوائـــب

الطبرى : تاريخ ج٩/ ٥٢٠ .

(٢) الدورى : دراسات ص ٨٨ .

(٣) شوقى ضيف : تاريخ ص ٣٧٢ .

(٤) السامرائى : المؤسسات ص ٣٧ .

(٥) اليعقوبى : مشاكلة الناس لزمانهم ص ٣٤ ، ٣٥ ، المسعودى : مروج ج ٤/ ٢٢٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم ج٣/ ٢٤ ، العصامـــى المكى : سمط النجوم ج٣/ ٣٤٨ .

(٦) يذكر التنوخى مثالا على انغماس المعتمد على الله فى الترف فيقول : اشتهى المعتمد على الله أن يصطبح يوما على أترج ، فاتخذ له منه شئ كثير مفرط العدد وعبى وحزم بعضه فاصطبح عليه ولم يدع شيئا من الخلع والصلات والحملان الا وعمله مع ندمائه فى ذلك اليوم . الفرج بعـــد الشدة ج٢/ ٢٤٣ .

يريد الانضمام اليه فى دمشق دون أن يفكر فى عاقبة الامور (١) . وبلغ الموفق ذلك الخبر فأرسل الى عامله على الموصل اسحاق بن كنداج ليحول دون وصول أخيه الخليفة المعتمد على الله الى غرضه (٢) . وبهذا تمكن الموفق بحزمه من انقاذ الخلافة من الانهيار .

وثمة أمثلة أخرى يتضح فيها حزم الموفق وقوة شكيمته ، فهو لا يتوانى عن الضرب على يد العابث مهما ارتفعت منزلته فى الدولة . ولعل مافعله مع غلامه التركى أقوى مثل على ذلك ، اذ احتاج المعتمد على الله يوما الى مشورة أحد القضاة وهو (الجذوعى) (٣) فاستدعاه اليه وكان هذا يتصف بقصره وعمامته الطويلة ، وفى أثناء مروره فى احدى ممرات القصر قابله غلام الموفق - وكان أبوه من جلة القواد المقربين الى الجند - ويبدو أنه كان مخمورا فوضع يده على عمامة القاضى حتى غاص رأسه فيها . ولما كان هذا الغلام مقربا الى الموفق فقد كتم القاضى الأمر على الموفق وفضل أن يستقيل من منصبه . وظل الموفق يحاول أن يتعرف على السبب الداعى الى استقالته القاضى حتى أخبره أحد الشهود بما حدث . فما كان رد فعل الموفق الا أن أمر صاحب شرطته بأن يضرب الغلام ألف سوط عند القاضى الجذوعى جزاء على عبثه . ولم يستطع أحد من القادة أن يحول دون وقوع هذا العقاب الا بشفاعة القاضى نفسه لدى الموفق (٤) .

---

(١) ابن العمرانى : الانباء ص ١٣٧ .

(٢) عمل اسحاق بن كنداج على اعتقاله فى الرقة وهو فى طريقه الى الشام واصطحبه عائدا به الى سامراء . انظر الطبرى : تاريخ ج٩/ص ص ٦٢٠ ، ٦٢١ . وسوف يرد تفصيل ذلك عند الحديث عن موقف الموفق من محاولة هروب المعتمد على الله .

(٣) الجذوعى القاضى : هو محمد بن محمد بن اسماعيل بن شداد ابو عبد الله البصرى القاضى بواسط ، كان من الثقات والقضاة الاجواد العدول . توفى عام ٢٩١ هـ . ابن كثير : البداية ج١١/ ٩٩ .

(٤) التنوخى : نشوار المحاضرة ج٢ / ٢٦ .

وصف الوزير حامد بن العباس(١) سياسة الموفق الادارية بقولـــــه : " لاتصلح الدنيا الا العمارة والعدل وقمع العمال عن السرقات "(٢) . فقـــد عنى الموفق بأمر المظالم فكان يجلس لها بنفسه ويشرك القضاة معه عند النظـر فينصف المظلوم من الظالم(٣) . كما أنه نظر فى البلدان ومصالحها وأمـــــر بارتياد قضاة من أهل البلدان لها "(٤) فولى يوسف بن يعقوب(٥) أمـــــر القضاء فى بغداد وأمره بأن ينادى من كانت له مظلمة عند الموفق أو أحـــد من الناس فليحضر(٦) . فيظهر هنا شدته فى الحق ولو على نفسه . واهـــتم الموفق أيضا بالوضع الاقتصادى فى الدولة . فعندما تولى حرب الزنـــج وجد أن مافى بيت المال لا يتجاوز الثلاثين ألف دينار ، وهو مبلغ بسيـــط نسبيا لا يسد نفقات الدولة . ففكر فى أن مصلحة الدولة تقتضى زراعـــــة

---

(١) حامد بن العباس : كان من المقربين الى الموفق ثم أصبح وزيرا للمقتدر بالله وكان كريما مفضالا متجملا جميل الحاشية . وقد عزله المقتـــدر واستوزر بعده على بن الفرات وسلمه اليه فقتله علي سرا عام ٣١١ هـ . ابن الطقطقى : الفخرى ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٢) التنوخى : نشوار المحاضرة جـ ١٥٥/٨ .

(٣) ابن الاثير : الكامل جـ ٤٤٣/٧ ، ابن كثير : البداية جـ ٦٣/١١ .

(٤) التنوخى : نشوار المحاضرة جـ ٢٥٥/١ .

(٥) يوسف بن يعقوب : بن اسماعيل بن حماد بن زيد : كان من أكابـــر العلماء وأعيانهم . ولد سنة ٢٠٨ هـ وكان ثقعفيفا نزها توفى فى عـام ٢٩٧ هـ . ابن كثير : البداية جـ ١١٢/١١ .

(٦) الطبرى : تاريخ جـ ١٨/١٠ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠٥/٥ ابن كثير : البداية جـ ٥٧/١١ .

اقطاع الخيزران ام الرشيد فى واسط ، والذى يرويه نهرى المبارك والصلح ، وكان اقطاع الخيزران اقطاعا عظيما الا أنه قد خرب وتعطلت زراعته فى ذلك الوقت . فأمر الموفق بانفاق ماتبقى فى خزانة الدولة فى سبيل اصلاح هذا الاقطاع . وقد ساعد فى نجاح ذلك اخلاص سكان تلك المنطقة ورغبتهم فى أن يعم الرخاء وتتوفر المواد الغذائية . فما ان مضى العام حتى كان ما أنتجه البيدر (١) الواحد ستة وثلاثون ألف دينار عينا " وبقى البلد كله بأسره ربحا "(٢) .

عنى أبو أحمد الموفق بحفظ الأمن داخل البلاد ومنع العمال من احتكار الاقوات وهذا ماحدث مع أحمد بن محمد الطائى (٣) الذى منع سفن الدقيق والزيت والتمر من الانحدار الى بغداد متربصا بذلك ارتفاع الاسعار ، فلما ضجت العامة وعلم الموفق بذلك أمر بتقييد الطائى وحبسه ومصادرة جميع أمواله (٤) . ولعله بذلك أعاد الامور الى نصابها فأطلق السفن التى تحمل أقوات الناس وبذلك ضمن حرية التجارة .

كان أبو أحمد الموفق بالله سمحا حسن السيرة كسب حب الناس(٥) له قال يوما : " ان جدى عبدالله بن العباس قال : ان الذباب ليقع على جليسى فيؤذينى ذلك . وهذا نهاية الكرم ، وانا والله أرى جلسائى

---

(١) البيدر : الموضع الذى يداس فيه الطعام . ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٤ / ٥٠ .

(٢) التنوخى : نشوار المحاضرة جـ ٨ / ص ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٣) احمد بن محمد الطائى : كان يلى الكوفة وسوادها وطريق خراسان وسامراء والشرطة ببغداد وخراج بادوريا وقطربل . الطبرى : تاريخ جـ ١٠ / ١٥ .

(٤) الطبرى : تاريخ جـ ١٠ / ١٥ .

(٥) الخطيب البغدادى : تاريخ جـ ٢ / ١٢٧ ، الذهبى : دول جـ ١ / ١٦٨ ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٣ / ٢٤ ، ابن العماد : شذرات جـ ٢ / ١٧٢ العصامى المكى : سمط النجوم جـ ٣ / ٣٤٨ .

بالعيون التى أرى بها اخوتى ، والله لو تهيأ لى أن أغير أسماءهم لنقلتها من الجلساء الى الاصدقاء والاخوان "(١) ، ولهذا نجد الموفق سمحا حتى مع خدمه . فقد كان يشتهى دائما أكل كبود الدجاج وقوانصها مطبوخة بطريقة معينة ، فخشى ان هو طلب منها شئ أن يظن خدمه وصاحب مائدته بأنه يشح بها عليهم . فاتفق مع طبيبه أنه اذا ماجلس الى المائدة بأن ينصحه بأكل شئ من كبود الدجاج لأنها تفيده صحيا فيصير هذا القدر الذى يتناوله رسما جاريا فى كل يوم وهو فى نفس الوقت لا يؤثر على خدمه فيستطيعوا أن يبيعوا مايتبقى لكثرة كميته . يقول الطبيب : " فعجبت من كرمه وفرط حيائه من خدمه حتى يلفق الحيلة فى الوصول الى شهوته "(٢) .

وقد ذكر المؤرخون صفات أخرى للموفق فقال بعضهم : بأنه كان أعقل رجال عصره ، لا يدانيه أحد فى ذلك الا أبا حازم القاضى(٣) . " وكان عالما بالأدب والنسب والفقه"(٤) . وله من النجدة والشهامة وكبر الهمة مافاق به أهل

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ٤٤٣ .
(٢) التنوخى : نشوار المحاضرة جـ ٣/ص ٨٥-٨٦ .
(٣) ابوحازم عبدالحميد بن عبدالعزيز : كان رجلا دينا ورعا عالما بمذهب اهل العراق والفرائض والحساب ، استقضاه المعتضد بالله على الشرقية عام ٢٨٣ هـ . التنوخى : نشوار المحاضرة جـ ٧ / ١٧١ .
(٤) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ٤٤٣ ، ويذكر ابن خلكان مثالا على غزارة علم الموفق لدرجة أصبح فيها أكتب من كاتبه صاعد بن مخلد . اذ ان صاعد بن مخلد قرأ على الموفق كتابا فلم يفهم معناه وقرأه الموفق ففهمه . فقال فيه عيسى بن القاضى :

أرى الدهر يمنع من جانبه ... ويهدى الحظوظ الى عائبه
ومن عجائب الدهر أن الامير ... اكتب من كاتبه

وفيات الاعيان جـ ٦ / ١٠٤ .

بيته من اخوته وعمومته (١) ، وكان محبا للصدقة (٢) شديد الانقطاع الى الله في مهماته ، والتوكل عليه في عزماته بمكان لا ينال ومحل لا يرتقى " (٣) مما حقق له النصر على أعدائه .

وبذلك نرى في شخصية الموفق ذلك الامير العبقري الذى لقب بحق (٤) " المنصور الثانى " (٥) ، فعلى يده تم من جديد انقاذ الخلافة واعادة هيبتها وعودة الاستقرار والسكينة الى البلاد فذاقت الامة بعض الرفاه ، وظن الناس أن عهد الخلفاء الاول قد عاد (٦) .

- وفاتـه :

كان الموفق في آخر حياته عليلا من شدة مالاقى من التعب والمشقة (٧) فما كان ذلك يمنعه من الاشراف على شؤون الحرب فقد خرج

---

(١) ابن العمرانى : الانباء ص ١٣٧ .

(٢) كان الموفق قد اعتاد أن يتصدق في كل يوم عند صلاة الصبح ، وقد أصبح هذا رسما جاريا في عهد ابنه المعتضد . الصابى : تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ص ٢٤ .

(٣) ابن دحيه : النبراس ص ٩٠ .

(٤) الدورى : دراسات ص ٢٨ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٥ / ١٢٢ ، ابن دحيه : النبراس ص ٨٩ ، ابن العماد : شذرات جـ ٢ / ١٧٢ .

(٦) الدورى : دراسات ص ص ٢٨-٢٩ .

(٧) المسعودى : مروج جـ ٤ / ٢٢٧ ، فيصل السامر : ثورة ص ١٢٩ .

فى ربيع الاول عام ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م الى بلاد الجبل (١) لقتال أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف (٢) فاصابة داء النقرس حتى منعه من الركوب . فاتخذ له سرير من خشب يحمله أربعون رجلا بالتناوب فكان يحاول أن يقلل من آلامه بوضع الثلج على رجله الا أن المرض استفحل فتورمت رجله وأصابها مايعرف بداء الفيل . ومع ذلك لم يقصر ذلك من همته فكان يقول : " قد ضجرتم بحملى بودى أنى أكون كواحد منكم أحمل على رأسى وآكل وأنا فى عافية " (٣) .

وعاد أبو أحمد الموفق الى بغداد فى ٢ صفر عام ٢٧٨ هـ/ ٨٩٢م ، وقد اشتد به المرض فكان يقول : " أطبق دفترى على مائة ألف مرتزق وما أصبح فيهم أسوأ حالا منى " (٤) . وتوفى أبو أحمد الموفق فى

---

(١) اقليم الجبل : هى البلاد المعروفة عند العامة بعراق العجم ويحيط بها من جهة الغرب أذربيجان ومن الشرق مفازة خراسان وفارس ويحيط بها من الشمال بلاد الديلم وقزوين والرى . انظر ابوالفدا : تقويم البلدان ص ٤٥٨ .

(٢) أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف : كان عمرو بن الليث قد ولاه أصبهان عام ٢٦٦ هـ ويدو أن أحمد بن دلف قد حاول أن يستقيل بها مما جعل الموفق يخرج لحربه . ابن الاثير : الكامل ج ٧ ص ص ٣٣٣-٣٤٦ .

(٣) الطبرى : تاريخ ج ٩ / ٢٠ .

(٤) ن . م . س . ج ١٠ / ٢٠ .

الاربعاء ٢٢ صفر ٢٧٨ هـ/ ٥ يونيو ٨٩٢ م وعمره حينئذ تسع وأربعون سنة (١) . ودفن برصافة بغداد الى جوار قبر أمه (٢) .

—•—

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ١٠/٢٢ ، الخطيب البغدادى : تاريخ جـ١٢٧/٢ ، ابن ماجه : تاريخ الخلفاء ص ٤٨ ، ابن العمرانى : الانباء ص ١٣٨ ، ابوالفدا : المختصر جـ٢/٥٥ .

(٢) الطبرى : تاريخ جـ١٠/٢٢ ، الخطيب البغدادى : تاريخ جـ١٢٧/٢ ، ابن دحيه : النبراس ص ٩٠ .

وقد رثى البحترى الموفق فى قصيدة منها :

نسعى وأيسر هذا السعى يكفينا ... لولا تكلفنا ماليس يعنينا
نروض أنفسنا أقصى رياضتها ... على مواتاه دهر لا يواتينا
فليت مسلفنا الاعمار انظرنا ... مجاملا فتأتى في تقاضينا
رزية من رزايا الدهر شاغلة ... لناصر الدين عن انينصر الدينا
لاعين الا وقد بات مؤرقة ... له ولا قلب الا بات محزونا

الديوان جـ٤/صص ٢١٨٧-٢١٨٨ .

الفصل الثاني

تطور الأوضاع وبروز دور الموفق

الفصل الثانــى

تطور الأوضاع وبروز دور الموفق باللـــه

١- توقف قادة الاتراك عن اثارة الاضطرابات ، وأسبابها :

كان المعتصم بالله (١) هو أول من اعتمد على العنصر التركى فــى الجيش العباسى (٢) ، وكان غرضه من ذلك تحقيق وجود قوة فعالة الجيـــش العباسى فى وقت ظهرت فيه علائم التصدع فى جسم الدولة والمجتمـــــع الاسلامى . ولعل المعتصم بالله قد أخطأ التقدير بعمله هذا (٣) اذ أصبح ذلك عاملا مهما من عوامل ضعف الدولة وزعزعة قواعد الخلافة ، اذ لم يكن العنصر الجديد قادرا على فهم الأسس المعنوية التى قامت عليهـــــا الدولة العباسية ، كما لم تكن لديه أية خبرة بالادارة (٤) اضافة الــى أن قادتهم لم يكن لهم هم سوى تحقيق المنافع المادية (٥) . ويبـدو أن المعتصم قد أدرك هذه الحقيقة فى أواخر حياته وبعد أن مكن الاتـــراك

---

(١) تولى المعتصم بالله الخلافة عام ٢١٨ هـ/ ٨٢٣م . ابن قتيبـــــه : المعارف ص ١٧١ ، الطبرى : تاريخ جـ ٨/ ٦٦٧ ط. دارالمعارف.

(٢) ابن حزم : جوامع السيرة ص ٣١٧ .

(٣) فاروق عمر : الخلافة العباسية فى عصر الفوضى ص ٤٠

(٤) السامرائى : المؤسسات ص ١٢ .

(٥) الدورى : دراسات ص ١٥ .

فى الدولة فجعلهم دعامة جيشه وقدمهم على غيرهم من عناصر الجنـــــد (١) وأقطعهم الاقطاعات فجعل لهم الموضع المعروف بالكرخ (٢) عند انتقالــــه الى سر من رأى (٣) الى جانب ذلك أنعم عليهم بالمناصب الادارية فولـــى اشناس ولاية مصر فدعا له على منابرها (٤)، ثم ولاه جميع المدن التى يمر بها فى طريق حجه فدعى له على جميع المنابر التى مر بها من سر مـن رأى الى مكة المكرمة والمدينة (٥) . غير أن الشىء الذى هز فى نفس المعتصـم وجعله يندم على استخدام الترك هو خيانة الافشين (٦) . غير أن قوة شخصية المعتصم قد حدت من نفوذ الاتراك (٧) .

خلفه الواثق أباه المعتصم فى عام ٢٢٧هـ/٨٤٢م وقد بدأ فـــــى عهده استفحال نفوذ الاتراك ولقد كان الخليفة أكبر مشجع على ذلـــك، اذ أنه قام بتوزيع السلطة فى بلاد الخلافة الاسلامية بين قادتهم فاستخلـف

---

(١) يظهر ذلك من ترتيب جيشه فى فتح عمورية اذ جعل على مقدمتـــه اشناس وعلى ميمنته ايتاخ . الازدى : تاريخ الموصل ص ٤٢٦-٤٢٧ .

(٢) كرخ سامراء : هو أقدم من سامراء فلما بنيت سامراء اتصل بها ، وكان الاتراك الشبليه ينزلون فى أيام المعتصم . ياقوت : معجم ج ٤ / ٤٤٩ .

(٣) المسعودى : مروج ج٤/٥٥ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم ج ٢ / ٢٣٣ .

(٥) الطبرى : تاريخ ج ٨/ص ١١٤-١١٥ (ط . دار المعارف) .

(٦) كان الافشين قد كاتب مازيار ملك طبرستان وسأله الخلاف والمعصيــة وأراد من ذلك أن ينقل الملك الى العجم . المقدسى : البدء والتاريخ ج٦/١١٩ .

(٧) السيوطى : تاريخ ص/٣٠٩ .

اشناس على السلطة فكان بذلك " أول خليفة استخلف سلطانا "(١) وجعل له الولاية من سر من رأى الى آخر عمل المغرب(٢) . وألبسه وشاحين وتاجا ، كما أسند ولاية السند وكور دجله (٣) واليمن (٤) لايتاخ الذى ولى مصر ايضا بعد وفاة اشناس عام ٢٣٠ هـ(٥) . وقد دفع طموح هؤلاء القواد وحرصهم على البقاء قريبين من الاحداث فى عاصمة الخلافة الى انابة عمال من قبلهم يحكمون البلاد باسمهم فأناب اشناس ابراهيم بن الاغلب على المغرب(٦) كما أناب ايتاخ عنبسه بن اسحاق الضبى على ولاية خراسان (٧) . فجعل عملهم هذا من العاصمة سر من رأى منطقة تمركز قوى الاتراك المتنافسين على المراكز فى البلاط العباسى .

غير أن الخطأ الاكبر الذى وقع فيه الواثق هو عدم تعيينه ولى عهد من بعده ولعل ذلك يعود الى ضعفه وقلة ادراكه لخطورة الموقف(٨) . اذ رفض أخذ البيعة لابنه قائلا : " لايرانى الله أتقلدها حيا وميتا "(٩) . حقيقة بأن

---

(١) السيوطى : تاريخ ص ٣١٥ .
(٢) اليعقوبى : تاريخ جـ ٢ / ٤٧٩ .
(٣) السيوطى : تاريخ ص ٣١٥ ، القرمانى : اخبار الزمان ص ١٥٧ .
(٤) اليعقوبى : تاريخ جـ ٢ / ٤٧٩ .
(٥) ابن خلدون : العبر جـ ٣ / ٢٧٠ .
(٦) ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٢ / ٢٥٧ .
(٧) اليعقوبى : تاريخ جـ ٢ / ٤٨٢ .
(٨) السامرائى : المؤسسات ص ١٢ .
(٩) اليعقوبى : تاريخ جـ ٢ / ٤٨٢ .

هذه كانت أيضا وجهة نظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند ما عرضوا عليه تولية ابنه عبدالله بعد طعنه (١). غير أن الظروف المحيطة بكلا الخليفتين تختلف اختلافا بينا فلقد كانت الدولة الاسلامية فى عهد عمر بن الخطاب فى أوج تمسكها بتعالم الاسلام ، أما فى عهد الواثق فلقد اختلفت الظروف المحيطة من تعدد القوى فى الخلافة واصبح لزاما أن لا يترك الأمر من بعده والا دبت الفوضى لذلك فان دل تركه على شئ فانما يدل على عدم احاطته بخطورة الموقف اذ هيأ للاتراك فرصة التدخل لتعيين الخليفة ، ومنذ ذلك الوقت أصبح تعيين الخليفة وخلعه فى يد الاتراك فأزالوا هيبة الخليفة وأحطوا من مكانته.

فلما توفى الواثق سنة (٢٣٢هـ/٨٤٧م) عزم أحمد بن أبى داود (٢) قاضى القضاة والوزير محمد بن عبدالملك الزيات وغيرهما من رجال الادارة على تولية محمد بن الواثق الخلافة فاعترض عليهم وصيف بقوله : " أما تتقون الله تولون مثل هذا الخلافة وهو لا يجوز معه الصلاة." (٤) واستفاد

---

(١) العسقلانى : فتح البارى جـ ٢٠٧/١٣

(٢) احمد بن أبى داود : كان مقربا جدا من الخليفة المأمون حتى انه فى وصيته لاخيه المعتصم أمره بأن يقربه ويشركه فى المشورة . فلما تولى المعتصم الخلافة ولاه منصب قاضى القضاة . وقد توفى ابن داود سنة ٢٣٧ هـ . ابن كثير : البداية جـ ١٠/ص ٢٨٠ ، ٣١١.

(٣) محمد بن عبدالملك بن الزيات : كان وزير الواثق فلما تولى المتوكل الخلافة غضب عليه وصادر امواله وقتله . ابن كثير : البداية جـ ١٠ / ٣١١.

(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٢٦/١١ (ط الحسينية).

هو بقية الاتراك من الظروف الناجمة عن عدم وجود خليفة أو ولى عهد وأعلنوا عن اختيارهم لجعفر بن المعتصم لمنصب الخلافة ، وبعثوا بغا الشرابى [(١)] اليه فأحضروه وكان سيما التركى المعروف بالدمشقى ووصيف هما أول من بايعه [(٢)] . فألبسه أحمد بن أبى داود عممه وسلّم عليه بالخلافة ولقبه بالمتوكل على الله فى اليوم التالى [(٣)] .

تولى المتوكل على الله الخلافة وهو مدرك تماما خطورة استبداد الاتراك بالخلافة ولذلك جرى فى عهده محاولات للقضاء على تسلطهم والحد من قوتهم وجبروتهم فعمل أولا على استمالة العامة اليه برفع المحنة [(٤)] التى ابتدأها المأمون واستمرت أثناء خلافة المعتصم والواثق وكانت سببا فى تذمر الناس وخاصة بعد تعذيب الامام أحمد بن حنبل [(٥)] فى عهد

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ١١/٢٦ ، ابن مسكويه : تجارب جـ٦/ صص ٥٣٥ ٥٣٦ .

(٢) اليعقوبى : تاريخ جـ٢/ ٤٨٤ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ١١/٢٦ .

(٤) المحنه : كان الخلفاء ابتداء من المأمون قد أخذوا بما كانت تروجه المعتزلة من القول بخلق القرآن ونفى صفات المعانى من الله عز وجل . وقرروا أن يلزموا الفقهاء والمحدثين على القول بذلك قهرا وأنزلوا على من يرفض منهم تقرير ذلك العقوبات الصارمة كان منها الاعدام فلحق كثير من العلماء والمحدثين البلاء والعذاب . انظر الازدى : تاريخ الموصل ص ٤١٢ ، ٤١٤ ، محمد ابوزهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية جـ١ / صص ١٦٧ ، ١٧١ .

(٥) ابن الاثير : الكامل جـ٦/ ٤٤٥ .

المعتصم ومقتل أحمد بن نصر الخزاعى وصلبه فى عهد الواثق لانهما دافعا عن السنة وقادا الرافضين للقول بخلق القرآن (١) . وقد أمر المتوكل على الله بانزال جثة أحمد الخزاعى ودفنه ونهى عن الجدال فى القرآن وغيره (٢) . كما "أظهر الميل الى السنة ونصر أهلها ورفع المحنة وكتب بذلك الى الافاق وذلك فى سنة أربع وثلاثين واستقدم المحدثين الى سامراء وأجزل عطاياهم واكرامهم ، وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية " (٣) . وقد تمثل فى هذا العمل المحاولة الاولى من المتوكل على الله للحد من قوة الاتراك وبذلك حسب العامة والعلماء الى جانبه ، فكان يقول : " ان الخلفاء كانت تتصعب على الرعية لتطيعها وانا ألين لهم ليحبونى ويطيعونى " (٤) .

كما نجح المتوكل على الله فى خطوته التالية فى التخلص من القائد التركى ايتاخ الذى كانت له امتيازات كثيرة فى الدولة فهو والى مكة والمدينة (٥) ، والكوفة وتهامة ومصر حيث كان يدعى له على منابر جميع هذه الولايات (٦) ،

---

(١) المسعودى : مروج جـ ٤/٧٦ ، السيوطى : تاريخ ص ٣١٥ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ ١١/٤٦ ، حسن الباشا : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ص ٥١ .
(٣) السيوطى : تاريخ ص ٣٢٠ .
(٤) ن . م . س ص ٣٢٦ .
(٥) الطبرى : تاريخ جـ ١١/٣٣ ، ابن مسكويه : تجارب جـ ٥/٥٤٢ .
(٦) ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٢/٢٧٦ .

بالاضافة الى قيادة الجيوش وترتيب البريد والحجابة والاشراف على دار الخلافة [1] . ولم يتردد ايتاخ فى اظهار غروره بذلك [2] . وقد استطاع الخليفة المتوكل على الله أن يدبر له مكيدة تخلص بها منه ، اذ أوعز الى بعض أوليائه بأن يحسنوا لايتاخ فكرة الخروج للحج فلما استأذنه أذن له ، ولما أتم ايتاخ حجه ورجع الى العراق كان المتوكل قد اتفق مع اسحاق بن ابراهيم [3] بأن يخرج اليه ويستدرجه الى بغداد حتى يدخله فيها لانها كانت أنسب مكان لاتمام المؤامرة وذلك لبغض أهلها للترك ولبعد ايتاخ عن أنصاره فلوانه " دخل سر من رأى فأراد بأصحابه قتل جميع من خالفه أمكنه ذلك " [4] . فقبض عليه وقيده وصادر أمواله وحبسه حتى مات فى عام ٢٣٥ / ٨٤٩ م فطرح فى دجله [5] .

غير أن المتوكل على الله وجد ان كل محاولاته السابقة لم تكن كافية للتخلص من نفوذ الاتراك وشرورهم ولذلك فقد قرر الانتقال من سر من رأى التى كانت تحت سيطرتهم التامة الى دمشق حيث يوجد العرب هناك [6] فيمكنه الاستغناء عن الترك فكتب الى عامله هناك يأمره ببناء القصور واعداد المنازل

---

(١) الطبرى : تاريخ ج ١١ / ٣٣ .

(٢) الدورى : دراسات ص ٤٥ ، شاكر مصطفى : دولة بني العباس ج ٢ / ٤٣٥ .

(٣) اسحاق بن ابراهيم : كان صاحب الشرطة ببغداد فى عهد المأمون والمعتصم والواثق ، توفى سنة ٢٣٥ هـ . ابن الاثير : الكامل ج ٧ / ٥٢ .

(٤) الطبرى : تاريخ ج ١١ / ٣٤ ، ٣٥ ، الدورى : دراسات ص ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٥) اليعقوبى : تاريخ ج ٢ / ٢٨٥ .

(٦) فاروق عمر : الخلافة العباسية ص ٦٥ .

واصلاح الطرق [١] ، ثم انتقل اليها فى صفر سنة ٢٤٤ هـ/٨٥٨ م وقد عـزم على الاقامة بها ونقل دواوين دار الخلافة اليها [٢] ، ولكن اقامة المتوكـل على الله لم تطل فى الشام اذ يبدو أن طبيعة الجو فى دمشق لم تـروق للخليفة ،فالهواء فيها بارد وندى ويشتد هبوبه من بعد الزوال الى آخـر الليل وهى كثيرة البراغيث ، هذا فى فصل الصيف ، أما فى فصل الشتـاء فتشتد البرودة حتى يسقط الثلج ويكثر هطول الامطار مما يؤدى الى انقطاع الطرق فتحول دون وصول الميرة اليها فترتفع الاسعار بها [٣] . ولعـل المتوكل لم يجد فى مدينة الامويين الترحاب الذى يجعله يأمل بتكويـن عصبية له فيها تساند ه وتكون من القوة بحيث تقابل قوة الاتراك [٤] ، ولكـن على مايبدو أن السبب الحقيقى فى رجوع الخليفة الى سر من رأى يعود الـى أن الترك قد فطنوا الى نية المتوكل على الله فاجتمعوا وضجوا يطالبـون بأرزاقهم واستعدوا للقتال بتجريد السلاح ورمى النشاب ،بل انهم أخذوا يدبرون لقتله فلم ينجحوا لتأييد بغا الكبير للخليفة [٥] ،مما اضطره الـى العودة الى سر من رأى بعد شهرين من اقامته فيها [٦] ،وذلك لاخمـاد

---

(١) اليعقوبى : تاريخ جـ ٢/ ٤٩١.

(٢) الطبرى : تاريخ جـ ١١/ ٥٥ ، المسعودى : مروج جـ ٤/ ١١٤ ، ابوالفدا : المختصر جـ ٢/ ٤٠ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٣٤٢/١

(٣) الطبرى : تاريخ جـ ١١/ ٥٥ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٨٥ ، ابن كثير: البداية جـ ١٠/ ٣٤٥.

(٤) شاكر مصطفى : دولة بنى العباس جـ ٢/ ٤٤٧.

(٥) المسعودى : مروج جـ ٤/ ص ١١٥ ، ١١٦.

(٦) ابن كثير : البداية جـ ١٠/ ٣٤٥ ،القرمانى : اخبار ص ١٦٠.

ثورة الاتراك . شعر المتوكل على الله بأن عودته الى سامراء معناه انتصار الأتراك عليه فزاد من كرهه لهم ، فقرر أن لا يبقى فيها تحت رحمة خصومه فأمر ببناء الماحوزه وانتقل اليها وسماها الجعفرى (١) ، وأمر بنقل جميـــع الكتاب والدواوين والناس كافة (٢) . فى الوقت الذى أخذ يحط من مراتـــب قادة الترك ويجفوهم ويفكر فى الطريقة التى يستأصلهم بها فتقرب الى العـــرب وضم الى وزيره عبيد الله بن خاقان اثنى عشر الفا من العرب (٣) ، كما حـــاول تشتيت زعماء الترك (٤) بالمصادرة فأمر بقبض ضياع وصيف بأصبهان والجبـــــل واقطاعها للفتح بن خاقان (٥) ، ثم أخذ يخطط لقتل قادة الترك وفـــى مقدمتهم وصيف وبغا (٦) ، غير أن هؤلاء لم يمهلوه لتنفيذ ذلك .

ولان المتوكل على الله قد عاش تجربة ترك الخلافة بدون تعيين ولـــى ولى للعهد حين ترك للاتراك فرصة التدخل فى اعلى مراحل السلطـــــة وهى اختيار الخليفة (٧) فانه لذلك حاول بان لا تتكرر الحادثة مـــــرة

---

(١) الجعفرى : تقع على بعد ثلاثة فراسخ من قصر الخلافة فى سامراء واصبحت فى عهد المتوكل اكبر من سامراء ذاتها . ياقوت : معجم ج ٢ / ١٤٣ .

(٢) اليعقوبى : تاريخ ج ٢ / ٤٩٢ .

(٣) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣٦١ ، ٣٦٢ .

(٤) الدورى : دراسات ص ٤٨ .

(٥) الطبرى : تاريخ ج ١١ / ٦٢ .

(٦) ن.م.س ج ١١ / ٦٣ .

(٧) شاكر مصطفى : دولة بنى العباس ج ٢ / ٤١٩ .

أخرى ، فأمر بأخذ البيعة بولاية العهد لأبنائه الثلاثة فى سنة ٢٣٥ هـ / ٨٥٠ م وهم : محمد ولقبه المنتصر ، وابى عبدالله ولقبه المعتز ، وابراهيم ولقبه المؤيد ، وقسم بينهم الولايات (١) ، فى محاولة لتعزيز النفوذ العباسى على أجزاء الدولة وحصر السلطة بيد العباسيين (٢) ، فعهد الى المنتصر أفريقيا والمنطقة الممتدة من المغرب حتى العراق وجند قنسرين والعواصم والثغور الشامية والجزرية والجزيرة والموصل والسواد والحرمين والجزيرة العربية والاهواز والسند ومنطقة الجبال وصدقات العرب بالبصرة ، وولى المعتز كورخوسان وكور فارس ، أما المؤيد فقد ولاه على جند دمشق وجند حمص وجند الاردن وجند فلسطين (٣) ، ثم أضاف المتوكل على الله فى عام ٢٤٠ هـ/ ٨٥٤ م الى ابنه المعتز خزن بيوت الاموال فى جميع الافاق ودور الضرب وأمر بضرب اسمه على الدراهم (٤) . ولكن المتوكل على الله لم ينجح فى تنظيمه فان الخصومات بين أفراد العائلة المالكة ودسائس الحاشية أدت الى تحطيم خطته وساعدت على قتله (٥) ، اذ زادت نقمة الاتراك على المتوكل بسبب محاولاته المتعددة للحط من مراتبهم وافقادهم مراكزهم فأخذوا يخططون للفتك به قبل أن يفتك بهم ، فاجتمع بعض قادتهم ومنهم بغلون التركى وباغر وبغا الشرابى وبعض اولاد وصيف فدخلوا

---

(١) اليعقوبى : تاريخ جـ٢/ ٤٨٧ ، المسعودى : مروج جـ٤/ ٨٧ ، ابن مسكويه : تجارب جـ٦/ ٥٤٥ ، ابن حمدون : التذكرة الحمدونية مخطوط ورقة ٢٠٠ أ .

(٢) فاروق عمر : الخلافة العباسية ص٤٦ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ ١١/ ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٤) الطبرى : تاريخ جـ١١/ ٣٩ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧/ ٥٠ .

(٥) الدورى : دراسات ص ٥١ .

على الخليفة فى جوف الليل وهو فى مجلس لهوه فقتلوه هو وند يمه الفتح بن خاقان (١) ، ثم بايعوا ابنه المنتصر (٢) بالخلافة سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١م . وبقتل المتوكل على الله انحطت هيبة الخلافة فاستولى الاتراك على مرافق الدولة واستصغروا الخلفاء فكان الخليفة كالاسير فى يدهم ان شاءوا أبقوه وان شاءوا خلعوه ، وان شاءوا قتلوه (٣) ، وفشلت منذ ذلك الوقت حتى عام ٢٥٦هـ / ٨٧٠ م جهود الخلفاء المضنية فى الحد من سلطة الاتراك .

وقع المنتصر تحت سيطرة الاتراك الذين ألحوا عليه بخلع اخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد (٤) ، وكان المتوكل على الله قد عقد لهما البيعة بعد المنتصر فخشى الاتراك أن يتوفى المنتصر فيخلفه احدهما فيستأصلهم وينكل بهم ثأرا لأبيه . فلم يزالوا بالمنتصر حتى رضخ لطلبهم فأرسل اليهما بأن يخلعا أنفسهما فأجاب المؤيد ورفض المعتز فقال له المؤيد : " يا جاهل تراهم قد نالوا من أبيك وهو هو ما نالوا ثم تمتنع عليهم اخلع ويلك

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى الطبرى : تاريخ جـ ١١/ ٦٥ .

(٢) يذكر بعض المؤرخين أن مؤامرة قتل المتوكل على الله قد تمت باتفاق مع المنتصر . المسعودى : التنبيه ص ٣٦٢ ، ابن حزم : جوامع السيرة ص ٣٧٢ ، ابن العمرانى : الانباء ص ١٢٠ ، ابن كثير : البداية جـ ١٠/ ٣٤٩ ، ابن الوردى : المختصر جـ ١/ ٣٤٣ . كما أن البحترى الذى كان موجودا فى مجلس المتوكل أثناء مقتله قد قال فى قصيدته التى رثاه فيها مايدل على ذلك ومنها :

أكان ولى العهد اضمر غدرة   فمن عجب ان ولى العهد غادره

الديوان جـ ٢/ ١٠٤٨ .

(٣) ابن الطقطقى : الفخرى ص ٢٤٣ .

(٤) اليعقوبى : تاريخ جـ ٢/ ٤٩٣ .

ولا تراجعهم "(١). فخلعا انفسهما وكتبا بذلك كتابا ورد فيه: "ان أمير المؤمنين المتوكل على الله رضى الله عنه قلدنى هذا الامر وبايع لى وأنا صغير من غير ارادتى ومحبتى فلما فهمت أمرى علمت أنى لا أقوم بما قلدنى ولا أصلح لخلافة المسلمين فمن كانت بيعتى فى عنقه فهو من نقضها فى حل وقد حللتكم منها (٢) ...".

ويبدو أن المنتصر قد كره خلع أخويه من ولاية العهد ولكنه كان مسلوب الارادة أمام الترك المستبدين بالدولة ويتضح هذا من قوله لاخويه بعد ان كتبا كتاب الخلع "لان يليها بنو ابى أحب الى من أن يليها بنو عمى ولكن هؤلاء (وأومأ الى سائر الموالى ممن هو قائم وقاعد) الحوا على فى خلعكما فخفت أن لم أفعل ان يعترضكما بعضهم بحديده فيأتى عليكما" (٣).

ولكن المنتصر نفسه لم يستمر فى الخلافة أكثر من ستة أشهر اذ يبدو أنه سئم من سيطرة الاتراك فأخذ يهددهم بالقتل (٤). مما جعل الاتراك يخافونه واخذوا يدبرون لقتله ، فلما أصيب بالحمى رشوا طبيبه طيفور بثلاثين ألف دينار فقصده بريشة مسمومة (٥) فتوفى فى الخامس من ربيع

---

(١) الطبرى : تاريخ ج ١١/٧٦.
(٢) ن.م.س ج ١١/٧٧.
(٣) ن.م.س ج ١١/٧٦ (ط. الحسينية).
(٤) الطبرى : تاريخ ج٩/٢٥٢ (ط. دار المعارف) ، المسعودى : مروج ج ٤/١٣٤.
(٥) الطبرى : تاريخ ج ٩/٢٥٣ ، المسعودى : التنبيه ص ٣٦٣ ، الذهبى : دول ج١/١٥٠ ، اليافعى : مرآة الجنان ج٢/١٥٧ ، السيوطى : تاريخ ص ٣٣١ . ويذكر الطبرى بأن الاتراك قد رشوا خادم المنتصر ايضا وأمروه بأن يحتال فى سمه وجعلوا لعلى ابن طيفور جعله . تاريخ ج٩/٢٥٢-٢٥٣.

الاخر سنة ٢٤٨ هـ/٨٦٢ م[(١)] ودون أن يعهد لاحد بالخلافة . مما أعطى لقادة الترك حرية التدخل فى اختيار المرشح الجديد لمنصب الخلافة فاجتمع زعماء الموالى واستحلفوا قواد الاتراك والمغاربة[(٢)] والاشروسنية[(٣)] على أن يرضوا بمن رضي به بغا الكبير وبغا الصغير واوتامش وذلك بتدبير أحمد بن الخصيب فحلف القوم[(٤)] واتفقت كلمة الاتراك اولا على ان لا يولوا الخلافة أحدا من أبناء المتوكل خوفا من أن يبطش بهم ثأرا لابيه[(٥)]، فوقع اختيارهم على ابى العباس احمد بن المعتصم لكن بغا الكبير رفض ذلك الاختيار لعلمه بضعف شخصية أحمد هذا قائلا : "نجىء بمن نها به ونفرقه فنبقى معه وأن جئنا بمن يخافنا حسد بعضنا بعضا فقتلنا انفسنا"[(٦)] غير أن الأتراك أصروا عليه فوافقهم فى النهاية ، فأحضروه وبايعوه بالخلافة[(٧)] ولقبوه بالمستعين[(٨)].

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ١١/٧٩ ، المسعودى : التنبيه ص ٣٦٣، ابن الاثير : الكامل جـ٧/ص ص ١١٤ ، ١١٥ ، ابوالفدا : المختصر جـ٢/٤٢.

(٢) المغاربة : هم قوم جمعهم المعتصم من حوف مصر ومن حوف اليمن وحوف قيس وسماهم المغاربة . المسعودى : مروج جـ٤/٥٣.

(٣) الاشروسنيه : نسبة الى اهل اشروسنيه وهى بلد كبير فى بلاد ما وراء النهر شرقها فرغانه وغربها سمرقند وشمالها الشاس . ياقوت : معجم جـ١/١٩٧.

(٤) الطبرى : تاريخ جـ١١/٨٢ ، ابن مسكويه : تجارب جـ٦/٥٦٣، ابن الاثير : الكامل جـ٧/١١٧.

(٥) اليعقوبى : تاريخ جـ٢/٤٩٤ ، الطبرى : تاريخ جـ١١/٨٢ ، العصامى المكى : سمط النجوم جـ٣/٣٤٥.

(٦) الطبرى : تاريخ جـ ١١/٨٣ .

(٧) ن.م.س جـ ١١/٨٢.

(٨) الخطيب البغدادى : تاريخ جـ٥/٨٤ ، ابن العبرى : مختصر ص ١٣١، ابن العماد : شذرات جـ٢/١١٩ ، العصامى المكى : سمط النجوم جـ ٣/ ٣٤٥.

وقد بدأ عهد المستعين باضطرابات وحروب كثيرة ، اذ لم يكن اختياره للخلافة مرضيا للجميع فقد أنكر بعض القواد البيعة وجرت بين الأتراك والأبناء منازعات كثيرة (١) . وقام فريق آخر في سر من رأى بالمناداة باسم المعتز وانضم اليهم بعض العامة . وقد استمرت هذه الحروب وراح ضحيتها عدد كبير من جميع الفرقاء غير أن الفترة انتهت بانتصار الاتراك (٢) .

وقد ثارت فرقة الجند الشاكرية ببغداد بسبب استيلاء الاتراك على أمور المسلمين وقتلهم من أراد وا من الخلفاء واستخلافهم من أحبوا من غير ديانة ولا نظر الى مصلحة المسلمين (٣) . لكن الاتراك تمكنوا من ان يخمدوا هذا التمرد وأن يبقوا المستعين في منصب الخلافة . على ان وحدتهم هذه لم تلبث أن تفككت بسبب التباغض والتحاسد فيما بين زعمائهم اذ أن المستعين بسبب ضعف شخصيته قد فوض أمر الخلافة وحق التصرف في بيوت الاموال الى أوتامش الذى اتخذه وزيرا له وشاهك الخادم وام الخليفة فكانت معظم الاموال التى ترد الى الخلافة من الانحاء تنتقل الى هؤلاء الثلاثة دون غيرهم من قادة الاتراك وخاصة وصيف بغا (٤) ، ثم ان اوتامش لم يكتف بذلك بل عمد الى بيت المال فأسرف في الاخذ منه حتى لم يبق فيه شيء ، مما أثار

---

(١) اليعقوبي : تاريخ جـ ٢ / ٤٩٤ .
(٢) الطبري : تاريخ جـ ١١ / ص ص ٨٢-٨٣ ، ابن كثير : البداية جـ ١١ / ٢
(٣) الطبري : تاريخ جـ ١١ / ٨٥ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ١٢١ ، ١٢٢ ، ابوالفدا : المختصر جـ ٢ / ٤٢ ، ابن الوردى : تتمة جـ ١ / ٣٤٥ ، ابن العبرى : مختصر ص ٢٥٤ .
(٤) الطبري : تاريخ جـ ١١ / ٨٦ ، ابن مسكويه : تجارب جـ ٦ / ٥٦٦ ، ابن كثير : البداية جـ ١١ / ٣ .

حفيظة وصيف بغا ضده فأخذا يدبران لقتله والتخلص منه ، فعمد الى تأليب الموالى ضده حتى تذمرت الاتراك والفراغنة وتحاملوا عليه (١) وقالوا : " أخذ ارزاقنا وازال مراتبنا " (٢) ، ثم زحفوا اليه وهو فى الجوسق مع المستعين فاستجار اوتامش به فلم يجره فقتلوه وقتلوا شاهك معه وانتهبت دورهما وذلك فى ربيع الآخر عام ٢٤٩ هـ/ يوليو ٨٦٣م (٣) وبذلك تخلص المستعين من أحد قادة الاتراك فأصدر أمرا بلعنه فى جميع الافاق (٤) ولكن المستعين لم يسترد سلطته اذ حل باغر محل اوتامش، وكان باغر هذا شريرا قويا يتوقاه بغا وغيره ويخافون شره (٥) ، فعظم أمره واتسعت اقطاعاته ، وكثرت أعماله ، ولما كان المستعين يحاول التخلص من خطر الاتراك بضرب بعضهم ببعض ، فقد أمر بأن تنقل جميع أعمال بغا الى باغر ، فى نفس الوقت اتفق مع وصيف بغا على قتل باغر للتخلص من تسلطه (٦) . فلما أحس باغر بما يدبر له جمع اليه الجماعة التى اشتركت فى قتل المتوكل على الله وجدد عليهم البيعة واتفقوا على قتل وصيف وبغا والمستعين والمجئ بعلى بن المعتصم او بابن الواثق وجعله خليفة فيكون لهم الامر كما هو لوصيف وبغا (٧) ، غير أن قوة وصيف وبغا انتصرت فى النهاية فقتل باغر وقضى على آماله (٨) .

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ١١/٨٦ .
(٢) اليعقوبى : تاريخ جـ٢/٤٩٦ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ١١/٨٦ ، ابن حمدون : التذكرة الحمدونية ورقة ٢٠١ أ
(٤) اليعقوبى : تاريخ جـ٢/٤٩٦ .
(٥) الطبرى : تاريخ جـ١١/٩٤ .
(٦) ن.م.س جـ١١/٩٥ .
(٧) الطبرى : تاريخ جـ١١/٩٥ ، نقل الخبر عنه ابن مسكويه : تجارب جـ٦/٥٧٦ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧/١٣٨ .
(٨) الطبرى : تاريخ جـ١١/ص ٩٥ ، ٩٦ ، ابن حمدون : التذكرة الحمدونية ورقة ٢٠١ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧/١٣٩ .

شغب أصحاب باغر وهاجوا عند ماعلموا بمقتل صاحبهم وحاصروا قصر الخلافة (١) . وبذلك لم تعد العاصمة سر من رأى آمنة مما اضطر الخليفة الى الانحدار نحو بغداد (٢) فى المحرم سنة ٢٥١ هـ/٨٦٥ م ومعه أنصاره وصيف وبغا . وقد يكون السبب الحقيقى لانتقال الخليفة الى بغداد يكمن فى محاولة المستعين التخلص من سيطرة الاتراك وتسلطهم على الخلافة وما كان اصطحابه لوصيف وبغا الا رغبة منه فى سلب قوتهم بالابتعاد بهم عن مركز قوتهم فى العاصمة (٣)

اضطرب الاتراك لخروج الخليفة من سر من رأى واقامته ببغداد ، اذ أن ذلك سيفقدهم دورهم الرئيسى فى الحكم ، كما أنها ستكون فرصة لاهل بغداد لجعل مدينتهم مقرا للخلافة من جديد (٤)، فأرسلوا اليه وفدا من وجوه الموالى يعتذرون اليه ويسترضونه ومعهم البرد والقضيب ، وبعض الخزائن ومائتا ألف دينار وطلبوا من الخليفة الرجوع الى سر من رأى بعد أن اعترفوا بذنوبهم وأقروا بخطئهم وضمنوا الا يعودوا ولا غيرهم من نظرائهم الى شىء مما أنكره عليهم الخليفة (٥) وقد عاتبهم المستعين بقوله : " أنتم أهل بغى وفساد واستقلال للنعم ألم ترفعوا الى فى أولادكم فألحقتهم بكم وهم نحو من ألفى غلام ، وفى بناتكم فأمرت بتصيرهن فى عداد المتزوجات وهن

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ٧ / ١٣٩ ، ابو الفدا : المختصر جـ٢ / ٤٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ٢ / ٣٣٢ ، ابن الوردى : تتمة جـ١ / ٣٤٦ ، ابن خلدون العبر جـ٣ / ٣٨٧ .

(٢) المسعودى : التنبيه ص ٣٦٤ ، ابن حمدون : التذكرة ورقة ٢٠١ ب ، الوافى بالوفيات جـ٨ / ٩٣ .

(٣) ن . م . س ص / ٢٠ .

(٤) المسعودى : مروج جـ٤ / ١٦٢ .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ١١ / ص ٩٧ ، ٩٨ .

نحو من أربعة آلاف امرأة وفي المدركين والمولدين وكل هذا قد أجبتكم اليه وأدررت لكم الارزاق حتى سبكت لكم آنية الذهب والفضة ومنعت نفسه لذتها وشهوتها كل ذلك ارادة لصلاحكم ورضاكم وانتم تزدادون بغيا وفسادا"(١) فتضرعوا اليه بأن يصفح عنهم ويرجع معهم الى سرمن رأى فأظهر رضاه عنهم ولكنه امتنع عن العودة وطمأنهم بأن ارزاقهم ستصلهم الى سر من رأى بانتظام (٢).

شعر الأتراك بحرج موقفهم بعد رفض المستعين العودة معهم فأجمعوا رأيهم على مبايعة المعتز وخلع المستعين من الخلافة ، وأرادوا ان يكسبوا قرارهم هذا صفة شرعية فأعلنوا بأن خلافة المستعين كانت باطلة اذ أن المتوكل كان قد بايع لابنه المعتز بعد المنتصر (٣) . وبادروا الى السجن فأخرجوا منه المعتز والمؤيد وبايعوا للمعتز بالخلافة وخلعوا المستعين (٣). وبذلك اصبح هناك خليفتان في آن واحد ، أحدهما في بغداد والآخر في سرمن رأى، فلما وصلت أنباء بيعة الاتراك للمعتز الى بغداد أدرك أميرها محمد بن طاهر (٥) أن الاتراك لابد أن يغروا المعتز على قتال المستعين في بغداد فأمر بقطع الميرة عن سرمن رأى كما كتب الى عماله بالجمع والاحتشاد وقام بتحصين بغداد بأمر من المستعين فأدير عليها الاسوار وحفرت حولها الخنادق والبست الابواب بصفائح من الحديد ورتب عليها الرجال

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ١١/ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) ن٠م٠س٠ جـ ٩٨/١١.

(٣) الصفدى : الوافي بالوفيات جـ٨/ص٩٣، ٩٤ .

(٤) الطبرى : تاريخ جـ٩٨/١١ ، ابن الاثير : الكامل جـ١٤٢/٧ ، ابوالفدا المختصر : ج٤٣/٢ ، الذهبى : دول جـ١٠١/١ ،ابن كثير : البداية جـ٧/١١ ،ابن خلدون : العبر جـ٢٨٧/٣ ، السيوطى :تاريخ ص ٣٢٢ .

(٥) محمد بن طاهر جـ هو امير خراسان والشرطة والسواد والرى وطبرستان، وكرمان . ابن الاثير: الكامل جـ١٣/٧ .

الذين زودوا بالسلاح والمنجنيق ، كما أمر بقطع القناطر من كل ناحيــــة ليمنع وصول الاتراك اليهم [١] ، ولم يكتف محمد بن طاهر بما لديه مـــن الجنود في بغداد بل استعان بقوم من أهل خراسان كانوا في طريقهـــم الى بلادهم بعد أن أدوا فريضة الحج . وكتب المستعين الى عمال الخــراج في كل أرجاء الخلافة بأن يرسلوا وارداتهم الى بغداد [٢] .

وتأزمت الأمور في الدولة الى حد كبير ، وقد حاول كل خليفة استقطـاب أكبر عدد من الاعوان لمناصرته ، فكتب المستعين الى الجند الاتراك فــي سر من رأى يأمرهم بنقض بيعة المعتز ويذكرهم بأفضاله عليهم وينهاهم عن معصيته في حين أن المعتز كتب الى محمد بن طاهر يدعوه الى المبايعة له لان المتوكل على الله قد عهد اليه بالخلافة بعد أخيه المنتصر [٣] ، وقد انحاز معظـــم زعماء الأتراك الى المعتز مثل موسى بن بغا وعبد الله بن بغا الصغير ممـــا يشير الى شعورهم بأن سيادتهم متعلقة بنتيجة هذه الحرب [٤] .

---

(١) الطبري : تاريخ ج١١/ص ١٠٠ = ١٠١ ، ابن كثير : البدايـــة ج١١/ ٧ ، ابن خلدون : العبر ج٣/ ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٢) الطبري : تاريخ ج١١ / ١٠١

(٣) الطبري : تاريخ ج١١/ ١٠١ ، ابن الاثير : الكامل ج٧/ ١٤٤ ، ابن كثير : البداية ج١١/ ٧ .

(٤) السامرائي : المؤسسات ص/ ٢٢ .

أعد المعتز جيشا كبيرا لحرب المستعين ومحمد بن طاهر قوامه خمسون ألف من الاتراك والفراغنة (١) هذا عدا المغاربة ، وجعل على قيادته أخاه الموفق ابا أحمد بن المتوكل الذى جعل له التصرف فى جميع أمور الجيش ، سار أبو أحمد بجيشه حتى وصل عكبراء (٢) عند مشارف بغداد يوم الجمعة ٢٩ محرم ٢٥١ هـ/ ٣ مارس ٨٦٥ م فصلى ودعا للمعتز بالخلافة وانتهب جيشه جميع القرى التى تقع بين بغداد وعكبراء " فخربت الضياع وانتهبت الغلات والامتعة وهدمت المنازل وسلب الناس فى الطريق " (٣) . وقد وصل أبو أحمد الى بغداد فى ٧ صفر / ١١ مارس وبدأ فى حصارها من الجانبين (٤). فوقعت حرب طويلة بين الفريقين ، وبالرغم من أنها كانت سجالا بينهما الا أن النصر فى معظمها كان لجيش المعتز بقيادة أبو أحمد الموفق . ففى ١٧ صفر خرجت فرقة من جيش أبو أحمد الى النهروان (٥) واستطاعت ايقاع الهزيمة بالموكلين بحفظها من قبل محمد بن طاهر . واستولوا على طريق خراسان وقطعوها عن بغداد (٦) . كما تمكن الاتراك من الانبار بعد

---

(١) اليعقوبى : تاريخ جـ٢ / ٤٩٨ ، وقد قدر الطبرى الجيش الذى خرج مع ابو احمد بسبعة الاف جندى فى الجانب الشرقى واثنا عشر الفا فى الجانب الغربى . الطبرى : تاريخ جـ١١ / ١١٧ .

(٢) عكبراء : بليدة من نواحى دجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . ياقوت : معجم جـ٤ / ١٤٢ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ١١ / ١٠٢ .

(٤) الجانب الشرقى وهو المعروف بباب الشماسية اما الجانب الغربى فهو المعروف بباب قطربل .

(٥) النهروان : كوره واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقى حدها الاعلى متصل ببغداد . ياقوت : معجم جـ٥ / ٣٢٥ .

(٦) الطبرى : تاريخ جـ١١ / ص ص ١٠٤ - ١٠٥ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧ / ١٤٧ .

حرب طويلة قتل فيها عدد كبير من الفريقين ، وأخيرا تم استيلاؤهم على المدائن (١) .

أدت الهزائم الكبيرة التى لحقت بأهل بغداد وكثرة القتلى منهم (٢) ، من ناحية ثم تدهور الامدادات الغذائية من ناحية أخرى اذ خربت الضياع وانتهبت الاسواق وتضائل ورود المواد الغذائية لبغداد بسبب الحصار مما أدى الى الارتفاع الفاحش فى الاسعار الى اضعاف (٣) هزيمة جيش المستعين أدرك محمد بن طاهر أنه من المصلحة السعى الى التفاوض من أجل الصلح وخاصة بعد التذمر المستمر من العامة من سوء الحالة التى وصلوا اليها (٤). وقد صرح محمد بن طاهر للمستعين بنيته لطلب الصلح (٥) فوافق المستعين على الصلح فقط (٦) . ويذكر الطبرى سببا آخر لتخاذل ابن طاهر عن الاستمرار فى مناصرة المستعين ، وهو دسائس عبيد الله ابن خاقان (٧) لدى محمد بن طاهر حيث أخبره بأن المستعين هو أشد الناس نفاقا كما أنه

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ٧/١٥٧ ، ابن خلدون : العبر جـ٣/٢٨٩ .
(٢) ابن كثير : البداية جـ١١/٨ ، اليافعى : مرآة الـ جـ٢/١٥٨ ، ابن العماد : شذرات جـ٢/١٢٥ .
(٣) اليعقوبى : تاريخ جـ٢/٤٩٩ ، الصفدى : الوافى جـ٨/٩٤ ، ابن خلدون : العبر جـ٣/٢٨٩ ، السيوطى : تاريخ ص ٣٣٢ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ١١/ص ١٣٠-١٣١ .
(٥) ابن كثير : البداية جـ١١/٩ .
(٦) الطبرى : تاريخ جـ١١/١٣٤ .
(٧) عبيد الله بن خاقان : هو وزير المتوكل على الله وقد سبقت الاشارة اليه فى عهد المتوكل .

أراد أن يتآمر على قتله مع وصيف وبغا مما جعل محمد بن طاهر يقول : " أخزى الله هذا لا يصلح لدين ولا دنيا "(١) ، فجد فى خلع المستعين فالتقى مع أبى احمد بالشماسية ووضعا شروط الاتفاق بعد نقاش طويل دار بينهما (٢) . وقد تضمنت وثيقة الصلح شروطا أهمها : ان يخلع المستعين نفسه من الخلافة على أن يكون له الأمان ولاهله وما حوته أيديهم من أملاك (٣) ، وأن يدفع له مقدما مبلغ خمسون ألف دينار ، وأن يرتب له ثلاثون الف دينار فى السنة ، وأن يكون مقامه بالمدينة المنوره وان يمكن من التردد بينها وبين مكة المكرمة ، وأن يولى بغا ولاية الحجاز جميعا ، ويسند الى وصيف ولاية الجبل وما والاه ، وأن يكون ثلث مايجبى من المال لمحمد بن طاهر وجند بغداد والثلثان للموالى والأتراك (٤) . امتنع المستعين عن الاجابة الى خلع نفسه فى بداية الامر ظنا منه بأن وصيف وبغا سيقفان الى جانبه ولكنهما خذلاه ووافقا على شروط الصلح التى كانت ضمانا لمصالحهما. وبذلك لم يكن أمام المستعين الا الاجابة على خلع نفسه (٥) . وقد جمع محمد ابن طاهر وجوه اصحابه وقواده وأوضح لهم ان سعيه لخلع المستعين كان لمصلحتهم وسلامتهم ومنعا لاراقة مزيدا من الدماء (٦) ، ثم طلب منهم

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ١١/١٣٤ .

(٢) انظر ن.م.س جـ١١ ص ص ١٣٤-١٣٥ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ جـ٢/٤٩٩ ، الطبرى : تاريخ جـ١١/١٣٥ ، المسعودى : مروج جـ٤/١٦٣ .

(٤) الطبرى : تاريخ جـ١١/١٣٥ .

(٥) كان ذلك فى ١٨ ذى الحجة سنة ٢٥١ هـ/٨٦٥م . الطبرى : تاريخ جـ١١/١٣٥ .

(٦) الطبرى : تاريخ جـ١١/١٣٦ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧/ص ص ١٦١-١٦٣ .

الخروج بالشروط الى المعتز لاقرارها والتوقيع عليها من قبل المعتز. فوافق عليها المعتز وأكدها وخلع على القواد ووجه معهم من يأخذ البيعة من المستعين (١) . وكان ذلك فى يوم الخميس ٣ محرم سنة ٢٥٢ هـ/٨٦٦م . فخطب للمعتز ببغداد وبويع له فيها بالخلافة . ثم رجع ابواحمد الى سر من رأى فاكرمه المعتز وخلع عليه (٢).

انتقل المستعين الى واسط بأهله وولده ليقيم بها قبل أن ينتقل الى المدينة المنورة . غير أن المعتز لم يجد أى حرج فى نقض شروط الاتفاق والامر باعتقال المستعين حيث سجنه فى واسط تسعة أشهر ثم أمر باخراجه الى سر من رأى حيث وكل به من قتله فى القادسية بالقرب من سر من رأى فى شوال عام ٢٥٢ هـ/٨٦٦م (٣) . ولعل سبب قتل المستعين شدة كراهية المعتز له فقد كان يحب دائما سماع الذم فى المستعين وكان يقول فيه : "انه خرب الملك خرابا لا ينجبر بعده وما اشبهه بلص دخل الى دار مملوءة فجعل يستلب ويأخذ ماليس له "(٤) .

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ١١/١٣٦ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧/١٦٢ ، المسعودى : مروج جـ ٤/١٦٣ .

(٢) كان ذلك فى ٤ محرم سنة ٢٥٢ هـ . الطبرى : تاريخ جـ١١/١٣٧ ، ابن العمرانى : الانباء ص ١٢٨ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧/١٦٧ ، ابوالفدا : المختصر جـ٢/٤٣ . ابن الوردى : تتمة جـ١/٣٤٦ ، ابن كثير : البداية جـ١١/١٠ .

(٣) المسعودى : مروج جـ٤/١٦٤ . الخطيب البغدادى : تاريخ جـ٥/٨٥ ، الصفدى : الوافى بالوفيات جـ٨/٩٤ ، ابوالفدا : المختصر جـ٢/٢٤ ، الذهبى : العبر جـ٢/٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ٢/٣٣٦ ، السيوطى : تاريخ ص٣٣٢ ، القرمانى : أخبار ص١٦٢ .

(٤) الصولى : أخبار البحترى ص ١٠٤ .

اعتلى المعتز الخلافة والدولة فى غاية من الاضطراب والفوضى بسبب الظروف التى أحاطت بتوليته الخلافة فكان لانتصار الاتراك على المستعين واهل بغداد سببا فى ازدياد استبدادهم وجبروتهم حتى أصبح عمر الخليفة ومدة خلافته يقدران فى نظر الناس بمقدار رضى الاتراك عنه (١). وقد حاول المعتز أن يحد من سلطة الاتراك بتقريب المغاربة والفراغنة اليه ولكن الفشل كان نصيبه فى هذا المسعى (٢). وقد وقع المعتز تحت سلطة زعماء الاتراك وقادتهم ولاسيما وصيف وبغا ، فاما وصيف فقد استبد بالدولة واخضع الخليفة فاصطفى أموال الدولة لنفسه (٣). ولم يستطع المعتز التخلص منه الا بعد أن ثار الجند الاتراك يطالبون بأرزاقهم فلم يجبهم وصيف فقتلوه (٤). وقد انفرد بغا بالسلطة فتمر وطغى (٥). وكان المعتز يخافه كثيرا لدرجة أنه كان لا يخلع سلاحه أبدا الا فى الليل ولا فى النهار وكان يقول : "انى لا خاف ان ينزل على بغا من السماء او يخرج على من الارض" (٦). ولم يجد المعتز وسيلة للتخلص من بغا الا بضربه بغيره من قادة الاتراك فأثر صالح ابن وصيف وبايكباك (٧). وقد حاول بغا الهرب بعد ان سطا على بيت المال وأخذ منه الكثير من الذهب غير ان اصحابه خذلوه وتفرقوا عنه فبعث

---

(١) هذا ماذكره احد الظرفاء فى مجلس الخلافة عقب مبايعة المعتز . ابن الطقطقى : الفخرى ص ٢٤٣ ، حسين المصرى : صلات بين العرب والفرس والترك ص ٢٩٠ .

(٢) المسعودى : مروج ج٤ / ١٧٨ .

(٣) الذهبى : العبر ج٢ / ٥ .

(٤) اليعقوبى : تاريخ ج٢ / ٥٠٤ ، ابن حمدون : التذكرة ورقة ٢٠١ ب ، ابن الاثير : الكامل ج٧ / ١٧٨ ، ابوالفدا : المختصر ج٢ / ٤٤ ، ابن الوردى : تتمة ج١ / ٣٤٧ ، ابن كثير : الهداية ج ١١ / ١٢ .

(٥) الذهبى : العبر ج٢ / ٥ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس ص ٣٤١ .

(٦) المسعودى : مروج ج٤ / ١٧٧ .

(٧) اليعقوبى : تاريخ ج٢ / ٥٠٣ .

اليه المعتز من قتله وأتى برأسه ، فوهب لقاتلة عشرة آلاف دينار وأمر بنهب أملاكه (١) . ومع ذلك لم تطب الحياة للمعتز بمقتل بغا مع انه كان يقول " لا أستلذ بطيب الحياة حتى أنظر رأس بغى بين يدى "(٢) . اذ سيطر على الدولة صالح بن وصيف وبايكباك اللذين ضيقا عليه . وخشى المعتز أن يقوم الاتراك بعزله وتولية أخاه المؤيد الخلافة وخاصة بعد ان بلغه اتفاقهم على ذلك فأمر باخراج المؤيد من سجنه وقتله (٣) ، ثم عمد على حبس أخاه أبا احمد والتضييق عليه (٤) ، ثم نفاه الى واسط ثم الى البصره ثم رده الى بغداد (٥) . ولم يكتف بذلك بل قام بارسال جميع أولاد الخلفاء المقيمين بسر من رأى الى بغداد خوفا من أن يولى الأتراك أحدهم (٦) .

ولجأ الاتراك أخيرا الى المطالبة بأرزاقهم كوسيلة للتخلص من المعتز لعلمهم بنفاذ ما فى بيت المال من الاموال ، فدخلوا عليه " وجعلوا يقرعونه بذنوبه ويوبخونه على افعاله وطالبوه بالاموال "(٧) . ولما لم يكن لديه

---

(١) الذهبى : دول جـ١/١٥٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ٢/٣٤٢
ابن العماد : شذرات جـ٢/١٢٨ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم جـ٢/٣٤٢ .

(٣) كان المعتز قد خلع المؤيد من ولاية العهد وحبسه عندما بلغته بعض الاخبار تفيد بأن المؤيد يعمل على استمالة الاتراك الى جانبه .
المسعودى : مروج جـ٤/١٧٦ .

(٤) الطبرى : تاريخ جـ١١/١٤٦ ، المسعودى : مروج جـ٤/١٧٦ ، ابن كثير : البداية جـ١١/١١ ، السيوطى : تاريخ ص ٣٣٣ .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ١١/١٥٥ .

(٦) اليعقوبى : تاريخ جـ٢/٥٠٣ .

(٧) المسعودى : مروج جـ٤/١٧٨ .

مايعطيهم فقد استعان بأمه التى كانت تكتنز أموالا كثيرة غير انها شحت وأنكرت وجود اية أموال لديها (١) . فاتفقت كلمة الاتراك والفراغنة والمغاربة على خلع المعتز وقتله ، فدخل عليه بعضهم وسحبوه من رجله الى باب الحجرة وضربوه وأقاموه فى الشمس حافيا فى وقت شديد الحرارة فكان يرفع قدما ويضع أخرى لشدة الحر . وأخذ بعضهم يلطمه وهو يتقى ضرباتهم واستمروا به كذلك حتى خلع نفسه من الخلافة ، فأشهدوا القاضى وجماعة من أصحابه على تنازله عن الخلافة مقابل ان يعطوه الامان لنفسه وأهله ، ولكنهم لم يفوا بعهدهم فدفعوا به الى من يعذبه حتى مات (٢) .

عزم الاتراك على تولية محمد بن الواثق الخلافة فاستقدموه من بغداد قبل وفاة المعتز وعرضوا عليه ذلك الا انه رفض أن يقبل البيعة حتى يرى المعتز ليتنازل له عن الخلافة (٣) . فأتوا له بالمعتز حيث خلع نفسه أمامه من الخلافة وأقر بعجزه عن القيام بأمورها ورغبته فى تسليمها الى ابن الواثق

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ١١/ ١٦١ ، ابن حمدون : التذكرة ورقة ٢٠٢ أ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧/ ١٩٥ ، الكتبى : فوات الوفيات جـ٢/ ٣٧٤

(٢) الطبرى : تاريخ جـ١١/ ١٦١-١٦٢ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ص ص ١٩٥-١٩٦ ، ابن كثير : البداية جـ١١/ ١٦ ، ابن العبرى : مختصر / ص ٢٥٥ ، ابن الطقطقى : الفخرى ص ٢٤٣ ، ابوالفدا : المختصر جـ٢/ ٤٦ ، ابن الوردى : تتمة جـ١/ ٣٤٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٣/ ٢٣ ، ٢٤ ، القرمانى : اخبار ص ١٦٢ .

(٣) المسعودى : مروج جـ٤/ ١٧٨ ، ابن العمرانى : الانباء ص ١٣٣ ، ابن العماد : شذرات جـ٢/ ١٣٢ .

ومد يده له فبايعه وبذلك تمت البيعة لمحمد بن الواثق ولقب بالمهتدى (١) .

وقد يكون سبب اصرار المهتدى على مقابلة المعتز وسماع تنازله عن الخلافة رغبته فى اتباع الشريعة الاسلامية اذ لا يصح أن يقبل البيعة بالخلافة مع وجود الخليفة الشرعى ، أو لعله باصراره ذلك لم يرد ان يجعل للاتراك الفضل فى خلافته فيستطيع بذلك أن يحد من سيطرتهم وتسلطهم على الخلافة (٢) .

تولى المهتدى الخلافة فى رجب سنة ٢٥٥ هـ/ ٨٦٩م (٣) والدولة تعانى من الضعف والوهن فى جميع مرافقها ولا سيما الناحية العسكرية فانشغال قادة الجند الاتراك بالتنافس فيما بينهم وضعف الخلفاء وعدم محاولتهم الارتفاع الى مستوى الاحداث وانشغالهم باللهو والملذات مما جعلهم العوبة فى يد الاتراك كل ذلك شجع على قيام الحركات المناوئة التى حاول زعمائها تقطيع اوصال دار الخلافة العباسية . وقد حاول المهتدى أن يلفت نظر قادة الاتراك الى الخطر المحدق بالخلافة فكتب الى موسى بن بغا ان يلزم مكانه بالرى لمحاربة الحسن بن زيد (٤) خوفا من استفحال امره غير

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ١١/١٦٢ .
(٢) السامرائى : المؤسسات ص ٢٨ ، ٢٩ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ١١/١٦٢ ، اليعقوبى : تاريخ جـ٢/٥٠٥ ، المسعودى : مروج جـ٤/١٨٢ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ٣/٣٤٨ .
(٤) هو الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن على قام بثورة بطبرستان وتمكن من الاستيلاء عليها . انظر الصابى : المنتزع من كتاب التاجى صص ٤٠-٤١ .

ان موسى بن بغا أصر على القدوم الى سر من رأى فما كان من الخليفة الا الاذعان وقد برئ الى الله من فعل ابن بغا " واخلاله بالثغر واباحته العدو "(١) .

ومع كل هذه الاضطرابات حاول المهتدى أن يعيد للخلافة فاعليتها فرأى أن يبدأ أولا بمركز الخلافة فأمر باخراج القيان والمغنيين من سر من رأى وأمر بقتل السباع والنمور وطرد الكلاب وابطال الملاهى ورد المظالم ، فبنى لنفسه مجلسا عليه قبة سماها قبة المظالم وجلس للفصل بين الناس ، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، كما أشرف بنفسه على ادارة الدواوين (٢) . وفى نفس الوقت لم يغفل عن خطر زعمآء الاتراك لعلمه الأكيد بأنهم سبب الشلل التام الذى أصيبت به الخلافة فعمل على " تقديم الأبناء "(٣) وجعلهم قوة تقابل قوة الاتراك . ثم جدت ظاهرة جديدة بين الجند كانت فى مصلحة الخلافة وهى تذمر هؤلاء الجند من قادتهم الاتراك الذين استأثروا دونهم بجميع الامتيازات والاقطاعات فى حين أنهم أهملوا تلك الاقطاعات مما أدى الى خرابها ونقصان خراجها فتأخرت ارزاقهم نتيجة لذلك ، ورفعوا شكواهم هذه

---

(١) الطبرى : تاريخ ج ١١ / ١٧٣ .

(٢) اليعقوبى : تاريخ ج ٢ / ٥٠٥ ، المسعودى : مروج ج ٤ / ١٨٣ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ج ٣ / ٣٥٠ ، ابن الاثير : الكامل ج ٧ / ٢٠٣ ، البيهقى : المحاسن والمساوئ ص ص ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ابن كثير : البداية ج ١١ / ١٨ ، الكتبى : فوات الوفيات ج ٢ / ٥٣٤ السيوطى : تاريخ ص ٣٣٥ ، محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية ج ٢ / ٢٤٤ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ ج ٢ / ٥٠٦ .

(٤) الابناء : اطلق هذا الاسم على الجيل الثانى من أبناء الفرس الذين امتزجوا بالعرب قبيل ظهور الاسلام اما فى هذه الفترة فقد تكون احدى فرق الجيش العباسى الذين يرجعون الى اصل فارسى بدليل انهم استخدموا كقوة مقابلة للاتراك . السامرائى : المؤسسات ص / ٣٠ .

الى المهتدى الذى شكرهم على طاعتهم له وذكرهم بان معظم الاموال التى ترد الى الخلافة انما تصير الى قادتهم دونه فلا يستطيع بذلك دفع رواتبهم الا انه وعدهم بالنظر فى أمر الاقطاعات (١) .

عندئذ اتفقت كلمة الاتراك على المطالبة : بأن يتوفى الخليفة الاشراف على جميع شئون الدولة ، وان تبطل الاقطاعات وان تكون امرة الجيش الى أحد اخوة الخليفة (٢) . ومن هذه المطالب يظهر بأن الجند أدركوا اخيرا انه طالما بقيت السلطة فى يد قادتهم الترك فسيؤدى ذلك الى استفحال الخراب والفساد فى جسم الخلافة . وسيظلون هم اداة فى يد قادتهم يحققون بواسطتهم أطماعهم . غير أن المهتدى على مايبدو ولم يستغل الوضع كما ينبغى بالاستفادة من الجند وتوجيههم ضد قادتهم ، بل لجأ الى أسلوب الحيلة بضرب رؤوس الاتراك بعضهم ببعض فكتب الى بايكباك يستميله ويغريه بقتل موسى ابن بغا ومفلح ويستلم قيادة الجيش ويكون هو الامير على الاتراك (٣) . ويذكر المسعودى بأن المهتدى كتب أيضا الى موسى بن بغا يغريه بقتل بايكباك ومفلح (٤) ،غير ان بايكباك وموسى بن بغا اكتشفا خطة المهتدى وانه يسعى

---

(١) الطبرى : تاريخ ج ١١/ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ابن الاثير : الكامل ج ٧ / ٢٢١ ، ابن خلدون : العبر ج ٣ / ٢٩٩ .

(٢) الطبرى : تاريخ ج ١١/ ١٩٧ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ج٧ / ٢٢٨ ، ابن كثير : البداية ج ١١/ ٢٢ ، ابوالفدا : المختصر ج٢ / ٤٧ ، السيوطى : تاريخ ص/ ٣٣٦ ، القرمانى: اخبار ص ١٦٣ .

(٤) المسعودى : مروج ج٤ / ١٨٥ .

بذلك الى تشتيب شملهم وتفريق كلمتهم فأظهروا عداءهم له وأخذوا في الطعن عليه (١) ، وخاصة ان سياسته التى انتهجها لاصلاح الدولة من رد المظالم واظهار العدل ووعظ الناس بالعودة الى أحكام الشريعة الاسلامية قد أثقلت وطأته على هؤلاء القادة حتى انهم "استطالوا خلافته وسئموا أيامه " واخذوا يعملون الحيلة لقتله (٢) ، وتزعمهم فى ذلك بايكباك الذى عاد الى سر من رأى (٣) ودخل على الخليفة الذى اظهر الغضب عليه لتركه الجيش وعدم تنفيذ أمره بقتل موسى بن بغا ومفلح فأمر بالقبض عليه . وعندما طالت غيبته عن أصحابه أحاطوا بالجوسق يطلبون خروجه فما كان من المهتدى الا أن يواجه الموقف بشجاعة فأمر بقتل بايكباك والقاء رأسه الى أصحابه (٤) . فاضطرب الاتراك لمقتل رئيسهم واجتمعت كلمتهم على قتل المهتدى . واجتمعت جموعهم وكانوا زهاء عشرة آلاف (٥) ، فخرج اليهم المهتدى شاهرا سلاحه معلقا المصحف فى عنقه فى جيش أكثره من المغاربة والفراغنة (٦) والاشروسنية وبعض الاتراك ، فاستنفر العامة على اعدائه من الترك وأباح لهم دماءهم وأموالهم (٧) فلما اشتبك الفريقان

---

(١) اليعقوبى : تاريخ جـ٢/٥٠٦ .

(٢) المسعودى : مروج جـ٤/١٨٣ .

(٣) وكان المهتدى قد ارسله مع موسى بن بغا لقتال مساور الشارى الذى أثار فى الموصل . الطبرى : تاريخ جـ١١/٢٠٢ .

(٤) الطبرى : تاريخ جـ١١/ص ٢٠٣-٢٠٤ .

(٥) قدر الطبرى جيش المهتدى بستة الاف فارس كان عدد الاتراك فيهم الف جندى . تاريخ جـ١١/٢١٠ .

(٦) المغاربة والاشروسنية سبق تعريفهما اما الفراغنة فهم رجال من خراسان . المسعودى : مروج جـ٤/٥٣ .

(٧) اليعقوبى : تاريخ جـ٢/٥٠٦ .

انضم الاتراك الذين كانوا مع المهتدى الى أصحابهم مما أضعف أمر المهتدى الذى أخذ ينادى : " يامعشر الناس انصروا خليفتكم " " يامعشر الناس أنا أمير المؤمنين قاتلوا عن خليفتكم "(١) . فلم يجبه أحد خوفا من الاتراك ، فهزم وأصيب بجروح بليغة (٢) ، ووقع فى يد الاتراك الذين أسروه وأهانوه ثم حاولوا اجباره على خلع نفسه فأبى ، ومع ذلك أعلنوا خلعه وأسلموه الى من يعذبه حتى مات (٣) فى ١٨ رجب سنة ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠م (٤) .

أنهت وفاة المهتدى مرحلة حرجة مرت بها الخلافة العباسية فى عصرها الثانى وهى مرحلة فوضى الاتراك وسيطرتهم على السلطة ، ورغم ان هذه المرحلة ذهب ضحيتها خمسة من الخلفاء الا أنها انتهت لصالح الخلافة حيث ان الجند أصروا على ان تكون قيادة الجيش لاحد الامراء العباسيين ، فلما تولى المعتمد على الله الخلافة (٥) أجابهم الى طلبهم . ويبدو انه توسم خيرا فى أخيه أبى أحمد الموفق اذ ان له سابقة فى قيادة الجيوش فاستقدمه من مكة (٦) وولاه على الجيش ولما كان المعتمد على الله مشغولا بلهوه

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ١١/ص ص ٢٠٤-٢٠٦ .

(٢) اليعقوبى : تاريخ جـ٢/ ٥٠٦

(٣) الطبرى : تاريخ جـ١١/ص ص ٢١١-٢١٢ ، اليعقوبى : تاريخ جـ٢/ ٥٠٦

(٤) الطبرى : تاريخ جـ١١/ ٢٠٢ ، ابن العمرانى : الانباء ص ١٣٢ ، ابن كثير : البداية جـ١١/ ٢٣ ، وقد اختلف اليعقوبى معهم فى تاريخ الوفاة فذكر ان وفاته كانت فى ١٦ رجب . اليعقوبى : تاريخ جـ٢/ ٥٠٦ .

(٥) بويع المعتمد على الله بالخلافة فى يوم ١٦ رجب سنة ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠م ، ابن قتيبه : المعارف ص ١٧٢ ، الطبرى : تاريخ جـ١١/ ٢١٤ ، المسعودى : مروج جـ٤/ ١٩٨ .

(٦) الطبرى : تاريخ جـ١١/ ٢١٤-٢١٥ ، المسعودى : مروج جـ٤/ ١٩٩ ، البلوى : سيرة أحمد بن طولون ص ١٧٧ .

وانذاته (١) فقد امسك الموفق بالسلطة فى يده ، فكان له الامر والنهى وقيادة الجيوش وترتيب الوزراء والامراء (٢) ، فاستطاع أن يدبر كل ذلك بمهارة ويعيد الخلافة الى مركزها الطبيعى من حيث القوة والمهابة وأصبح الاتراك مجرد تابعين له بعيدين عن التدخل فى شئون الدولة ، ولعل السبب فى تغيير موقف الاتراك من مستبدين طاغين على الخلفاء الى مجرد قادة مطيعين للموفق يعود الى : تضعضع صفوفهم وانهاكهم فى هذه الفترة (٣) ، واحساسهم بالخطر من استفحال أمر الحركات الثائرة على الدولة وخاصة من ناحية صاحب الزنج الذى ظهر فى نواحى البصرة (٤) وجمع حوله الكثير من الزنج وتعاون معه بعض أهل قرى البصرة فأخذ ينتهب القرى ويقتل الاهالى ويهزم الجيوش التى ترسلها الخلافة لمحاربته ، هذا بالاضافة الى خطر يعقوب ابن الليث الصفار الذى سيطر على سجستان ثم استولى على كرمان وفارس (٥) ، واستطاع الحسن بن زيد أن يؤسس الامارة الزيدية فى طبرستان على حساب الخلافة (٦) . فلما فشل قادة الاتراك فى التصدى لكل هذه الاخطار اضطروا الى الاجتماع حول الموفق لدرء هذه الاخطار والقضاء عليها وخاصة وانهم خبروا قدرته القيادية أثناء حصار بغداد فى عام

---

(١) اليعقوبى : مشاكلة الناس لزمانهم ص ٣٤ .
(٢) ابن الطقطقى : الفخرى ص ٢٥٠ .
(٣) الدورى : دراسات ص ٧١ .
(٤) كان بداية تمرده فى رمضان سنة ٢٥٥ هـ/ ٨٦٩م . انظر الطبرى : تاريخ ج١١ ص ١٧٥ ، ١٧٧ .
(٥) اليعقوبى : تاريخ ج٢ / ص ٥٠٢-٥٠٤ .
(٦) كان ظهوره فى سنة ٢٥٠ هـ . انظر الصابى : المنتزع من كتاب التاجى ص ٤٠ ، ٤١ .

٢٥١ هـ/ ٨٧٥ م ، ولعل سرعة التفافهم حول الموفق يدل على شعورهم بأن بقاءهم متعلق بصمود الخلافة وانتصارها على اعدائها . ويبدو أن قادة الأتراك قد سئموا حالة الفوضى والاضطراب في الدولة فانعدم بذلك التنافس بينهم في عهد المعتمد على الله حتى أنهم تنازلوا عن مناصبهم الادارية . فقد سأل موسى بن بغا الخليفة أن يعفيه من ولاية المشرق(١).

ولعل ماتضمنته شخصية الموفق من عناصر القوة والحزم والبطولة والرأى السديد والقدرة على سلامة التصدى لسياسة الامور بالاضافة الى تمتعه بشخصية محببة الى الجند والرعية (٢) ما مكنه من تحويل القوة التركية من قوى متنافسة لتحقيق مصالحها الشخصية الى قوى تعمل لخدمة الدولة العباسية . وهكذا صار الترك في تلك الفترة أحد العناصر المحافظة للدولة .

• • •

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ١١/ ٢٣٥ .
(٢) المسعودى : التنبيه ص٣٦٧ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧/ ٤٤٣ ، اليافعى : مرآة الجنان جـ٢ / ١٩٢ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس ص ٣٤٢ .

٢ - الحركات المناوئة لسلطان الخلافة وموقف الموفق منها :

أدت الظروف الصعبة التى مرت بها الخلافة العباسية من استبداد الأتراك بالسلطة وانشغالهم عن تحقيق الامن والسلام فى الدولة بالتنافس فيما بينهم على التصرف فى أعلى مناصب الدولة الى اضعاف هيبة الخلافة وكان لذلك أثر كبير فى قيام حركات تمرد شملت جبهات متعددة من الدولة سواء فى الشرق أو فى الغرب بل وشملت بعض أقاليم العراق أيضا .

ففى المشرق نازع آل طاهر (١) سلطتهم عدة قوى كان منها الصفاريون اذ أدى ضعف الناحية الامنية فى الدولة الى ازدياد نفوذ الخوارج (٢) فى الاقاليم الشرقية من الخلافة حتى كادوا أن يستولوا على سجستان (٣) ، مما دفع أهالى هذه البلاد الى انشاء فرق منهم لمجابهة عبث هؤلاء الخوارج (٤) اطلقوا عليها اسم المطوعة (٥) ، فكان من هؤلاء المطوعة يعقوب بن الليث الذى ينسب اليه الصفاريون .

---

(١) تولى آل طاهر ولاية المشرق منذ عهد المأمون سنة ٢٠٥ هـ فجعلوا من خراسان مقرا لهم . ابن الاثير : الكامل جـ٦ / ٣٦٠ .
(٢) كان الخوارج قد انحطوا الى درك اللصوصية والنهب واثارة الفوضى فى تلك الاقاليم النائية . كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية جـ٢ / ٥٨ .
(٣) اليعقوبى : تاريخ جـ٢ / ٤٩٥ .
(٤) الدورى : دراسات ص ١١٢ ، فاروق عمر : الخلافة العباسية ص ٢٢ .
(٥) اليعقوبى : تاريخ جـ٢ / ٤٩٥ ، ابن خلكان : وفيات جـ٦ / ٤٠٢ ، ابن خلدون : العبر جـ٣ / ٢٩٣-٢٩٤ .

كان يعقوب فى أول أمره يعمل مع أخيه عمرو فى صناعة الصفر (١) بسجستان (٢) . وفى سنة ٢٣٧ هـ/٨٥٢ م ظهر رجل من اهل سجستان مشهور بالزهد والشدة فى قتال الخوارج يقال له صالح بن النضر الكنانى المطوعى (٣) ، فصحبه يعقوب وقاتل معه فحظى عنده بمنزلة عالية اذ جعله صالح كالنائب الذى ينوب عنه ، ولما توفى صالح بن النضر تولى مكانه درهم ابن الحسين فصحبه يعقوب أيضا (٤) ، غير أن الحسين بن درهم كان ضعيفا غير ضابط لامور العسكر ، فلما رأى اصحابه ذلك منه اجتمعوا على يعقوب المعروف عنه حسن السياسة والتدبير والمقدرة الحربية فملكوه أمرهم (٥) . فحارب يعقوب بن الصفار خوارج الشراة حتى أفناهم وخرب قراهم وتمكن فى نفس الوقت من تحويل المتطوعة الى جيوش منظمة مترابطة تطيع قائدها طاعة عمياء (٦) ، وبذلك اشتدت شوكته وزادت صولته فتغلب على سجستان مظهرا طاعة الخليفة (٧) الذى كاتبه مقلدا اياه حرب الشراة

---

(١) المسعودى : مروج جـ ٤/ ٢٠٠ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧/ ١٨٤ ابن خلكان : وفيات جـ٦/ ٤٠٢ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ١/ ٣٥٨ .

(٢) سجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة بينها وبين هراة عشرة أيام وهى جنوبى هراة . ياقوت : معجم جـ٣/ ١٩٠ .

(٣) ابن خلكان : وفيات جـ٦/ ٤٠٢ .

(٤) ابن الاثير : الكامل : جـ ٧/ ص ص ١٨٤-١٨٥ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان / ٤٠٢ ، ابوالفدا : المختصر جـ٢/ ٥٢ ، السرنجاوى : النزعات الاستقلالية فى الخلافات العباسية ص ٥٧ .

(٥) الاصفهانى : سنى ملوك الارض ص ١٦٩ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٦٤، ٦٥ .

(٦) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ١٨٥ ، حسن احمد محمود : الاسلام فى اسيا الوسطى ص ٨٤ .

(٧) الخليفة المعتز بالله .

كما ولاه على سجستان ، فأخذ يعقوب بن السفار يوطد نفوذه فيها بتحسين احوالها واصلاح طرقها وحفظها من غارات الخوارج وتنظيم مرافقها بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر (١) . ثم قام بقتال الترك على تخوم سجستان اذ أعلمه أهلها "بأنهم أضر من الشراة الخوارج" (٢) فتمكن يعقوب بن الليث من الانتصار عليهم وقتل ثلاثة من ملوكهم ، ثم لم يلبث أن بسط نفوذه على وادى كابل والسند ومكران (٣) . ويبدو ان يعقوب بن الليث اغتر بقوته بعد ان كثر اتباعه فخرج عن حد طلب الخوارج الى التفكير فى توسيع أملاكه على حساب الطاهريين . فسار الى هراة (٤) فى سنة ٢٥٣ هـ/ ٨٦٧ م وكان واليها من قبل الطاهريين - محمد بن أوس الانبارى - قد استعد لقتاله فدارت بين الطرفين معركة عنيفة انهزم بعدها محمد بن اوس الانبارى ، وبذلك ملك يعقوب بن الليث هراة (٥) وبوشنج (٦) . ولم يكتف

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج٧/ ١٨٥ ، ابن خلدون : العبر ج٣/ ٢٩٤ .
(٢) ابن خلكان : وفيات ج ٦/ ٤٠٣ .
(٣) ن . م . س . ج ٦/ ص ص ٤٠٣-٤٠٤ .
(٤) هراة : مدينة عظيمة مشهورة من امهات مدن خراسان + ياقوت : معجم ج ٥/ ٣٩٦ ولا تزال تعرف بهذا الاسم فى افغانستان وتقع فى شمالها الغربى على نهر هارى .
(٥) بوشنج : بليدة ذات ارض خصبة فى وادى مشجر من نواحى هراة بينهما عشرة فراسخ . ياقوت : معجم ج ١/ ٥٠٨ .
(٦) ابن الاثير : الكامل ج ٧/ ١٨٥ ، ابن خلكان : وفيات ج ٦/ ٤٠٤ ، السرنجاوى : النزعات الاستقلالية ص ٥٧ .

يعقوب بن الليث بذلك بل تطلع الى ولاية كرمان (١) ، فأرسل الى الخليفة المعتز هدية سنية وأخذ يفاوضه عليها وتعهد له بأن يدفع خراجا مقداره خمسة عشر مليون درهم ، كما تعهد بأن يعمل على اخراج على بن الحسين (٢) والى فارس منها (٣) الذى كان قد تباطأ فى ارسال الخراج الى الخلافة (٤) . ففى نفس الوقت كان على بن الحسين قد كتب الى المعتز يطلب منه ولاية كرمان ويذكر ضعف آل طاهر وعدم مقدرتهم على ضبط الامور فيهما ولما كان المعتز يعلم أن كلا من يعقوب بن الليث والحسين بن على كانا يشكلان خطرا على الخلافة العباسية ، لذلك فقد كتب الى كل منهما بولاية كرمان يريد استعداء كل منهما على صاحبه فاذا هزم أحدهما الاخر سقطت مؤنة الهالك عنه وانفرد بالآخر (٥) .

زحف يعقوب بن الليث من سجستان على أثر وصول كتاب الخليفة المعتز اليه يريد الاستيلاء على كرمان ، فى الوقت الذى أرسل على بن الحسين

----

(١) كرمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان . ياقوت : معجم ج٤/٤٥٤ .

(٢) على بن الحسين : كان مقيم فى بخارى ثم انتقل الى فارس وكان من المشاغبين وقوى فى أيام المعتز والمستعين فغلب على فارس وكان له بأس ومنعه . الاصطخرى : المسالك والممالك ص /٨٧ .

(٣) ابن خلكان : وفيات ج٦/٤٠٥ .

(٤) الطبرى : تاريخ ج٩/٣٨٢ (ط. دار المعارف) .

(٥) الطبرى : تاريخ ج٩/٣٨٢ ، ابن الاثير : الكامل : ٧/١٩١ ، محمد حيدر : الدويلات ص ٥٩ .

أحد قادته يقال له طوق بن المغلس فسبق يعقوب واستولى عليها (١). ويبدو أن قوة عزيمة يعقوب جعلته لا يعرف اليأس فلذلك نزل على بعد مرحلة من كرمان وأخذ يستطلع ويتجسس أخبار طوق بن المغلس، وظل على ذلك لمدة شهرين لم يتقدم خلالها لقتال ابن المغلس فلما أحكم خطته الحربية أظهر أنه يريد الرحيل الى سجستان وفعلا ابتعد لمسافة مرحلتين فلما وصل ذلك النبأ الى طوق ظن أن يعقوب قد كره حربه وترك له كرمان فوضع أوزار الحرب وأقبل على اللهو والشراب فما لبث يعقوب أن كر راجعا بعد ان تأكد من نجاح خطته فطوى المرحلتين فى يوم واحد وهزم طوق بن المغلس وأسره ثم استولى على كرمان وذلك فى عام ٢٥٥ هـ/ ٨٦٩م (٢). ولما بلغه على بن الحسين مافعله يعقوب بن الليث بقائده ابن المغلس أيقن بتوجهه اليه (٣)، فخندق على نفسه فى شيزار (٤) وكتب اليه كتابا يعلمه فيه بأن طوق قد فعل مافعل من غير أمر منه وقد جاء فى الكتاب قوله :" ان كنت تطلب كرمان فقد خلفتها وراءك ، وان كنت تطلب فارس فكتاب من أمير المؤمنين بتسلم العمل لا نصرف "(٥) . كما كتب اليه صاحب بريدها ووجهاء أهلها يترجونه

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٣٨٢.

(٢) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٣٨٣ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ص ١٩١ - ١٩٢ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣/ ٢٩٤.

(٣) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٣٨٤.

(٤) شيزار : بلد عظيم مشهور ، وهو قصبة بلاد فارس . ياقوت : معجم جـ ٣/ ٣٨٠ .

(٥) ابن خلكان : وفيات جـ٦/ص ٤٠٦ ، ٤٠٧.

بعدم التسرع فى سفك الدماء " لأن على بن الحسين لم يسلم البلد الا بكتاب الخليفة "(١) . لكن يعقوب رفض ذلك الطلب واعلن الحرب على على بن الحسين (٢) فسار هذا الاخير بجيشه وقد ضم اليه المتسوقة والتجار الى موضع حصين فى ظاهر شيراز يضيق الطريق فيه بمن يمر به ، فقد كان فى أحد جانبيه جبل لا يسلك ومن الجانب الاخر نهر صعب الاجتياز (٣) ، ويبدو أن على بن الحسين اعتقد ان تحصينه فى ذلك الموضع سيضر بيعقوب لانه سيعدم على حد قوله الوسيلة للوصول اليه فتقل لدى يعقوب المواد الغذائية له ولاصحابه والاعلاف لدوابهم (٤) . أقبل يعقوب بجيشه حتى أصبح على الجهة المقابلة لعلى بن الحسين يفصل بينهما النهر فاستطلع المكان وأمر اصحابه بالنزول على نحو ميل مما يلى كرمان ، وفى اليوم التالى تقدم يعقوب باصحابه حيث اقتحم بهم النهر وعلى بن الحسين ينظر اليهم وهو فى حيرة من أمره(٥)، ولم يلبث أن وصل أصحاب يعقوب الى معسكر على بن الحسين فالتقى الجيشان فى معركة تمكن جيش يعقوب بن الليث من هزيمة على بن الحسين وجيشه ،

---

(١) ابن خلكان : وفيات ج ٦/ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .
(٢) ن٠م٠س ج ٦/٤٠٧ .
(٣) الطبرى : تاريخ ج٩/ ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ابن الاثير : الكامل ج ٧/ص ١٩٢ ، ١٩٣ .
(٤) الطبرى : تاريخ ج٩/ ٣٨٥ .
(٥) الطبرى : تاريخ ج٩/ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

وقد حاول على بن الحسين ان يرجع قواته المنهزمة دون جدوى (١) وكانت النتيجة أن وقع ابن الحسين فى الاسر وتفرق أصحابه (٢) . وقد أتاح هذا الانتصار لقوات يعقوب بن الليث ان تدخل شيزار حيث نودى بالأمان ، فاطمأن الناس وامر يعقوب بن الليث الخطيب فى صلاة الجمعة بالدعوة للخليفة المعتز ولم يدع لنفسه فلما سئل عن سبب ذلك أخبرهم بأن أمير المدينة لم يقدم بعد وقال : " انما مقامى عندكم عشرة أيام ثم ارجع الى عمل سجستان " (٣) ، ثم جبى الخراج كما جمع جميع الاموال التى كانت فى بيت المال وعاد الى سجستان (٤) . بعد ان كتب الى الخليفة بطاعته وبعث له بهدية جليلة (٥) . والظاهر ان يعقوب لم يرغب فى ضم شيزار لكى يؤكد ولاءه للخليفة ويظهر له أنه يعمل تحت طاعته . ولكن قد يكون السبب الحقيقى ان يعقوب بن الليث قد ادرك وهو المحارب المجرب ان جيشه لن يقوى فى الوقت الحاضر على الاحتفاظ بمدينة شيزار وسجستان فى آن واحد للبعد الكبير بينهما ، ولذلك فكر فى انه لابد من تأجيل مشروع الاستيلاء

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ص ١٩٣ ، ١٩٤ ، ابن خلكان : وفيات جـ ٦ / ٤٠٩ .

(٢) الاصطخرى : المسالك ص ٨٧ ، السرنجاوى : النزعات الاستقلالية ص ٥٨ .

(٣) ابن خلكان : وفيات جـ ٦ / ٤١٠ .

(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٣٨٦ .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٣٨٦ ، ابن الاثير : الكامل : ٧ / ١٩٤ ، ابو الفدا : المختصر جـ ٢ / ٢٥ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣ / ٢٩٥ .

على فارس حتى يحكم استعداداته ، فقضى الفترة فيما بين عام ٢٥٥ هـ / ٢٥٦هـ / ٨٦٨-٨٦٩م فى توطيد أمور سجستان وتأمين حدودها بمحاربة مايجاورها وما يجاور اعمالها من الملوك (١) . وفى عام ٢٥٧ هـ/٨٧٠م خرج يعقوب بن الليث [redacted] الاستيلاء على فارس (٢) من المتغلب عليها محمد بن واصل التميمى (٣) ، ولكن أبو أحمد الموفق والذى اصبحت اليه ادارة أمور الخلافة أراد تشجيع يعقوب بالتوسع شرقا مستهدفا ابعاده عن جواره (٤) ، لذلك أرسل اليه بولاية بلخ وطخارستان الى مايلى ذلك من كرمان وسجستان والسند وغيرها " (٥) . فقبل يعقوب بن الليث ذلك وضم اليه هذه الولايات (ان لم يكن قد فعل ذلك من قبل) (٦) ثم أرسل رسولا الى الخليفة يحمل هدايا جليلة ليبرهن له على طاعته ، كما أرسل اليه أصناما أخذها

---

(١) ابن خلكان : وفيات جـ ٦ / ٤١١ .

(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٤٧٦ .

(٣) محمد بن واصل : هو من أهل فارس تمكن بمساعدة أحد الاكراد من الوثوب على عامل فارس من قبل الخلافة فقتلاه فى عام ٢٥٦ هـ وتولى محمد بن واصل أمر بلاد فارس . الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٤٧٤ .

(٤) الدورى : دراسات ص ١١٤ .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٤٧٦ .

(٦) الدورى : دراسات ص / ١١٤ .

من كابل[1] دليلا على جهاده في سبيل الله . على أن يعقوب بن الليث فيما يبدو كان كلما زاد سلطانه كلما تضائل ولاؤه وطاعته للخليفة فقد تاقت نفسه الى ضم ولاية خراسان اليه وخاصة وان الظروف ملائمة للاستيلاء عليها فمحمد بن طاهر فى حالة شديدة من الضعف اذ أدى اهماله لشئون امارته الى انتقاض كثير من الاعمال عليه " فلم يبق فى يده الا بعض خراسان واكثر ذلك مفتون منتقض بالمتغلبين فى نواحيها والشراة الذين يعيثون فى عطلة فلا يمكنه دفعهم "(٢) ، والذى زاد من تحطيم محمد بن طاهر أكثر الهزيمة الفادحة التى حلت بجيشه أمام الحسن بن زيد المتغلب على طبرستان (٣) . ولعل الذى شجع يعقوب بن الليث الصفار اكثر على التقدم نحو نيسابور هو معرفته بانشغال الخلافة عن مساعدة محمد بن طاهر . كما أن عددا من خاصة ابن طاهر وبعض أهلها كاتبوه يستدعونه للدخول الى بلادهم بعدما رأوا من ضعف محمد بن طاهر وادبار أمره (٤) .

كتب يعقوب بن الليث الى محمد بن طاهر متظاهرا له بأنه لا يريد شرا به وانما هو يمر به فى طريقه الى طبرستان لمحاربة الحسن بن زيد المتغلب عليها وذلك بأمر من الخليفة(٥) . فبعث اليه محمد بن طاهر يستأذنه فى

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ٢٤٧ .
(٢) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ٢٤٨ ، ابن الوردى : تتمة جـ١ / ٣٥ .
(٣) ابن الاثير: الكامل جـ٧ / ٢٤٨ .
(٤) ن.م.س. جـ ٧ / ٢٦٢ .
(٥) ن.م.س. جـ ٧ / ١٦٢ .

استقباله فلما لم يأذن له ارسل اليه أهل بيته وعمومته فتلقوه واد خلوه نيسابور في شوال عام ٢٥٩ هـ/ ٨٧١م [١] وحينئذ أظهر يعقوب بن الليث نواياه ازاء محمد بن طاهر اذ قبض عليه وأساء معاملته وأسر جميع أهل بيته وأرسلهم الى سجستان . وبذلك يكون يعقوب بن الليث قد قضى على الطاهرية واستولى على خراسان ورتب عماله على مرافقها [٢] . ثم أرسل الى الخليفة يبرر عمله هذا بأن أهلها هم الذين كاتبوه وسألوه القدوم عليهم ليخلصهم من الشراة والمخالفين الذين تغلبوا عليها بسبب ضعف محمد بن طاهر ، فلما صار على بعد عشرة فراسخ من نيسابور سار اليه أهلها فسلموها اليه فدخلها [٣] . ويبدو أن يعقوب بن الليث الصفار قد استهدف من وراء هذه الرسالة ان يحصل على تقليد شرعي من الخلافة بولاية خراسان كما فعلت من قبل عندما قلدته بعض ولايات المشرق .

غير أن أبا أحمد الموفق أدرك بأن أطماع ابن الصفار لا تحد فأرسل اليه يخبره " بأن أمير المؤمنين لا يقار يعقوب على ما فعل وأنه يأمره بالانصراف الى العمل الذى ولاه اياه ، وانه لم يكن له أن يفعل ذلك بغير أمره فليرجع ،فانه

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٥٠٧ ، الشابشتي : الديارات ص ٨٣ .
(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٧ / ص ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٥٠٧ .

ان فعل كان من الأولياء ، والا لم يكن له الا ما للمخالفين (١) ، ويبدو أن يعقوب بن الليث لم يكن يتوقع هذا الرد من الخلافة وهى التى كانت دائما تغض النظر عن أعماله ولذلك لم يلتفت الى طلب الخلافة بل استمر فى توسعه معتمدا على قوة جيشه واستقامتهم على طاعته ودهائه فى الحروب(٢) . فاتجه شمالا قاصدا الاستيلاء على طبرستان وان كان قد تظاهر أنه قد قصدها للقبض على منافسه عبدالله السجزى (٣) الذى لجأ الى الحسن بن زيد . فلما رفض الحسن بن زيد تسليمه اليه أعلن يعقوب بن الليث الصفار الحرب والتقى عسكرهما فى معركة كانت نتيجتها هزيمة الحسن بن زيد وهروبه الى الديلم فى حين استولى يعقوب بن الليث على ساريه (٤) ثم زحف الى آمل (٥) وجبى خراجها (٦) . وبعد ذلك خرج يعقوب بن الليث يريد القبض على الحسن ابن زيد فجد فى المسير حتى وصل الى بعض جبال طبرستان فحالت صعوبة طرق المواصلات ورداءة الجو بينه وبين مواصلة التقدم بل انه لم يتخلص من مكانه الا بمشقة شديدة مما أجبره على العودة (٧) . ثم كتب الى الخليفة

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٥٠٧ .
(٢) المسعودى : مروج جـ ٤ / ص ص ٢٠٢ ، ٢٠٦
(٣) عبدالله السجزى : كان ينافس يعقوب على الرئاسة بسجستان ولكن يعقوب تمكن من قهره فهرب عبدالله الى نيسابور فلما قضى يعقوب على محمد بن طاهر هرب عبدالله الى طبرستان . الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٥٠٨ .
(٤) سارية : مدينة بطبرستان بينها وبين آمل ١٨ فرسخا . ياقوت : معجم جـ ٣ / ١٧٠ .
(٥) آمل : اكبر مدينة بطبرستان وهى مستقر الولاة فى ذلك الوقت . الاصطخرى : المسالك ص ١٢٤ .
(٦) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ص ص ٥٠٨ - ٥٠٩ .
(٧) ن . م . س . جـ ٩ / ٥٠٩ .

يخبره بأنه حارب الحسن بن زيد الخارج على الدولة فانتصر عليه بعد أن أباد الكثير من جيشه كما أسر سبعين من الطالبيين (١) . وكأنما يطلب يعقوب ابن الليث من كتابه هذا رضى الخلافة لانه يعمل فى خدمتها بالقضاء على اعدائها . غير ان الموفق لم يوافقه ذلك وخاصة وانه كان يأمل بأن يعم النظام والخضوع للسلطة المركزية فى الدولة (٢) .

• • •

ثورة الزنج :

بدأ اصحاب الاقطاعات الواسعة فى العراق فى القرن الثالث الهجرى يتجهون الى تحسين أوضاع أراضيهم الكبيرة لاستثمارها فى الزراعة . وهذا يتطلب منهم وجود ايدى عاملة كثيرة وعلى نطاق واسع ومنظم يعتمد عليها فى هذا الغرض . فلجأ بعضهم الى استخدام الزنج (٣) ، لما يتمتع به هؤلاء من الجلد على الكد والصبر على المشاق وشدة الأبدان(٤) حتى ان الرجل منهم " ليرفع الحجر ويحمل الحمل الثقيل الذى يعجز عنه الجماعة من الأعراب وغيرهم "(٥) . ولذلك أصبح الطلب يتزايد عليهم مما دفع التجار الى

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩ /ص ص ٥٠٩ - ٥١٠ .
(٢) سوف نتعرض للعلاقات بين الطرفين فى الفصل الثالث عند الحديث عن تأزم علاقة الخلافة بالصفاريين .
(٣) الدورى : دراسات ص ٢٠ .
(٤) أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ١/ ٧٤ .
(٥) الجاحظ : مجموعة رسائل الجاحظ ص ٦٤ .

تنظيم الحملات لاصطيادهم أو لشرائهم من جهات شرق أفريقيا وأواسطها وجلبوا منهم الالوف (١) . ولما كانت النظرة العامة للزنج في ذلك الوقت هي نظرة الازدراء والاحتقار (٢) ، فقد عمد الملاك الى تسخيرهم بالعمل بكسح السباخ (٣) من الاراضي المحيطة بالبصرة وجعلها صالحة للزراعة (٤) ، وبالاضافة الى ذلك فقد كانوا يستغلونهم ابشع استغلال اذ يجبرونهم على العمل في جماعات كبيرة تتراوح الواحدة منها مابين الخمسمائة وأكثر . بل قد تزيد عن هذا الحد كثيرا اذ بلغت المجموعة التي تعمل على نهر جبل خمسة عشر ألف غلام (٥) تحت ظروف معيشية غاية في الصعوبة وبشكل يخالف

---

(١) الدوري : دراسات ص ٢٠ .

(٢) حتى انهم عيروا بضعف عقولهم وقلة فطنتهم . انظر الجاحظ : مجموعة رسائل ص ٧٤ .

(٣) السباخ : هو تركيز الملح في طبقة التربة العليا بنسبة عالية . وذلك ناجم من جملة عوامل تتلخص في زيادة مياه الارواء عن الحد المقرر المطلوب للانبات وفي هذه الحالة تغور المياه عميقا في التربة حتى تصبح قريبة من مستوى المياه الجوفية . ان التقارب هذا يؤدي الى تسارع في التقاء المياه الصاعدة والهابطة وهذا يؤدي الى ان تصبح الارض رطبة الى عمق كبير وهذا يتسبب في اذابة الاملاح المتجمعة في الطبقات السفلى من سطح الارض على شكل بقع ملحية تزداد بمرور الوقت ولنفس الاسباب حتى تقضي على امكانية الزراعة . وهذا مايحصل حتى اليوم في مناطق داخلية من وسط وشمال العراق . انظر :

Samarraie, Husam Qawam, Agricultule in Iraq, p. 12.

(٤) الطبري : تاريخ ج٩ / ٤١٠ .

(٥) ن . م . س . ج ٩ / ٤١٤ .

جميع تعاليم الاسلام الحنيف[١] . فهم يسوقونهم الى العمل كالانعام[٢] ، الى منطقة سهول البصرة المليئة بالاجام مما يجعلهم عرضة للامراض الفتاكة[٣] ، ثم انهم كانوا يوضعون تحت رقابة صارمة من جانب وكلاء الملاك الذين ينزلون بهم كافة أنواع الذل والقهر والعمل الذى يفوق طاقتهم[٤] علاوة على هذا فانهم كانوا لا يتقاضون أجرا مقابل عملهم الشاق بل كان " يجرى لكل غلام منهم من الدقيق والسويق والتمر "[٥] الشىء القليل الذى لا يسد حتى جوعهم[٦] . كما ان هؤلاء الملاك قد حرموا على عبيدهم السكنى حتى فى البيوت اذ كانوا يتركونهم ينامون فى العراء او فى اماكن لا تصلح للسكنى[٧] ،

---

(١) فقد وضع الاسلام أسس واضحة لحقوق العاملين نورد فيما يلى بعضا منها : قوله صلى الله عليه وسلم " للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ، ولا يكلف من العمل مالا يطيق " وكان آخر ماوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : " اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون . فما أحببتم فأمسكوهم وماكرهتم فبيعوا ، ولا تعذبوا خلق الله فانه ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم " . الغزالى : احياء علوم الدين جـ ٢/ ٢١٩ . وقال صلى الله عليه وسلم : ان اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم . . . " العسقلانى : فتح البارى جـ ٤/ ٤٤٧ .

(٢) مؤلف مجهول : العيون جـ ٤/ ٥٠ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٤٤٧ ، آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ١/ ٢٣٦ .

(٤) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤١٤ .

(٥) ن . م . س . جـ ٩/ ٤١٣ .

(٦) يذكر الجاحظ قصة أحد أثرياء الاملاك الذى كان يضرب غلمانه الجياع ضربا مبرحا حتى ان رئيس غلمانه كان لا يستطيع الوقوف من شدة الجوع . الجاحظ : البخلاء ص ٣٠ .

(٧) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ص ص ٤١٤ ـ ٤١٥ ، السامر : ثورة ص ٢٨ .

فكانت الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية السيئة التى يرضخ تحتها الزنج ووضعهم المعاشى السيء وانعدام الشعور بالولاء نحو سادتهم فى المجتمع الاسلامى ثم تكتلهم الواسع مما ساعد على بعث شعور عام بينهم بالمصلحة والقيام ضد أسيادهم (١) . وقد نجح فى تفجير هذا الشعور أحد الطامعين فى السلطة وهو على بن محمد بن عبد الرحيم (٢) الذى اتخذ من هذه الجموع المتطلعة الى العدالة والمساواة الاسلامية أداة لتحقيق اطماعه الذاتية وقد أالقت عليه المصادر الاسلامية لقب صاحب الزنج (٣) وربما يكون ذلك تشكيكا فى نسبة انتمائاته او ادعائاته بالانتماء العلوى فى وقت قام فيه بأعمال غير أخلاقية بعيدة عن الشريعة (٤) والعدالة والمساواة ويندى لها جبين التاريخ .

- نسب صاحب الزنج :

ولد فى قرية ورزنين (٥) وفيها نشأ (٦) ، أما عن نسبه فقد ادعى بأنه عربى (٧)

---

(١) الدورى : دراسات ص ٧٧ .

(٢) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤١٠ ، حسن الباشا : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ص ٧٧ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤١٢ ، ابن حزم : جوامع السيرة ص ٣٧٥ ، المسعودى : مروج جـ٤ / ١٩٩ ، الذهبى : دول جـ١ / ١٥٣ .

(٤) ابن عنبه : عمدة الطالب ص ٣٧٦ .

(٥) ورزنين : هى من أعيان قرى الرى . ياقوت : معجم جـ٥ / ٣٧١ .

(٦) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤١٠ ، ابن حمدون : التذكرة ورقة ٢٠٢ أ .

(٧) الراجح بأنه كان اعجمى وقد يكون من اصول زنجية فالوصف الذى تقدمه عنه المصادر واسم ولده " انكلاى " وتصرفاته وحقده على بنى هاشم خاصة والعرب المسلمين عامة ترجح ذلك . اضافة الى العديد من المصادر التى اشارت الى ذلك . ولعل استعمال الطبرى كلمة " دعى " يشير الى ادعائه الانتساب الى عبد القيس .

وينتسب الى قبيلة عبد القيس(١) كما زعم بانه علوى اسمه على بن محمد بن أحمد بن على بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب(٢) .

ويبدو أن على بن محمد هذا قد أقام بالرى حتى خلافة المنتصر (٢٤٧ — ٢٤٨ هـ/ ٨٦١—٨٦٢م) حيث انتقل بعد ذلك الى سر من رأى ، فاشتغل بالتنجيم(٣) والسحر والاصطرلابات(٤) وبتعليم الصبيان على النجوم والخط والنحو(٥) . فى نفس الوقت الذى كان فيه متصلا ببعض خدم الخليفة المنتصر بالله يتزلف اليهم يمدحهم ويعيش على كسبه من ذلك(٦) . ومن الواضح أن عمله هذا لم يرض طموحه اذ انه كان يتطلع الى السلطة وتسمو نفسه الى معالى الامور(٧) . فترك سر من رأى سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م الى

---

(١) عبد القيس : كانت تقيم فى البحرين . انظر البلاذرى : فتوح البلدان ص ٩٥ ، القلقشندى : صبح الاعشى جـ ١/ ٣٣٧ .

(٢) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤١٠ ، ابن عنبه : عمدة الطالب ص ٣٧٦ .

(٣) يبدو أن صاحب الزنج كان كثيرا ما يعتمد على التنجيم ليؤثر به على نفوس أصحابه من الزنج وغيرهم فقد ذكر لهم انه لما اراد دخول البصرة نظر فى حساب النجوم ، ووقف على انكساف القمر . انظر الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٤٨١ .

(٤) وقد ظل يحمل معه الاصطرلابات حتى بعد ان قوى امره واجتمع حوله الزنج . انظر الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤٣٤ .

(٥) ابن أبى الحديد : شرح جـ٨/ ١٢٩ .

(٦) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤١٠ ، ابن حمدون : التذكرة الحمدونية ورقة ٢٠٢ أ .

(٧) ويتضح ذلك من شعره الذى يقول فيه :

رأيت المقام على الاقتصاد قنوعا به ذلة العباد
اذا صارم قر فى غمده حوى غيره السبق يوم الجلاد

ابن أبى الحديد : شرح جـ ٨ / ص ص ١٢٧—١٢٨ .

البحرين" ودعا الناس بهجر الى طاعته "(١) . وقد تعارضت وجهات نظر أهل هجر في الالتفاف حوله وقبول آرائه في الخروج على الدولة فتبعه قوم وعارضه آخرون فأدى ذلك الى حدوث الفتنة التى أدت الى الحروب بين الفريقين والتى لم تنتهي الا برحيل على بن محمد عنهم الى الاحساء(٢) . الا أن مدة اقامته لم تطل هناك ايضا اذ انه بعد ان اشتد امره فيها حتى ان اهلها قد " أحلوه من أنفسهم محل النبى فيما ذكر حتى جبى له الخراج هنالك ونفذ حكمه بينهم " ظهر لهم على ما بيد وكذب ادعائاته مما جعل جماعة كبيرة منهم يتنكرون له (٣) . فاضطر على بن محمد الى المسير الى البادية(٤) حيث أخذ يدعو لنفسه فادعى بانه يحيى بن عمر ابو الحسين(٥) المقتول بناحية الكوفة(٦) ، وادعى بأن علامات امامته قد بدأت بالظهور واظهر انه قد جرت على لسانه في ساعة واحدة عدة سور من القرآن الكريم وبانه لم يكن يحفظها من قبل (٧) . فانخدع به كثير من أهل البادية وزحف بهم الى قرية الردم(٨)

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤١٠ .

(٢) الاحساء : كانت مدينة بالبحرين . وكان اول من عمرها وحصنها وجعلها قصبه هو ابو طاهر سليمان بن ابى سعيد القرمطي . انظر ياقوت : معجم جـ١ / ١١٢ . المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٩٣ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤١٠ .

(٤) البادية : ضد الحاضرة من قرى اليمامة . ياقوت : معجم جـ١ / ٣١٨ .

(٥) كان خروجه في عهد المتوكل على الله وكان يدعو الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم . وجمع حوله عدد كبير من الانصار واستطاع اخراج عمال الخلافة من الكوفة . وقد تمكن محمد بن طاهر في عهد المستعين من القضاء على ثورته وقتله . انظر الاصفهانى : مقاتل الطالبيين ص ص ٦٣٩-٦٤١ .

(٦) يرجع ابن خلدون سبب ادعائه هذا النسب بانه راى كثرة خروج الزيدية فحدثته نفسه بالتوثب فانتحل هذا النسب. العبر جـ٣ / ٣٠٢ .

(٧) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤١١ .

(٨) الردم : قرية كبيرة لبنى عامر الحارث بالبحرين . أنظر ياقوت : جـ٢ / ٤٠ .

فى البحرين للانتقام من الفئة التى تنكرت له عند اقامته بينهم ، وقد وقعت بين الطرفين معركة عنيفة كانت الدائرة فيها عليه وعلى اصحابه اذ قتل منهم الكثير . فكرهه بذلك أهل البادية واكتشفوا خداعه لهم فتفرقوا عنه (١) .

وعندئذ لم يجد على بن محمد بدا من الخروج عنهم بعد ان منيت خطته هناك بالفشل .

- عودته الى العراق :

سار على بن محمد هذا ومعه أصحابه الذين انضموا اليه فى البحرين والبادية الى البصرة فى حدود سنة ٢٥٤ هـ/ ٨٦٨ م وهناك حاول ان يستفيد من أحوال البصرة المضطربة(٢) فبث فيها جماعة من أصحابه فى محاولة لاستمالة أهلها اليه . غير أن احدا لم يجبه ثم ان عامل البصرة من قبل الخلافة محمد بن رجاء الحضارى (٣) علم بأمرهم فعمل على تتبعهم لالقاء القبض عليهم ، غير انه لم يظفر بأحد منهم ، وقد فر على بن محمد الى بغداد (٤) واحتاط لنفسه فقد غير اسمه وانتسب الى أحمد بن عيسى

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤١١ .
(٢) حيث كانت البصرة مسرحا للفتن بين البلالية والسعدية . انظر الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤١١ .
(٣) محمد بن رجاء الحضارى : كان أحد قادة المتوكل على الله ولى البصرة عام ٢٣٩ هـ وقد اضطربت البصرة فى نهاية عهده اضطرابا شديدا أدت الى عزله من ولاية البصرة . انظر الطبرى : تاريخ جـ٩ / ص ص ١٩٧ – ٤١٢ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ص ص ٤١١ – ٤١٢ .

ابن زيد العلوى (١) ، وادعى علم الغيب (٢) اذ زعم بانه يستطيع معرفة " مافى ضمائر اصحابه ، وما يفعله كل واحد منهم ، وانه سأل ربه بها آية أن يعلم حقيقة أمره ، فرأى كتابا يكتب له ، وهو ينظر اليه على حائط ولا يرى شخص كاتبه " (٣) . وظل مقيما فى بغداد يترقب الفرص المواتية فلما علم بعزل محمد بن رجاء عن البصرة عاد اليها فى رمضان عام ٢٥٥هـ/ ٨٦٩ م فنزل فى منطقة تعرف بقصر القرشى (فى فرات البصرة) على نهر عمود بن المنجم (٤) . ويمكن اعتبار كل ما قام به على بن محمد منذ عام ٢٤٩ — ٢٥٥ هـ ، المرحلة الاولى من مراحل محاولته الوصول الى السلطة ومع أنها انتهت بالفشل غير انه خرج منها بفائدة وهى أنه استطاع ان يجمع حوله بعض الرجال الأشداء الذين أصبحوا فيما بعد قادة جيشه ومنهم : يحيى الازرق المعروف بالبحرانى وعبد اسود يقال له سليمان بن جامع ومحمد بن سلم القصاب وهؤلاء انضموا اليه فى البحرين (٥) ، أما من اعراب البادية فقد تبعه منهم على بن ابان المهلبى واخواه محمد والخليل (٦) . وفى بغداد التف حوله

---

(١) أحمد بن عيسى : كان خروجه بالبصرة فى أيام هارون الرشيد توفى سنة ٢٤٧ هـ . الاصفهانى : مقاتل الطالبيين ص ٦٢٦—٦٢٧ .

(٢) تعرض ابن المعتز فى قصيدته لادعاء صاحب الزنج علم الغيب فقال :

وقال انى اعلم الغيوبا لم ير فيها عالما مجيبا

الديوان ص ٤٨٤ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤١٢ .

(٤) ن . م . س . جـ ٩ / ٤١٣ .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤١١ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧/ ٢٠٦ .

(٦) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤١١ .

جعفر بن محمد الصوحانى وغلامين من غلمان يحيى بن خاقان مشـــرق ورفيق ، سمى الاول حمزة وسمى الاخر جعفر[1] . وعلاوة على ذلك معرفته بمواطن ضعف الدولة ففكر فى استخدام الزنج الذين يعملون فى اراضـــى البصرة[2] والذين كانوا يعانون من ضنك العيش حتى انهم اصبحوا فـــى انتظار من يخلصهم منها . ثم ان الدولة كانت مشغولة بمكافحة الخـــوارج وبذلك كان الطريق ممهدا امامه للبدء فى مرحلة تحقيق ماتصبو اليه نفسه .

__ بداية ثورة الزنج :__

بعد اقامة على بن محمد بقصر القرشى أراد أن يتعرف على صـــدى دعوته بين الزنج فاختار أحد الغلمان الذين كانوا يعملون كموزعين للطعـــام على الزنج واسمه ريحان بن صالح الذى كان على اتصال مباشر بهم فوعده بـأن يجعله قائدا على كل من يستطيع استمالته من الزنج فى الاستجابة الى دعوته[3] فما ان فعل ريحان ذلك حتى اجتمع اليه جمع كثير منهم أخذ له البيعـــة عليهم[4] . فكان ذلك بداية طيبة بالنسبة لصاحب الزنج مما شجعه علـــى زيادة نشاطه فأخذ يزيد فى اغراء الزنج للانضمام اليه وترك سادتهم فألقى فيهم

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤١٢ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧ / ٢٠٨ ، الخضرى تاريخ الامم الاسلامية ص ٣٠٣ .

(٢) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤١٣ . ابن عنبه : عمدة الطالب ص ٣٧٦ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤١٣ .

(٤) ابن أبى الحديد : شرح جـ٨ / ١٣٢ .

في ٢٨ رمضان ٢٥٥ هـ / ٨ سبتمبر ٨٦٨ م خطبته الاولى موضحا لهم فيها ما يصبو الى تحقيقه من أجلهم " ووعدهم أن يقودهم ويرأسهم ، ويملكهم الاموال وحلف لهم الايمان الغلاظ ألا يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع شيئا من الاحسان الا اتى به اليهم "(١) . فكانت دعوته تسرى بينهم مسرى النار في الهشيم فزاد اقبالهم في الاستجابة لدعوته فكانوا ينضمون اليه في جماعات تتراوح بين الخمسين والخمسمائة في المرة الواحدة(٢) اذ وجدوها فرصة للتخلص من الرق والعبودية والعمل الشاق(٣) . ثم خطبهم خطبته الثانية في يوم الفطر ١٠ سبتمبر وعدهم فيها بتحسين اوضاعهم وأنه سيملكهم العبيد والاموال والمنازل(٤) . ومن هذا يتضح بان صاحب الزنج لم يقصد الغاء الرق تماما بل قصد تحريرالزنج فقط اذ أنه عمد الى استرقاق أسرى المسلمين فيما بعد(٥) . وبذلك أفلح على بن محمد في استغلال بؤس الزنج للقيام بثورة قامت اولا ضد ملاك الاراضي فكان كلما قبض على واحد منهم سلمه الى عبده ليضربه(٦) ، ثم تدرج من ذلك الى اعلان القتال ضد النظام والخلافة نفسها(٧) . وقد اتخذ له شعارا هو

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤١٤ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤١٤ ، الدورى : دراسات ص ٨٢ .
(٣) ابن الاثير : الكامل جـ٧ / ٢٠٩ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤١٤ .
(٥) الدورى : دراسات ص ٧٧-٧٨ .
(٦) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤١٤ ، حسن باشا : دراسات ص ٧٧ .
(٧) وقد صور ابن المعتز في قصيدته ما كانت تصبو اليه أطماع صاحب الزنج فقال :

وقال سوف افتح السوادا ... واملك العباد والبلادا
ويدخلون عاجلا بغدادا ... فلم ير الكذاب ذا ولا ذا

الديوان ص ٤٨٤ .

قوله تعالى : "ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا "(١) . وذلك ليحض بها الزنج على قتال جيوش الخلافة التى صورها بأنها هى الفرقة الباغية والتى يوجب الله عليهم قتالها ولأجل ذلك كان قتلى الزنج فى الجنة لانهم يقاتلون فى سبيل الله . ولما رأى كثرة من اجتمع اليه من الزنج نظمهم على شكل جيوش وجعل منهم القادة وشجعهم أيضا على ضم المزيد منهم اذ أخبرهم بأن "كل من أتى منكم برجل فهو مضموم اليه"(٢) .

ويبدو أن صاحب الزنج لم يكتف بالتفاف الزنج حوله بل أراد أيضا أن يجمع عامة الناس اليه (٣) بادعائه نسبا علويا جديدا فادعى على بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (٤)

(١) سورة التوبة آية ١١١ .

(٢) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤١٥ .

(٣) اذ كان يبرر للناس سبب ثورته بأنه خرج غضبا لله لما يرتكبه الخلفاء من المعاصى وماكان عليه الناس من الفساد فى الدين . الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤١٩ . ويبدو ذلك ايضا من قوله :

لهف نفسى على قصور ببغداد وما قد حوته من كل عاص
وخمور هناك تشرب جهرا ورجال على المعاصى حراص
لست بابن الفواطم الزهر ان لم أقحم الخيل بين تلك العراص

القيروانى : زهرة الاداب جـ١ / ٣٨٨ ، ابن الابار : الحلة السيراء جـ١ / ٢٨٩ .

(٤) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤١٠ ، المسعودى : مروج جـ٤ / ١٩٤ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧ / ٢٠٥ ، ابن كثير : البداية جـ١١ / ١٨ ، ابن الطقطقى : الفخرى ص ٢٥٠ ، ابن العماد : شذرات جـ٢ / ١٢٩ .

ولعل هذا ماجعل بعضا من ذوى النفوس الضعيفة فى البصرة ينضمون اليه ، فقد أتاه قوم " بنى عجل فعرضوا عليه أنفسهم وبذلوا له مالديهم " (١) ،كما أتاه أهل قرية الكرخ (٢) فسلموا عليه ، ودعوا له بخير ،وامدوه بن الانزال بما أراد " (٣) .

وقد ظل صاحب الزنج متنقلا من موضع الى آخر يعيث فى الارض فسادا ويهزم جيوش الدولة فقد استطاع هزيمة عامل الخلافة على الابلة(٤) وتشتيت شمل جيشه (٥) . ثم تمكن من دخول القادسية(٦) فنهبها أصحابه (٧) ، وطمع بعد ذلك فى الاستيلاء على المذار لحسن موقعها فهى تتوسط البصرة وواسط (٨) . غير أنه أراد أن يحمى ظهره قبل ذلك فدخل قرية

---

(١) الطبرى : تاريخ ج٩/ ٤٢٠ .

(٢) كرخ البصرة : هى ناحية الرستاق الاعلى بالبصرة فى عراض المفتح . ياقوت : معجم ج٤/ ٤٤٧ .

(٣) الطبرى : تاريخ ج٩/ ٤٢٠ .

(٤) الابله : هى ميناء على شاطئ دجلة البصرة فى زاوية الخليج الذى يدخل الى مدينة البصرة . انظر: ياقوت : معجم ج١/ ٧٧ ، ، المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١١٨ .

(٥) الطبرى : تاريخ ج٩/ ٤١٦ .

(٦) القادسية : تقع على حدود البادية ، وهى مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه وزروع وليس بالعراق بعدها ماء جار ولا شجر. الاصطخرى: المسالك ص ٨٥ .

(٧) ابن الاثير: الكامل ج٧/ ٢١٠ ، ابن خلدون : العبر ج٣/ ٣٠٣ .

(٨) ياقوت : معجم ج ٥/ ٨٨ .

الجعفرية(١) واستولى على أموالها واسلحتها وأخذ تعهد من أهلها بألا يغدروا به أو يعينوا أحدا عليه . وعندئذ خرج الى المذار . ولما كانت المذار هى أول مستوطن استراتيجى يتجه اليه فقد وجد جيوش الخلافة بانتظاره بقيادة رميس (قائد فرقة البصرة) وقد حاول رميس مفاوضته ويظهر هنا بأن الحكومة لم تقدر نياته وحركته حق قدرها (٢) ، اذ عرض عليه رميس أن يعيد الزنج الى مواليهم مقابل أن يبذل له عن كل فرد منهم خمسة دنانير ، وأن يمنح له الامان . ولكن صاحب الزنج رفض هذا العرض كما هو متوقع وأصر على متابعة حركته (٣) . فعاد مسرعا الى الجعفرية حيث انتقم من أهلها شر انتقام لانضمامهم ومناصرتهم لقائد الخلافة رميس فقتل منهم خلقا كثيرا (٤) . ثم خرج عنهم الى قرية المهلبية(٥) فنهبها ثم أحرقها (٦) . وحدثت بعد ذلك بين صاحب الزنج وجيوش الخلافة معارك كثيرة كان الظفر فيها غالبا لقواته فكان يأمر بقتل الاسرى ويجمع الرؤوس معه ، وكانت من أهم هذه المعارك المعركة التى وقعت بينه وبين أحد القادة الاتراك ويدعى أبو هلال كان على رأس جيش كبير يقدر بحوالى أربعة الاف محارب فأنزل بهم صاحب الزنج هزيمة فادحة بعد أن قتل من جند أبى هلال زهاء ألف وخمسمائة جندى (٧) . والذى ساعد صاحب الزنج على تحقيق هذه

(١) الجعفرية : قرية كبيرة على نهر السيب الذى يجرى بالبصرة من جهة واسط . انظر ابوالفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٩ ، المقدسى : احسن التقاسيم ص ١١٤ .

(٢) الدورى : دراسات ص ٨٣ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤١٨ .

(٤) ن . م . س جـ ٩ / ٤١٩ .

(٥) قرية المهلبية : تقع على نهر الدير وهو نهر يبعد عن البصرة نحو عشرين فرسخا . ياقوت : معجم البلدان جـ٥ / ٣٢٠ .

(٦) الطبرى : تاريخ جـ٩ / صص ٤٢٣–٤٢٤ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧ / ٢١٠ .

(٧) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٢٤ .

الانتصارات مقدرته الفائقة في القيادة واستخدامه نظام الجاسوسية والاستطلاع لمعرفة احوال اعدائه وسيرهم العسكرى (١) . فعندما علم بواسطة جواسيسه أن أهل البصرة قد أعدوا جيشا لقتاله (٢) على شاطئ نهر بيان (٣) ، هاجمه وقضى عليه (٤) . ثم علم أيضا بأن كمينا قد أعدّ له عدده حوالى ألف من الجيوش المغاربة ، فأرسل جيشا بقيادة يحيى البحرانى وعلى بن ابان حيث تمكنوا من مهاجمة جيش الخلافة وقتلهم جميعا ثم استولوا على أسلحتهم (٥) .

أغرت هذه الانتصارات صاحب الزنج على الاتجاه نحو البصرة فحشد قواته وأمرهم بالانتظار وعدم التسرع بدخولها . غير أن بعضهم خالف أوامره وتسرع فى دخولها فاجتمع عليهم أهل البصرة وأبادوهم . فلما علم بذلك حاول التراجع مع أصحابه فانقض عليهم أهل البصرة وأوقعوا بهم هزيمة منكرة اذ غرق الكثير من الزنج فى نهر كثير (٦) وشيطان (٧) وكان ذلك يوم الاحد

---

(١) الدورى : دراسات ص ٨٤ .

(٢) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٢٥ .

(٣) نهر بيان : يجرى في الجانب الشرقي من دجلة العوراء . سهراب : عجائب الاقاليم ص ١٣٦ .

(٤) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٢٧ .

(٥) ن . م . س جـ ٩ / ص ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

(٦) نهر كثير : نهر بالبصرة منسوب الى كثير بن عبدالله السلمى عامل يوسف بن عمر الثقفى على البصرة لانه احتقره . ياقوت : معجم جـ ٥ / ٣٢٣ .

(٧) نهر شيطان : بالبصرة وينسب الى والى لزياد بن أبيه . ياقوت : معجم جـ٥ / ٣٢١ .

١٣ ذى القعدة ٢٥٥ هـ/ ٨٦٩ م وتفرق الباقون ولم يبق مع صاحب الزنج يومئذ الا خمسمائة رجل (١) . غير أن تفرقهم هذا لم يطل اذ لم يلبثوا أن اجتمعوا حوله مرة أخرى مما هيأ له فرصة استعادة قوته . وفى أثناء ذلك كان أهل البصرة قد حشدوا جموعهم لقتال صاحب الزنج راجين القضاء عليه بعدما أحسوا بنشوة النصر عليه فى المعركة السابقة(٢) . فاجتمع الرماة فى ثلاثةمراكب من الشذا (٣) هذا عدا المتطوعة وجمهور الناس الذين حرصوا على حضور المعركة . وقد أشار الطبرى الى كثرتهم فقال بأنهم : " قد سدوا ماينفذ منه البصر تكاثفا وكثرة " (٤) . وقد سارت سفنهم فى نهر شيطان بينما مشى الرجالة على شاطىء النهر ،فلماعلم صاحب الزنج بواسطة جواسيسه بقدومهم ، قسم جيشه الى ثلاثة فرق جعل فرقتين منها كمائن على جانبى النهر ، أما الفرقة الثالثة والتى كانت بقيادة على بن أبان فقد جعلها فى المقدمة وأمرهم بالاختباء والاستتار بتراسهم ليعلمونهم بقدوم أهل البصرة باشارة من أسيافهم(٥) . وبذلك ما ان مرت السفن حتى خرجت كمائن الزنج من خلفهم وثارت فرقة علي بن ابان وشاركت فى المعركة مما أوقع الاضطراب بين المحاربين من أهل البصرة فانقلبت مراكبهم مما أدى الى غرق الكثير منهم وقتل الباقون بسيوف الزنج فلم ينج من هذه المعركة الا القليل منهم . وكان ذلك في يوم الاثنين ١٤ ذى القعدة عام ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م.فعم

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩ /ص ص ٤٣٣-٤٣٤ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧ / ٢١٣ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٣٥ .
(٣) الشذا : ضرب من السفن والواحدة شذاة. ابن منظور: لسان العرب جـ ١٤ / ٤٢٧ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٣٥ .
(٥) ن.م.ص جـ٩ / ٤٣٦ .

الحزن والرعب أهالي البصرة وسمي هذا اليوم بيوم الشذا (١) نسبة الى الشذا التي نقلت المقاتلين فقتل معظم من فيها .

ومع ذلك فان صاحب الزنج لم يستمر في متابعة فلول أهل البصرة المنهزمة وامتنع عن الدخول الى المدينة وقد برر ذلك لاصحابه بقوله : " ابعدوا عنها فقد أرعبناهم وأخفناهم وأمنتم جانبهم ، فالرأي الآن أن تدعوا حربهم حتى يكونوا هم الذين يطلبونكم " (٢) . وسار الى سبخة (٣) قريبة تسمى سبخة أبي قرة (٤) ، فأقام بها وأمر اصحابه ببناء الاكواخ فيها . وأخذ يعتمد في تمويله على الاغارة على القرى المجاورة فكان اصحابه ينتهبون الاموال ويسرقون الماشية (٥) ويوقعون الرعب بين السكان . فلما رأى أهل البصرة استفحال أمر صاحب الزنج كتبوا الى الخليفة المهتدى يشكون ما حل بهم من البلاء ، فانفذ لهم الخليفة جيشا بقيادة جعلان التركي (٦) كما عين واليا

---

(١) الطبري : تاريخ جـ٩/ ٤٣٦ ، نقل الخبر عنه ابن الاثير : الكامل جـ٧/ صص ٢١٤–٢١٥ ، وابن أبي الحديد : شرح جـ٨/ صص ١٣٩ – ١٤٠ .

(٢) الطبري : تاريخ جـ٩/ ٤٣٧ .

(٣) السبخة : هي الارض المالحة النازة . ابن منظور: لسان العرب جـ٣ / ٢٤ .

(٤) سبخة أبي قرة : يذكر الطبري بانها تقع بين نهر ابي قرة ونهر الحاجر . تاريخ جـ٩ / ٤٣٧ . ولم اعثر على موقعهما بالضبط .

(٥) الطبري : تاريخ جـ٩/ ٤٣٧ ، ابن ابي الحديد : شرح جـ٨/ ١٤١ .

(٦) جعلان التركي : المعروف بالعيار لم يستطع الصمود امام الزنج في المعارك التي دارت بينهما سواء في عام ٢٥٦هـ او في عام ٢٦٤هـ وقد قتله الاعراب عند ما كان يقوم بمهمة حراسة قافلة كانت في طريقها الى عاصمة الخلافة في عام ٢٦٥هـ . الطبري : تاريخ جـ٩/ صص ٤٧٠–٥٤٣ .

حديدا على الابله (١) . وقد عسكر جعلان على بعد فرسخ واحد من معسكر صاحب الزنج وخندق على نفسه وظل كذلك لمدة ستة أشهر (٢) لم يستطع أن يحرز خلالها أى انتصار على صاحب الزنج اذ أن الاخير كان قد تحصن فى موقعه الكثير النخيل والاشجار المتشابكة فكانت من الطبيعى ان تعوق تقدم جيش الخلافة الذى كان يعتمد على فرقة الخيالة فى تتبع صاحب الزنج (٣) ، اضافة الى عدم معرفة أفراد الجيش بمسالك المنطقة وطرقها مما جعلهم يقفون عاجزين أمام قوة صاحب الزنج . وأخيرا انتهت مدة اقامة جعلان بمباغتة صاحب الزنج لمعسكره على حين غفلة فقتل الكثير منهم وروع الباقين . مما جعل جعلان يترك خندقه ويقيم بالبصرة (٤) . وكان التبييت واستعمال الكمناء من أبرز أساليب الزنج فى هذه الحرب وقد لاقت منهما جيوش الخلافة الامرين (٥) .

كان انتقال جعلان الى البصرة جعل المجال مفتوحا أمام صاحب الزنج الذى تحول من سبخة ابى قرة الى الجانب الغربى من نهر ابى الخصيب (٦) حيث هاجم أسطولا مكونا من أربعة وعشرين مركبا كانت تحمل اموالا عظيمة

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤٣٧ ، ابن خلدون : العبر جـ٣/ ٣٠٣ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤٧٠ .
(٣) ن.م.ص جـ٩/ ٤٧٠ .
(٤) ن.م.ص. جـ٩/ ٤٧٠ .
(٥) الدوري : دراسات ص ٨٦ .
(٦) نهر أبى الخصيب : أحد انهار البصرة كان مقطوعا لاحد موالى ابى جعفر المنصور. ياقوت : معجم جـ٥/ ٣١٥ .

للتجار وهى فى طريقها الى البصرة فقتل ملاحيها وسبى مافيها من الرقيق واستولى على الاموال (١) . وفى ٢٥ رجب من عام ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠م تمكن صاحب الزنج من دخول الابله مرة ثانية عنوة(٢) بعد قتال عنيف مع أهلها فلما اقتحمها اباحها لاصحابه فنهبت أموالها وقتل الكثير من أهلها ، ثم أضرموا النار فيها فكانت سرعة الرياح وبيوتها المبنية من الساج عاملا مساعدا على زيادة احتراقها فتطاير الشررمنها الى مسافات بعيدة(٣) ، مما أوقع الرعب بين أهل عبادان (٤) فاستسلموا بسهولة لصاحب الزنج خوفا من أن يصيبهم ما أصاب أهل الابله فدخلها الزنج واستولوا على مافيها من السلاح والرقيق ، فضم صاحب الزنج الرقيق الى رجاله ووزع بينهم السلاح . وكان أهل المدينة قد دفعوا له مالا مقابل أن تسلم مدينتهم من التخريب فأمنهم(٥) . ويبدو أن دفع المال لم يكن هو السبب الحقيقى وراء تأمين المدينة وأهلها اذ أن ذلك كان خلافا لعادة صاحب الزنج وسياسته فى الارهاب وسفك الدماء والتخريب والحقد على العرب المسلمين . ولكن هذا يؤكد نسبته الى الأصل الفارسى .

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩ /صص ٤٧٠-٤٧١ ، ابن أبى الحديد : شرح جـ ٨/ ١٤٢ ، الطائى : البصرة التحفة النبهانية ص ١٤١ .

(٢) الطبرى : تاريخ جـ٩ /صص ٤٧٠-٤٧١ ، ابوالفدا : المختصر جـ ٢ / ٤٨ ، ابن الوردى : تتمة جـ١ / ٣٥١ ، القلقشندى : مآثر الانافة جـ١ / ٢٧٠ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٧٢ ، الطائى : البصرة التحفة النبهانية ص ١٤٢ .

(٤) عبادان : تقع تحت البصرة على شط العرب وهى آخر قرية على الخليج العربى . شيخ الربوة : نخبة الدهر ص ٩٧ .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٧٢ ، ابن أبى الحديد : شرح جـ ٨ / ١٤٣ .

أرسل صاحب الزنج بعد ذلك جيشا بقيادة يحيى بن محمد البحرانى للاستيلاء على الاهواز[١] فمر فى طريقه على بلدة جبى[٢] فنهبها وأحرق مبانيها وقتل من مر به من أهلها[٣] ، ثم أكمل سيرته نحو الاهواز فلما وصلها هرب من كان فيها من الجند فضعفت بذلك معنويات أهل المدينة الذين لم يستطيعوا الثبات أمام تلك القوة الغاشمة فدخل الزنج الاهواز وقاموا بنهبها ثم قبضوا على مدبر خراجها ابراهيم بن المدبر لمحاولته الصمود أمامهم فيمن كان معه من غلمان وخدم ، وأخذوه أسيرا[٤] بعد أن استولوا على جميع أمواله وعبيده وكان ذلك فى ١٢ رمضان عام ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠ م مما أوقع فى النفوس الجزع ووطن الرعب والهلع بين أهل البصرة بعد ما علموا ما أصاب الابله والاهواز ،فاضطر كثير من الاهالى الى مغادرة المدينة الى كل مكان بعيد نجاة بأنفسهم[٥] .

---

(١) الاهواز: سبع كور بين البصرة وفارس ، وأصل الكلمة خوز فلما كثر استعمال الفرس لها غيرتها حتى أذهبت أصلها جملة لانه فى كلام الفرس جاء مهملة وعلى هذا يكون الاهواز أسما عربيا سمى به فى الاسلام ياقوت : معجم جـ١/ص ٢٨٤—٢٨٥ .

(٢) جبى : بلدة أو كورة من عمل خوزستان وهى فى طرف من البصرة والاهواز ياقوت : معجم جـ٢/ ٩٧ .

(٣) ابن الاثير: الكامل جـ٧/ ٢٣٧ .

(٤) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤٧٣ ، ابن حمدون : التذكرة ورقة ٢٠٢ ب .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤٧٣ .

حصل بعد ذلك تطورا فى أوضاع الخلافة العباسية اذ تولى المعتمد على الله الخلافة فى رجب ٢٥٦ هـ/ ٨٦٩م (١) فانتقلت السلطة فى عهده الى أخيه أبى أحمد الموفق الذى أظهر مقدرة فائقة على التصدى لسياسة الامور مامكنه من استرجاع هيبة الخلافة . ولعل انشغال أبى أحمد الموفق منعه من الاشراف على حرب الزنج بنفسه (٢) . فأرسل جيشا بقيادة سعيد بن صالح الحاجب (٣) فى رجب عام ٢٥٧ هـ/ ٨٧٠م ، وقد تمكن سعيد الحاجب من ان يحقق انتصارا على بعض فرق صاحب الزنج واستخلص من أيديهم نساء كن أسيرات لديهم ، بل استطاع أن يفرض سلطته على منطقة يقال لها هطمة بفرات البصرة فسادها بعض الامن فكانت"المرأة من سكان الفرات تجد الزنجى مستترا بتلك الادغال ، فتقبض عليه حتى تأتى به عسكر سعيد ما به من امتناع "(٤) ولكن الزنج بقيادة يحيى البحرانى لم يلبثوا أن باغتوه وقتلوا الكثير من أصحابه وأحرقوا معسكره مما اضطره الى تسليم

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤٧٤ ، المسعودى : مروج جـ٤/ ١٩٨ .

(٢) الدورى : دراسات ص ٨٨ .

(٣) سعيد الحاجب : أحد كبار القادة فى الدولة وكان الخليفة المعتز بالله قد عهد اليه قتل المستعين بالله فى عام ٢٥٢ هـ فلما نفذ هذه المهمة كافأه المعتز على ذلك بمبلغ من المال اضافة الى ولاية معونة البصرة . الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ص ص ٣٦٣ – ٣٦٤ .

(٤) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤٧٧ .

الجيش لمنصور بن جعفر الخياط (١) بعد أن أتاه الامر بالعزل من القيادة(٢) . ولم يكن حظ منصور بن الخياط أحسن من سلفه فقد كمن له الزنج وقتلوا عددا كبيرا من جنده (٣) . وبذلك أثبت الزنج تفوقهم على جند الخلافة فى ذلك الوقت .

ثم كانت وقعتهم العظمى بالبصرة فى شوال عام ٢٥٧ هـ/ ٨٧١م(٤) وذلك أن صاحب الزنج كان يطمع فى الاستيلاء عليها منذ البداية الا أنه وجد أنه من الاصلح له أن لا يكون ذلك الا بعد الاستعداد له ، فكانت خطته تهدف أولا على احاطتها من الجنوب والشرق فتم له الاستيلاء على الابله وعبادان ثم استولى على الاهواز ، واخيرا عمد الى تدعيم جيشه بقولة الاعراب المتدربين على استعمال السلاح فندب لهذا العمل احد اصحابه ويسمى محمد بن يزيد الدرامى فحشد منهم أعدادا كبيرة(٤) . وبذلك مهد الطريق للوصول الى البصرة . فتقدم بقواته لتضييق الحصار حولها فقطعوا الميرة عنها وجدوا فى تخريب القرى حولها (٥) ، ثم أخذ يواصل مناوشتها بالغارة والنهب والحرق والقتل حتى أضعف أهلها . وأنهك قواهم . فلما كان يوم ١٧ شوال عام ٢٥٧ هـ/سبتمبر ٨٧١ م هجم صاحب الزنج على البصرة من

---

(١) منصور الخياط : كان واليا على البصرة وكور دجلة الى ما يلى الاهواز . قتل بيد الزنج فى عام ٢٥٨ هـ . الطبرى : تاريخ جـ٩ / ص ص ٤٧٦-٤٩٢
(٢) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٧٨ .
(٣) ن . م . س جـ ٩ / ٤٧٩ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٨١ ، ابن حمدون : التذكرة ورقة ٢٠٢ ب ، ابن أبى الحديد : شرح جـ ٨/ص ١٤٥ .
(٥) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٨٢ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٧ / ٢٤٤ .
(٦) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٨١ .

ثلاثة نواحي فقد هجم علي بن ابان بجيشه من ناحية المربد [1] أما الفرقة الثانية فكانت بقيادة يحيى البحراني فدخلها من ناحية الخريبة [2] ودخل رفيق غلام يحيى بن خاقان من ناحية بني سعد [3] . ولم يكن بالبصرة يومئذ سوى فرقة صغيرة من جند الخلافة بقيادة بغراج التركي كان قد قسمها الى قسمين ، قسم وجهه الى ناحية المربد والقسم الاخر الى ناحية الخريبة . كما أن أهل البصرة بالرغم من الضعف الذى أصابهم نتيجة الحصار والجوع فقد حاولوا الدفاع عن مدينتهم بالتصدى لهجمات الزنج ولكن جموعهم القليلة لم تغن شيئا أمام قوة الزنج الذين هجموا بخيلهم ورجالهم [4] . فلما دخل الخبيث صاحب الزنج البصرة نادى انه " من أراد الامان فليحضر الى دار ابراهيم [5] فحضر أهل البصرة قاطبة حتى ملأوا الرحاب ، فلما رأى اجتماعهم انتهز الفرصة لئلا يتفرقوا فغدر بهم وأمر أصحابه بقتلهم " [6] فقتلوا جميعا .

فكانت هذه المجزرة البشعة وما تبعها من أعمال السلب والنهب والتخريب فى البصرة تظهر بجلاء مدى مايظهره صاحب الزنج من الحقد

---

(١) مربد البصرة : من أشهر محالتها وكان سوق الابل قديما ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وبه كانت مناظرات الشعراء ومجالس الخطباء . ياقوت : معجم جـ ٥ / ٩٨ .

(٢) الخريبة : موضع معروف بالبصرة وعندها كانت وقعة الجمل بين على وعائشة . ياقوت : معجم جـ٢ / ٣٦٣ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٨٤ .

(٤) ن . م . س جـ ٩ / ٤٨٤ .

(٥) ابراهيم بن يحيى المهلبى : كان قد طلب من صاحب الزنج الأمان لأهل البصرة فأمنهم ، ولكن الخبيث مالبث أن غدر بهم عندما دخل المدينة . الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٨٢ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧ / ٢٤٥ .

(٦) ابن الاثير : الكامل جـ٧ / ٢٤٥ .

والعداء للمسلمين العرب ولعله اتخذ من أهل البصرة وسيلة للتنفيس عما يعتمر به قلبه من نوازع الشر فنجده ينتهك محارم اهليها وخاصةالهاشميين منهم فاسترق نساءهم وأخذ يبيع المرأة من نسل الحسن والحسين وغيرهم من القرشيات بدرهم ودرهمين (١) . بل انه جعل العشرة والعشرين منهن سبايا للزنج فيقمن بخدمة " النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف" (٢) ، ثم ان الوحشية قد بلغت بصاحب الزنج كل مبلغ فلما بلغه أن علي بن ابان قد أمسك قليلا عن متابعة أهل البصرة صرفه عنها " وأقر يحيى بن محمد البحراني بهالموافقته على رأيه فى الاثخان في القتل" (٣) .فيذكر المسعودى أن من قتل من أهل البصرة أثناء وجود صاحب الزنج بها يزيد على ثلاثمائة ألف شخص فكان يقتل الصغير والكبير والذكر والانثى بدون استثناء (٤) . لم يكتف صاحب الزنج بذلك بل أراد أن يدمر معالم المدينة بأسرها (٥) ، فأمر علي بن أبان باشعال النار فى المسجد الجامع فامتدت ألسنة النار الى كل جانب من جوانب المدينة مما أهلك الحرث والنسل فكانت النار " تأخذ فى كل شىء مرت به من انسان وبهيمة وأثاث ومتاع" (٦) . فنتهت بذلك معالم

---

(١) المسعودى : مروج جـ٤ / ٢٠٨ .

(٢) ن . م . س جـ ٤ / ٢٠٨ .

(٣) ابن أبى الحديد : شرح جـ٨ / ١٤٨ .

(٤) المسعودى : مروج جـ٤ / ٢٠٧ .

(٥) انظر المبرد: التعازى والمراثى ص ص/ ٢٨٥-٢٨٦ .

(٦) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٨٦ .

المدينة وزالت آثارها مما أهاج مشاعر كثير من شعراء ذلك العصر الذين هزتهم أحداث هذه النكبة العظيمة منهم ابن الرومي [(١)] وابن المعتز [(٢)] . كما أن ما حل بالبصرة قد أثار الرأي العام في الدولة مما جعل أبا أحمد الموفق يخرج بنفسه لقيادة الجيوش المناهضة لصاحب الزنج .

...

---

(١) فقد رثى ابن الرومي البصرة في قصيدة منها :

اين ضوضاء ذلك الخلق فيها ... اين ذاك البنيان ذو الاحكام
بدلت تلكم القصور تلالا ... من رماد وتراب ركام
سلط البثق والحريق عليها ... فتداعت أركانها بانهدام

الديوان جـ٢ / ٤٢٤ .

(٢) أما ابن المعتز فقد وصف خراب البصرة والمذبحة التي نزلت بأهلها بقوله :

وترك البصرة من رماد ... سوداء لا توقن بالميعاد
وأطعم الذبوح أطفال الناس ... مكيدة منه فاعظم من بأس
فواحد يشدخ بالعمود ... وواحد يدخل في السفود
وبعضهم مسمط مربوط ... وبعضهم في مرجل مسموط

الديوان ص ٤٨٥ .

وكان ممن رثى البصرة ايضا ابو ناظر السدوسي فقال :

نعت أرضنا الدنيا الينا وأدبرت ... بكل نعيم في الحياة وطيب
وماكانت الدنيا سوى البلد الذي ... خلا اليوم من داع به ومجيب
وما عيش هذا الناس بعد ذهابه ... بعيش ولا مغناهم برغيب
اذا الدمع لم يسعد كئيبا فانني ... سأبكي وأبكي الدهر كل كئيب

المبرد : التعازي والمراثي ص ٢٨٧ .

الامارة الطولونيـــة :

فى هذه الأثناء ظهرت قوة جديدة كانت سببا فى استقلال مصـــر والشام وبرقة عن الخلافة العباسيةتمثلت فى شخصية أحمد بن طولون ، الذى أسس الامارة الطولونية .

كانت مصر احدى ولايات الخلافة العباسية فى مرحلة القوة ورفعـــــة السلطان (١) . وخلال فترة سيطرة الاتراك على الخلافةتدخلوا فى ادارة الولايات ، وبطبيعة الحال كانوا يؤثرون البقاء فى عاصمة الخلافة ارعايتة مصالحهم عن كثب هذا الى جانب درء ماقد يحاك ضدهم من دسائس ، ولذلك فقد كانوا يستخلفون من يقوم بالامر نيابة عنهم (٢) . فعندما تقلـــد يايكباك ولاية مصر عام ٢٥٤ هـ/٨٦٨ م اختار أحمد بن طولون لينوب عنه فى حكمها وذلك " لما ظهر منه من حسن السيرة " (٣) . وكان احمد بن طولون هذا ابنا لأحد المماليك الذين أهداهم نوح بن أسد السامانى عامل الدولة العباسية على بخارى (٤) الى المأمون (٥) . وقد نشأ أحمد بن طولون فـــى

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى جـ١١/٢٨ .

(٢) سيده كاشف : احمد بن طولون ص ٤٣ ، احمد رمضان : حضـــارة الدولة العباسية ص ١٢٢ .

(٣) ابن الاثير : الكامل جـ٧/١٨٧ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/١٧٣ ، الصفدى : الوافى جـ٦/ ٤٣١ ، ابن كثير : البداية جـ١١/٤٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ٣/١ ، السيوطى : حسن المحاضرة جـ١/٥٩٤ .

(٥) استقرت الخلافة للمأمون عام ١٩٨ هـ/٨١٣ م وكانت وفاته فى رجـــب ٢١٨ هـ/٨٣٣ م . ابن قتيبة : المعارف /ص ص ١٦٩-١٧٠ ، الدينورى : الاخبار الطوال /ص ص ٤٠٠-٤٠١ .

بغداد حيث حظى بثقافة دينية طيبة أثرت على سلوكه (١) . كما رفعت من مكانته بين الاتراك (٢) .

ومنذ دخول أحمد بن طولون مصر عام ٢٥٤ هـ/٨٦٨م (٣) نائبا عن واليها بايكباك على القصبة والصلاة (٤) ، عمل على تقوية مركزه فيها ، والراجح انه كانت لديه - على مايبدو - تطلعات منذ البداية للاستقلال بمصر ولكنه لم يكشف عنها دفعة واحدة . وقد سنحت له الفرصة بعد مقتل بايكباك (٥) اذ أسندت ولاية مصر الى يارجوخ التركى الذى كانت بينه وبين أحمد بن طولون أواصر صداقة متأكدة ومصاهرة (٦) ،فأقره على ماكان يتولى اذ كتب له يقول : " تسلم من نفسك الى نفسك " (٧) .

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم جـ٣ / ٣ .
(٢) ن.م.س جـ٣ / ٦ ، حسين المصرى : صلات بين العرب والفرس والترك ، ص ٢٩٢ .
(٣) اليعقوبى : تاريخ جـ٢ / ٥٠٣ ، الكندى : الولاة ص ٢١٢ .
(٤) اذ أن اعمال مصركانت مقسمة بين عدة اشخاص فكان على الاسكندرية اسحاق بن دينار ، وعلى برقة احمد بن عيسى الصعيدى ، وعلى القضاء بكار بن قتيبة ، وعلى البريد شقير الخادم ،وعلى خراج مصر كلها أحمد بن المدبر. حسن أحمد محمود ، أحمد الشريف : العالم الاسلامى ص ٤٢٤ ، أحمد رمضان : حضارة ص ١٢٢ .
(٥) قتل بأمر من الخليفة المهتدى بالله عام ٢٥٥ هـ/٨٦٩م . الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٥٧ .
(٦) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ص ص ١٨٧ - ١٨٨ .
(٧) اليعقوبى : تاريخ جـ٢ / ٥٠٨ .

واصل أحمد بن طولون مساعيه من أجل تحقيق سيادته الفعلية على مصر غير أنه واجهته عقبة كان لابد له من أن يذللها ، وهى عداء أحمد بن المدبر[1] عامل الخراج له . وقد كان هذا الاخير قد كتب الى الخليفة المهتدى بالله يحذره من نوايا أحمد بن طولون ورغبته فى الاستقلال بمصر فكتب الخليفة الى ابن طولون يستدرجه الى العود الى سرمن رأى فجاء فى كتابه الذى بعثه اليه " أما بعد فانا رأينا أن نرد اليك أمر دارنا بالحضرة ، وتدبير مملكتنا ،فاذا قرأت كتابنا هذا فاستخلف على قصرك من أحببت والبلد لك وباسمك ، واشخص الينا لما ندبناك اليه ، وارتياك أهلا له "[2] . غير أن أحمد بن طولون قد فهم على مايبدو الغرض من استدعائه الى عاصمة الخلافة فلم يبادر الى تنفيذ الامر الصادر اليه . ولعل ان الفوضى التى أدت الى مقتل الخليفة المهتدى بالله قد أعطته الجرأة لرفض هذا الامر . فقام بارسال كاتبه وموضوع ثقته أحمد بن محمد الواسطى الى سامراء ومعه الشىء الكثير من الاموال والهدايا يتقرب بها الى بعض كبار رجال الدولة الملتفين حول الخليفة منهم الوزير الحسن بن مخلد[3] ويارجوخ . وقد نجحت خطة أحمد بن طولون نجاحا باهرا ولعل كلام الحسن بن مخلد للواسطى يلخص تأثير فعل هداياه على بطانة الخليفة فقد قال :" لن نزعجه

---

(١) أحمد بن المدبر: كان أخو ابراهيم بن المدبر وهذا الاخير كان يتولى الخراج فى الاهواز ، وهو من أصحاب الكلمة المسموعة فى بلاط الخليفة ابن الاثير: الكامل جـ٧/٢٣٧ . عبد الرحمن الرافعى ، سعيد عاشور: مصر فى العصور الوسطى ص ٨٩ .

(٢) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ص ص ٥٦-٥٧ .

(٣) الحسن بن مخلد : كان كاتب ابو أحمد الموفق ثم استوزره الخليفة المعتمد على الله فاجتمعت له وزارة المعتمد وكتابة الموفق . ثم عزله المعتمد واستوزر سليمان بن وهب . ابن الطقطقى : الفخرى ص ص ٢٥١/ ٢٥٢-٢٥١ .

عن عمله ، ولا يقبل فيه قول ساع سعى فيه "(١) . وعمل هو وبارجوخ على التأثير على الخليفة المعتمد على الله الذى لم يحتاج على مايبدو الى وقت طويل ليتراجع عن الامر الذى أصدره سلفه المهتدى بالله فأمر بتثبيت يد أحمد بن طولون فى عمله (٢) .

لما وجد أحمد بن المدبر أن مساعيه لم يكتب لها النجاح خاف من أحمد بن طولون خوفا لا يأمنه ان يأتى عليه " ولذلك فضل أن ينتقل من مصر فى أسرع فرصة فقبل أن يتقلد خراج دمشق وفلسطين والاردن وخرج من مصر فى سنة ٢٥٨ هـ/ ٨٧١م (٣) . وهكذا فقد تمكن احمد بن طولون من أن يقضى على متاعبه الداخلية فى مصر فقضى على الثورات التى قامت حينذاك وهى ثورة بغا الاصغر(٤) فى عام ٢٥٠ هـ/ ٨٦٩ م . وثورة ابن الصوفى العلوى (٥) عام ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠ م . ثم قامت ثورة عيسى بن الشيخ (٦) فى الشام فأرسله الخليفة المعتمد على الله للقضاء عليها . ويبدو ان الخليفة بدأ يميل الى أحمد بن طولون منذ ذلك الوقت فانه بمجرد عودة الاخير

---

(١) البلوى : سيرة ص ٥٧ .

(٢) ن . م . س ص ٥٨ .

(٣) ن . م . س . ص ٥٩ — ٦٠ .

(٤) بغا الاصغر : هو احمد بن محمد بن عبدالله بن طباطبا خرج فيما بين الاسكندرية وبرقة فى سنة ٢٥٥ هـ وقد تمكن ابن طولون من القضاء عليه فى نفس العام . الكندى : الولاة ص ٢١٢ .

(٥) ابن الصوفى العلوى : هو ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبدالله بن عمر بن على بن أبى طالب . ثار فى عام ٢٥٥ هـ فدخل اسنا ونهبها وقتل اهلها . الكندى : الولاة ص ٢١٣ .

(٦) عيسى بن الشيخ : هو عيسى بن الشيخ بن السليل من بنى شيبان استولى على فلسطين جميعها ، فلما سيطر الاتراك على امور الخلافة تغلب على دمشق واعمالها وقطع ماكان يحمل من الشام الى الخليفة واستبد بالاموال . ابن الاثير : الكامل جـ٧ / ١٧٦ .

الى مصر ولاه على الاسكندرية(١) مقابل خدماته له . ولما توفى ملرجوخ في سنة ٢٥٨ هـ/٨٧٢ م توطدت أقدام احمد بن طولون بمصر اكثر انه أصبح واليا عليها من قبل الخليفة مباشرة(٢) . وفى سنة ٢٦٣ هـ/٨٧٧م كتب اليه الخليفة المعتمد على الله يستحثه على ارسال الخراج فرد عليه أحمد بن طولون " لست أطيق ذلك والخراج فى يد غير" (٣) . فقلده المعتمد الخراج كما ولاه على الثغور الشامية(٤) . فأصبح بذلك الحاكم والمتولى للمناصب الاساسية فى مصر(٥) . فأحسن ضبط أمورها وقد ساعدته على ذلك الواردات الكبيرة التى تميزت بها مصر(٦) ، فاهتم بالعمران والتجارة(٧) . وأنشأ جيشا كبيرا فكان هو أول من استقدم المماليك الاتراك الى مصرواستخدمهم فى جيش الخلافة فى مصر(٨) والذى أصبح فيما بعد احد الركائز التى اعتمد

---

(١) ابن تغرىبردى : النجوم جـ ٣ صص ٦-٧ .
(٢) ابن الاثير: الكامل جـ٧/٢٥٧ .
(٣) الكندى : الولاة ص ٢١٧ .
(٤) البلوى : سيرة صص ٧٢-٧٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم جـ٣/٧ .
(٥) السامرائى : المؤسسات ص ١٧٠ .
(٦) احمد رمضان : حضارة ص ١٢١ .
(٧) ابن تغرى بردى : النجوم جـ٢/ صص ٧-١٢ .
(٨) القلقشندى : صبح الاعشى جـ٣/٤٢٤ .

طمعه أحمد بن طولون في تحقيق ما نزعت اليه نفسه من حكم مصر ، والذى كان ممكنا لمعرفة احمد بن طولون بانصراف الخليفة عن النظر فى أمور الخلافة الى الانهماك فى اللهو والملذات (١) . غير أن آمال أحمد بن طولون قد اصطدمت بشخصية الموفق القائد المحنك ورجل الدولة الحازم الذى أدار جميع مرافق الدولة(٢) فأعاد لها هيبتها (٣) . وأخذ يعمل على استعادة سيادتها الفعلية على ولاياتها . وقد حدث أثناء ذلك أن تسلم الموفق قيادة الجيش للمرة الثانية عام ٢٦١ هـ/ ٨٧٤ م للقضاء على ثورة الزنج ، ولما كانت متطلبات حرب الزنج تحتاج الى امدادات ضخمة وقد انقطع خراج المشرق عن بيت المال لاحتجاج الاهالى بعدم قدرتهم على حمل الخراج لما حل ببلادهم من الخراب على أثر الهجمات المتصلة التى كان يقوم بها صاحب الزنج .(٤) فلم يجد الموفق حينئذ طريق يسد به نفقات الدولة والحرب سوى مصر ، فكتب الى أحمد بن طولون يستعين به على أمره وليتثبت من صدق عطه "(٥) ، وأرسل اليه لحمل المال تحريرا خادم المتوكل . ويبدو أن أحمد بن طولون قد حاول فى البداية تجاهل طلب الموفق (٦) ، غير أن المعتمد على الله الذى كان شديد الميل الى ابن طولون كتب اليه سرا يحذره من الموفق ويخبره " ان الموفق انما أنفذ تحريرا الخادم اليك عينا عليك ومستقصيا أخبارك وأراه انه قد كاتب بعض

---

(١) اليعقوبى : مشاكلة الناس لزمانهم ص ٣٥ ، المسعودى : مروج جـ٤/ ٢١١ ، العمرانى : الانباء ص ١٣٧ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس/ ص ٣٤٢ .

(٢) ابن الطقطقى : الفخرى ص ٢٥٠ .

(٣) ابن العمرانى : الانباء ص ١٣٧ .

(٤) البلوى : سيرة ص ٧٩ .

(٥) ن.م.س ص ٨٠ .

(٦) التنوخى : نشوار المحاضرة جـ٨/ ٣٣ .

أصحابك فاحترس منه ، واحمل المال المناصحه ، لئلا تقوى يد الموفق به ، وعجل في انفاذه من حضرتك "(١) . وقد قام ابن طولون بتنفيذ طلب الخليفة مكرها وبادر بارسال مليون ومائتي الف دينار الى بيت مال الخلافة. فلما وصل المال الى الموفق وجده قليلا نظرا لمعرفته بأن مصر يمكن أن تموله بأكثر من ذلك(٢) . بالاضافة الى احساسه بأن ابن طولون قد أرسل هذا المال تطوعا وليس مأمورا (٣) . ولذلك فقد كتب اليه يقول : "ان الحساب يوجب أضعافه " (٤) . فرد أحمد بن طولون بكتاب أظهر فيه مدى دهائه وتخطيطه للاستقلال بمصر بشكل مدروس . فهو على معرفة تامة بانشغال الموفق عنه بالخطر الذى يهدد الخلافة كلها بالدمار(٥) فوجد أن الفرصة مهيئة للاستقلال بمصر جاعلا من نكران الموفق لجميله السبب المباشر لذلك، وفى الوقت نفسه لم يرغب أن يجاهر بعدائه للخلافة انما أظهر نفسه بأنه يعمل جاهدا فى خدمتها والدفاع عنها ، فهدد الموفق بأنه فى استطاعته القدوم لحربه بجيشه الذى يبلغ عدد أفراده مائة ألف عنان لو اضطره الامر(٦) . وبذلك حصر الخلاف بينه وبين الموفق فبدأت منذ ذلك الوقت

---

(١) البلوى : سيرة ص ٨٠
(٢) فقد كان يقول : ان مصر خزانة السلطان وفيها أمواله . البلوى : سيرة ص ٦١ .
(٣) حسن محمود : احمد الشريف : العالم الاسلامى ص ٤٢٨ .
(٤) البلوى : سيرة ص ٨١ .
(٥) يتمثل الخطر فى ثورة الزنج ويعقوب بن الصفار .
(٦) البلوى : سيرة صص ٨٤-٨٥ .

منافرة طويلة بينهما[1] حاول فيها الموفق عزل أحمد بن طولون عن ولاية مصر.

٣- تولى الموفق قيادة الجيش العباسي (الفترة الاولى) :

تقدمت الاشارة فيما سبق بأن المعتمد على الله قد استقدم أخاه ابا أحمد الموفق طلحة بن المتوكل من مكة عام ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠م[2] وجعله قايدا عاما للجيش تلبية لطلبات الاتراك ويبدو أن الموفق قد أبدى منذ البداية حنكة وقدرة وكفاءة لتولى مهام الامور مما جعل الخليفة المعتمد على الله يقدمه ويسند اليه فى صفر ٢٥٧ هـ/ ٨٧١ م ولاية الكوفة وطريق مكة والحجاز واليمن ثم أضاف اليه فى رمضان من نفس ذلك العام نيابة بغداد والسواد وواسط وكور دجله[3] والبصرة والاهواز وفارس[4]. ولعل فى ذلك مايشير الى مدى ثقة المعتمد على الله فى الموفق ، كما أنها تعكس مدى خطورة الوضع الذى تعيشه الخلافة ، اذ أن الخلافات بين القادة الاتراك وانشغالهم بالتنافس فيما بينهم كان من الأسباب التى أدت الى ازدياد تفاقم ثورة الزنج فأراد الخليفة المعتمد على الله أن يثبت مركز الموفق فى الدولة باعطائه المكانة المرموقة فيها ليشير بذلك الى ضرورة خضوع جميع

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ٧/ ٣٠٥.
وسوف نتعرض لهذا الخلاف بين الموفق وابن طولون فى الفصل الثالث عند الحديث عن (موقف الموفق من محاولة انتقال الخليفة المعتمد على الله الى الشام ونتائج ذلك) .

(٢) المسعودى : مروج جـ٤/ ١٩٩.

(٣) كور دجله : يطلق هذا الاسم على جميع اعمال البصرة مابين نيسان الى البحر (الخليج العربى) ياقوت: معجم جـ٤/ ٤٨٩.

(٤) الطبرى: تاريخ جـ٩/ ٤٧٦.

القادة له فتصبح كلمته هى العليا على الاتراك فيستطيع بذلك ان يحد من تسلطهم وتنافسهم . ويبدو أن قادة الجند من الاتراك قد أدركوا خطورة الوضع العام الذى تمر به الدولة وضرورة التكاتف والانضباط والطاعة للقيادة الجديدة من أجل ضمان دفع الخطر الذى استشرى والذى يهدد الجميع بالزوال .

لقد وصلت أخبار استيلاء صاحب الزنج على البصرة والمجزرة البشعة التى ارتكبها فى أهلها ثم الانتصار الذى حققه على منصور بن جعفر الخياط والى الاهواز ومقتله عام ٢٥٨ هـ/٨٧٢م(١) الى سر من رأى فأدى ذلك الى اشاعة الارتباك فى الدولة وعمها الاستياء من ضعف القادة الاتراك . الامر الذى جعل الخليفة المعتمد على الله يتأكد بأنه لا يستطيع الاعتماد على أحد فى ايقاف هذا الخطر الا على أخيه ابى أحمد الموفق(٢) ، البطل الشجاع وصاحب الرأى والحزم(٣) والذى يبدو أن خبرته كانت كبيرة فى أمور الحرب وقيادة الجيوش (٤) وقد اثبت ذلك منذ قيادته لجيش المعتز وقد أكمل الخليفة المعتمد على الله ألقابه التشريفية فعقد له فى ربيع الأول

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤٩١ ، ابن الاثير: الكامل جـ٧/ص ٢٥١ — ٢٥٢ ،الذهبى : دول جـ١/ ١٥٦ ،ابن العماد : شذرات جـ٢ / ١٣٧ .

(٢) ابن أبى الحديد : شرح جـ٨/ ١٥١ .

(٣) اليافعى : مرآة الجنان جـ٢/ ١٩٢ .

(٤) ابن ابى الحديد : شرح جـ٨/ ١٥١ .

عام ٢٥٨ هـ/ ٨٧٢ م على ديار مضر(١) وقنسرين والعواصم وحينما استعد للخروج لمعالجة خطر الزنج ،أكرمه الخليفة بأن خرج لتشيعه بعد ان خلع عليه (٢) . فسار ابواحمد الموفق الى البصرة حيث حشد جيشا عظيما زوده بكل مايحتاج اليه من الاسلحة والعتاد هذا عدا الكثير من المتطوعة الذين انضموا اليه (٣) .

وبقيادة الموفق للجيش العباسي والذى توجه لمحاربة صاحب الزنج التفت حوله مشاعر الامة مما أكسبه دعما معنويا عاليا بجانب القوة المادية(٤) تقدم أبو أحمد الموفق حتى نزل على ضفة نهر معقل (٥) حيث علم صاحب الزنج بقدوم جيش الخلافة لقتاله فأرسل طلائعه ليستطلع الخبر فرجعت اليه بوصف قوة الجيش وبأنه كان كثيفا لدرجة أن لم يرد عليهم مثله ولكنهم لم يتمكنوا من معرفة من يقوده ، مما أصاب أصحابه بالفزع والارتياع(٦) وخاصة

---

(١) ديار مضر: هى ماكان فى السهل بالقرب من شرقى الفرات نحو حران والرقة وشمشاط. ياقوت : معجم جـ٢/ ٤١٤ .

(٢) الطبرى: تاريخ جـ٩/ ٤٩٢ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ٥/ ١ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧/ ٢٥٢ .

(٣) الطبرى: تاريخ جـ٩/ ٤٩٢ ، اليعقوبى : تاريخ جـ٢/ ٥١٠ .

(٤) محمد الخضرى : تاريخ الامم ص ٣٠٥ ،محمد جودر: الدويلات ص ٣٥ .

(٥) نهر معقل : هو أحد الانهار بالبصرة يبعد عن بثق شيرين بفرسخين وعن نهر الابله بأربعة فراسخ . عجائب الاقاليم ص ١٣٦ .

(٦) الطبرى: تاريخ جـ٩/ ٤٩٣ .

لعدم وجود قادتهم الذين يثقون فيهم أمثال على بن ابان الذى كان يقيم فى جبى، ويحيى البحرانى الذى كان قد خرج حينذاك الى نهر العباس فى حين أن بقية القادة كانوا يترددون على البصرة يعيثون فيها فسادا (١). الا أن صاحب الزنج أو الخبيث كما تسميه المصادر الاسلامية قد حاول تدارك الامر فأرسل الى كل من على بن أبان (٢) ويحيى بن البحرانى يستحثهما على الاسراع فى القدوم عليه (٣) . كما أنه خرج بنفسه ليطمئن على تنظيم جيشه وليقوى من عزيمتهم . ثم بادر باخراج هذا الجيش لقتال جيش أبو أحمد الموفق الذى أصبح بازاء معسكره فندب اليهم قائده مفلح التركى (٤) حيث التقى الجيشان فى جمادى الاولى عام ٢٥٨ هـ/ مارس ٨٧٢ م . استطاع مفلح فى البداية أن يحقق انتصارا كبيرا على الزنج حتى أنه جعلهم يتراجعون فسقط الكثير منهم (٥) فى نهر أبى الخصيب (٦) . الا أن الدائرة مالبثت أن

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤٩٣ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧/ ٢٥٣ ، ابن خلدون : العبر : جـ٣/ ٣٠٧ .

(٢) الطبرى : تاريخ جـ٩/ صص ٤٩٣-٤٩٤ ، ابن أبى الحديد : شرح جـ٨/ ١٥٣ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤٩٦ .

(٤) مفلح التركى : أحد القادة الذين كانوا يعملون تحت قيادة موسى بن بغا وعندما عهد الخليفة المعتمد على الله للموفق مهمة قتال الزنج صحبه القائد مفلح وخلع الخليفة عليهما معا . الطبرى : تاريخ جـ٩/ صص ٤٠٦-٤٩٠ .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤٩٤ ، الذهبى : دول جـ١/ ١٥٦ .

(٦) نهر أبى الخصيب : من أنهار البصرة العظام وهو يتوسط نهر الامير واليهودى اذ يبعد عن كل منهما بفرسخ . كما يبعد عن الابلة بخمسة فراسخ . سهراب : عجائب الاقاليم ص ١٣٦ .

دارت عليه فقد اصيب بسهم أرداه قتيلا . فاختل نظام جيشه وتقوى عليهم الزنج فقتلوا الكثير منهم ثم حمل الزنج رؤوس القتلى وعادوا بها الى صاحبهم وأبلغوه بأن قائد جيش الخلافة انما هو أبو أحمد الموفق. فراعه ذلك لدرجة أنه لم يصدق هذا النبأ فى البداية (١) .

الا أن اثار هزيمة جيش الموفق فى هذه المعركة لم تلبث أن توالت اذ أعقبها بانتصار كبير على الزنج تكلل بمقتل قائد صاحب الزنج يحيى البحرانى . وذلك ان الموفق بعد مقتل مفلح تحول عن مكانه بازاء معسكر صاحب الزنج الى الابله ليجمع مافرقته الهزيمة ويجدد الاستعداد للحرب(٢). وأثناء ذلك كاتبه بعض أهل القرى والسواد ويعلمونه بقدوم يحيى بن محمد البحرانى الى معسكر صاحب الزنج بعد أن انتصر على فرقة من جيش اصفجون التركى والى الاهواز الجديد كانت تحمى سفنا تحمل اموالا طائلة لتجار الاهواز فغنم هذه السفن (٣) . وقد جعله التحاسد الذى كان بينه وبين على بن ابان يفضل أن يسير فى طريق وعر يخرج منه الى نهر أبى الاسد(٤) وذلك كى لا يمر فى طريقه بعلى بن ابان اذا ماسار فى الطريق المسلوك (٥).

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٩٤ ، نقل الخبر عنه ابن ابى الحديد : شرح جـ٨ / ١٥٤ .

(٢) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٩٥ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ص ص ٤٩٥-٤٩٦ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧ / ٢٥٤ .

(٤) نهر أبى الاسد : أحد شعوب دجله بين المذار ومطاره فى طريق البصره ويصب فى دجله العظمى . ياقوت : معجم جـ٥ / ٣١٥ .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٩٦ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧ / ٢٥٤ .

فأوضح أهل القرى لابى أحمد الموفق بأن يحيى اذا مانجح فى الوصول الى نهر أبى الاسد يستطيع بقوة جيشه وعظمته ان يقطع الطريق على الموفق فيمنع وصول الميرة اليه " ويحول بينه وبين من يأتيه أو يصدر عنه" (١). ولذلك فقد أسرع أبو أحمد الموفق بالتقدم نحو نهر أبى الاسد وعسكر عليه ثم قام بترتيب جيشه على هذا النهر ونهر العباس حتى يطوق يحيى البحرانى ويمنعه من الفرار. وقد حققت هذه الخطة أغراضها ، فان يحيى بمجرد علمه بوصول الموفق وجيشه الى نهر أبى الاسد امر اصحابه بالتراجع لانه خشى من الاشتباك مع الموفق وجعل فى مقدمته سليمان بن جامع وساروا جميعا فى نهر العباس غير أن سليمان بن جامع سرعان ما اصطدم بالفرقة التى كانت تحمى فوهة هذا النهر فأنزلوا بسليمان هزيمة فادحة فربعدها جميع الزنج الذين كانوا معه سباحة الى الشاطئ المقابل تاركين سفنهم لجيش الموفق (٢) . أما بالنسبة ليحيى فانه توسط جيشه دون أن يعلم بهزيمة سليمان بن جامع ، ثم ارتقى قنطرة النهر ليشرف على أصحابه وهم يحاولون انقاذ السفن التى كانت تحمل الغنائم فى منطقة ضيقة يشتد فيها جريان الماء . وفى أثناء ذلك خرجت عليهم من الضفة الغربية من النهر الفرقة الثانية من جيش الموفق فاشتبك الفريقان فى معركة طويلة حاول الزنج خلالها الدفاع عن السفن غير أن قائدهم يحيى البحرانى أصيب بعدة

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٤٩٦ .

(٢) ن.م.س : جـ ٩ / ص ص ٤٩٦ - ٤٩٧ .

جراح مما أضعف من عزيمتهم ، فأخذوا يتسللون هاربين من القتال (١) ، وتمكن جيش الموفق بذلك من استرجاع الغنائم التي في يد الزنج . وقد عبرت قوات الموفق بعد ذلك الى الضفة الشرقية من النهر حيث كان يحتمي معظم الزنج فأنزلوا بهم هزيمة كبيرة بعد أن أحرقوا ماكان لديهم من سفن (٢) . كان يحيى لما رأى الهزيمة تنزل بأصحابه فكر بالهرب لينجو بنفسه فركب سميريه (٣) وأخذ معه طبيبا ليقوم بعلاجه ،غير أن ملاحي السميريه لم يستطيعوا العبور من فوهة النهر بسبب الحراسة الشديدة التي فرضت عليها من قبل جيش الموفق (٤) مما اضطر يحيى الى النزول مرة أخرى الى ضفة النهر في منطقة كثيفة الاشجار والادغال تستره عن الانظار ، ويبدو أن طبيبه كان مكرها على الانضمام للزنج فانه لم يلبث أن وشى به لاول من شاهده من جند الموفق (٥) فقبض عليه ، ثم ارسله الموفق أسيرا الى العاصمة حيث عذب قبل أن يقتل (٦) .

وقد كان لمقتل يحيى البحراني أثره السيء على الزنج مما جعل الخبيث صاحب الزنج يخشى من أن تكون هذه الحادثة سببا في اضعاف

---

(١) الطبري : تاريخ جـ٩ / ٤٩٧ .
(٢) ن . م . ص جـ٩ / ٤٩٧ .
(٣) سميريه ضرب من السفن . ابن منظور: لسان العرب جـ٤ / ٢٧٨ .
(٤) الطبري : تاريخ جـ٩ / ٤٩٨ .
(٥) ن . م . ص جـ٩ / ٤٩٨ .
(٦) الطبري : تاريخ جـ٩ / ٤٩٨ ، ابن حمدون : التذكرة ورقة ٢٠٢ ب ، ابن الاثير : الكامل جـ٧ / ٢٥٥ .

عزيمة أصحابه ولذلك أخذ يردد على مسامع أصحابه بأنه قد أوحى اليه بأن مقتل يحيى كان فيه خير كثير لما يتصف به ابن البحرانى من الشراهة فى حب المال (١) .

اثرت اقامة ابو احمد الموفق فى منطقة البطائح على صحة أصحابه فقد " كثر العلل فيمن معه من جنده وغيرهم ، وفشا فيهم الموت " (٢) مما جعله يتحول الى واسط وظل مقيما بها حتى تحسن وضع جنده وشفوا مما اصابهم من وباء . فعاد الى باذاورد (٣) حيث أخذ يستعد للقتال فجدد أسلحته واصلح سفنه وشحنها بالجنود والقادة ثم سار مجدا الى نهر ابى الخصيب عازما على استكشاف المناطق المحيطة بمعسكر صاحب الزنج ومدى تحصينها وهناك ارسل الجزء الاكبر من جيشه للقيام بهذه المهمة بينما بقى هو فى موضعه (٤) . غير أن الزنج تمكنوا من معرفة مكانه وانه فى قلة من أصحابه فطمعوا فى الخلاص منه . ولذلك فانهم خرجوا عليه باعداد كبيرة لقتاله فالتحم الفريقان فى معركة رغم أنها لم تكن متكافئة من ناحية العدد الا ان الموفق استطاع أن يحقق انتصارا باهرا على الزنج وأحرق أصحابه كثيرا من منازل الزنج وقصورهم وتحصيناتهم بعد أن حرروا وانقذوا من كان فيها من النساء

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٩٨ .
(٢) ن . م . ص جـ٩ / ٤٩٩ .
(٣) باذاورد : اسم مدينة كانت قرب واسط بينها وبين البصرة . ياقوت : معجم جـ١ / ٣١٨ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٤٩٩ .

اللواتي كن أسيرات لديهم (١) . مما أفقد الزنج رشدهم فأخذوا يقاتلون بضراوة أكثر دون أن ينقطع المدد عنهم . لذلك فقد وجد الموفق بأن المصلحة تقتضي الانسحاب . فتراجع بجيشه على مهل وحذر ، دون أن يشعر الزنج بذلك . وعاد الموفق الى معسكره في الباذاورد ليستعد من جديد لقتال الزنج (٢) . غير أنه حدثت أمور اضطرته الى ترك القيادة والعودة الى عاصمة الخلافة سر من رأى (٣) .

وقد تكون من أهم الاسباب التي دعت أبا احمد الموفق الى الرجوع حدوث نوع من الانكسار النفسي لدى جنده فهم ما ان برأوا من الامراض التي تفشت بينهم حتى حدث حريق كبير في أحد اطراف معسكر أبي أحمد الموفق في وقت اشتدت فيها هبوب الرياح فساعد ذلك على احراق المعسكر بأكمله (٤) . ولعل هذا قد سبب في خسائر فادحة في أسلحة ومعدات الجيش مما جعلهم يشعرون بأنهم أصبحوا قوة غير متكافئة أمام عدوهم . وعندئذ أدرك الموفق بأن لقاء الزنج في معركة حاسمة يتطلب الاستعداد اللازم لها سواء باعداد الجند المتدربين على القتال في

---

(١) الطبري : تاريخ جـ٩/ ٥٠٠ ، ابن الاثير: الكامل جـ٧/ ٢٥٥ .
(٢) الطبري : تاريخ جـ٩/ ٥٠٠ .
(٣) عاد الى سامراء في ٢٦ ربيع الاول عام ٢٥٩ هـ . الطبري : تاريخ جـ٩/ ٥٠٢ .
(٤) الطبري : تاريخ جـ٩/ ٥٠٠ .

تلك المنطقة ، أو بتوفير الاموال الكافية لتمويل هذه الجيوش بالاضافة الى ذلك ضرورة توفير الاسلحة والسفن الحربية(١) التى يحتاج اليها نظرا لطبيعة تلك المنطقة المليئة بالانهار والمسطحات المائية(٢) . فكان لابد له من الرجوع لاعداد الخطط لتوفير مثل هذه الاموال وخاصة ان موارد المشرق من المال قد انقطعت عن خزانة بيت مال الخلافة(٣) . ولعل حدوث اضطرابات فى شئون الخلافة فى سر من رأى(٤) جعلته يعود مسرعا ليتفادى حدوث مايكره عقباه . وقد يكون منها محاولات احمد بن طولون ـ الذى أصبح واليا على مصر من قبل الخلافة (٥) ـ افساد العلاقة بين الخليفة المعتمد على الله والموفق حتى يتمكن من الانفراد بالسلطة بمصر مما جعل الموفق يعود الى العاصمة لكى يفسد ما قد يخطط له ابن طولون .

• • •

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩/٥٦٦ .

(٢) حيث ان أكثر معارك الزنج وقعت فى المنطقة المحيطة بالبصرة وبالقرب من البطيحة وكانت البصرة تشتهر فى ذلك الوقت بكثرة أنهارها اذ يذكر ابن حوقل أن أنهار البصرة بلغت حوالى مائة وعشرين ألف نهر تقريبا . صورة الارض ص ٢١٢ .

(٣) البلوى : سيرة ص ٧٩ .

(٤) الدورى : دراسات ص ٩٠ .

(٥) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/٢٥٧ .

٤ ـ وضع الخطط لتوفير المال والرجال لمجابهة الأخطار:

وجد أبو أحمد الموفق أن مجابهة الزنج يتطلب استعدادا كاملا وتهيئة شاملة لمستلزمات الحرب الطويلة . ولذلك فقد عمد الى وضع الخطط التى تضمن توفير مايحتاج اليه من أجل القضاء على تلك " الثورة " التى كانت تهدد باسقاط الخلافة العباسية . ويمكن أن نستعرض السياسة التى اتبعها والجهود التى تمكن بواسطتها من أن يوفر تلك الامكانيات المالية الكبيرة لتغطية نفقات القوات العسكرية المقاتلة .

لقد بدأ الموفق اجراءاته بأن أنفذ الى عماله فى سائر نواحى الدولة ، أمرا بحمل الاموال وسائر الامتعة اليه ليستعين بها فى حربه ضد الزنج [(١)] . كما عمل على اتباع سياسة المهادنة والصلح مع أمراء الاقاليم المتغلبين ـ مثل الطولونيين والصفاريين [(٢)] ـ وقد أثمرت هذه السياسة نتائج طيبة مع أحمد ابن طولون الذى أرسل الى بيت مال الخلافة فى عام ٢٥٧ هـ/ ٨٧٠م ما مقداره مليونين ومائة ألف درهم[(٣)] . كما أنه أرسل فى عام ٢٥٨ هـ/ ٨٧١ م مبلغا مقداره مليون ومائتى ألف دينار[(٤)] ، ثم حمل بعد ذلك خلال

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ٥٨٥ ، مؤلف مجهول : العيون جـ٤ / ٩٨ .
(٢) السامرائى : المؤسسات ص ٣٥ .
(٣) اليعقوبى : تاريخ جـ٢ / ٥٠٨ .
(٤) الرشيد : الذخائر والتحف ص/ ٣٧ ، أحمد رمضان : حضارة الدولة العباسية ص ٦٧ .

السنوات الاربع التالية بين (٢٥٩-٢٦٣هـ/٨٧٢-٨٧٦م) ما مجموعه مليونين وماشتي ألف دينار[1] وهو مبلغ قليل نسبيا غير أنه مهم في أثره وأبعاده .

أما يعقوب بن الليث الصفار ، فبالرغم من أن نتائج سياسة التراضي ومحاولة الصلح معه كانت سلبية[2] ، الا أن الموفق قد ضمن في النهاية احجام يعقوب بن الليث عن التعاون مع الزنج في مواجهة الخلافة العباسية[3] ولما توفي يعقوب بن الليث بايع الجند لأخيه عمرو بن الليث الذي آثر السلم ، وكتب الى الخليفة يعلن دخوله في طاعته ، مما حسن العلاقة بين الطرفين[4] ، وقد أصدر الموفق أمرا باسم الخليفة تضمن تنصيب عمرو بن الليث واليا على ولايات المشرق وشرطة بغداد[5] . وقد أراد عمرو بن الليث عندئذ يكون له شرف المساهمة في حرب الزنج فأرسل الى الموفق في عام (٢٦٨هـ/٨٨١م) مبلغ ثلثمائة ألف دينار كما وجه الى جبهة القتال

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم جـ٣/١٢ .

(٢) اذ أنه رفض الا الوقوف في موقف المعتدى للخلافة . انظر ابن الاثير: الكامل جـ٧/ ٢٩٠ ،الساموائي : المؤسسات ص ٣٥ .

(٣) فقد كان يعقوب بن الليث ينظر الى الزنج باعتبارهم مارقين عن الاسلام وسوف يرد تفصيل ذلك في الفصل الثالث ــ القسم الثالث ــ .

(٤) الاصفهاني : تاريخ سنى ملوك الارض ص ١٧١ ، السامرائي: المؤسسات ص ٣٦ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٥/ ٥٥ ، ابن الاثير: الكامل جـ ٧/ ٣٢٦ ، الدوري : دراسات ص ١١٦ .

عددا كبيرا من الغلمان المحاربين (١) .

ولما اطمأن الموفق الى حسن نية الثائر محمد بن عبيد الله الكردى (٢) ، فى طلبه للأمان أرسل اليه من أبلغه العفو عنه ، كما أنه طالبه بسرعة امداد جيش الخلافة بالاموال والجند (٣) . وفى سنة ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م وجد الموفق أن أحوال السكان والمزارعين فى الاهواز قد استقرت وتحسنت وانه قد أصبح فى مقدورهم دفع الخراج (٤) ، فأمر بجبايته " وانفذ الى كل كورة قائدا ليروج بذلك حمل الاموال " (٥) . ولم يكتف الموفق بهذه الاموال التى ترد اليه من نواحى الاقاليم بل عمد الى تحسين أوضاع الاراضى الزراعية المهملة والتى تقع ضمن الاراضى الخاضعة مباشرة لسلطان الخلافة . ولذلك فقد أمر باصلاح الخيزران فى واسط ، والذى كان يشتمل على مساحة كبيرة من الاراضى الزراعية الخصبة . وقد كانت توقعاته سليمة ، فما ان مضى عام على مباشرة عمارتها حتى كان ما أنتجه البيدر الواحد فيها ستة وثلاثين ألف دينار (٦) . وبذلك أصبحت مساحات واسعة من الاراضى التى كانت

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ٧/ ٣٧١ ، ابن كثير: البداية جـ١١/ ٤٢ ، ابن خلدون : العبر جـ٣/ ٣٣٤ .

(٢) كان والى يعقوب بن الليث على كور الاهواز . انظر الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٥٢٧ ، ابن خلدون : العبر جـ٣/ ٣١٤ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٥٧٧ ، ابن الاثير: الكامل جـ٧/ ٣٤٩ .

(٤) وقد سبق أن أشرنا الى ان خراج المشرق كان قد انقطع عن بيت مال الخلافة بعد احتجاج الاهالى بعدم قدرتهم على ارسال الاموال لما حل ببلادهم من خراب من جراء غارات الزنج المتواصلة على مدنهم وقراهم .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٥٧٧ .

(٦) التنوخى : نشوار المحاضرة جـ٨/ صص ١٥٤ — ١٥٥ .

متروكة ، حقولا يانعة كثيرة الانتاج مما عزز مقدرته على الانفاق والبذل بسخاء من أجل اعداد الجيش وتسليحه ودوام تدريبه ، وصرف استحقاقات افراده ، وتقديم الهدايا والاكراميات والهبات لهم تشجيعا لهم على مواصلة التدريب والاستعداد للبذل والعطاء .

وقد انتهج الموفق بجانب ذلك سياسة الاستفادة من الغنائم التى كان يحصل عليها عقب كل معركة ضد الزنج ، والتى كانت فى أغلب الاحيان تحتوى على كميات ضخمة من الاموال والاسلحة والمؤن والمواشى ، اذ كان غالبا ما يأمر ببيع حصة بيت المال من الغنائم من اجل دوام صرف أرزاق جنده واعطياتهم . وكذلك من أجل توفير الاسلحة والمعدات الحربية اللازمة لهم لمواصلة قتال الزنج (١) .

أما من الناحية الثانية ، فقد عمل الموفق بكل طاقته من أجل توفير العدد الكافى من الجند المحاربين استعدادا لمعركة طويلة ، وان ذلك قد عكس دون ريب مدى قدرة الموفق على التنظيم ، حيث اراد أن يجعل من اصحابه القوة الضاربة فى حزم واحكام ، لذا فقد عمم منشورا فى جميع انحاء العالم الاسلامى يتضمن النداء الى الجهاد حيث دعى كل من يجد نفسه صالحا للجندية ، ويرغب فى ذلك فى سبيل اعلاء كلمة الله والدفاع عن العقيدة والأمة والخلافة ، أن يسارع بالانضمام الى الجيش العباسى المتجه لمحاربة أعداء الله صاحب الزنج وأعوانه (٢) . وقد كان حرص

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩ / ص ص٥٧٣-٥٧٦ ، ابن ابى الحديد : شرح جـ٨ / ١٧١ .

(٢) مؤلف مجهول : العيون جـ٤ / ٩٨ .

الموفق على اعلان الجهاد في سبيل الله مما كان له أكبر الأثر في توجه أعداد كبيرة من المتطوعين من كافة أنحاء ديار الاسلام الى " الموفقية " وانضمامهم الى جيش الخلافة(١) .

وقد اتبع الموفق سياسة قويمة كان لها أثر كبير في تدعيم جيشه وسده باعداد كبيرة من المقاتلين الاشداء ،وهي سياسة بذل الامان للراغبين في الالتحاق الى جيش الخلافة من مقاتلي الزنج . اذ أن ادراك الموفق لرغبات الزنج وماكانوا يحتاجون اليه من الامان ،جعله يعمد الى النداء بينهم بأن " الامان مبسوط للناس ، اسودهم وأحمرهم الا الخبيث ، وأمر بسهام فعلقت فيها رقاع مكتوب فيها من الامان مثل الذى نودى به ..ورمى بها الى عسكر الخبيث ،فمالت اليه قلوب اصحاب المارق بالرهبة والطمع فيما وعدهم من احسانه وعفوه "(٢) ،واستسلم له الكثيرون . فكان لحوادث الاستئمان الاثر السيء على وضع صاحب الزنج ليس من حيث زيادة عدد المنضمين الى الجيش العباسي فقط (٣) ، بل لأثر ذلك في كشف الاسرار العسكرية لمدينة المختارة ـ مدينة صاحب الزنج ـ ذلك أن المستأمنين كانوا على اطلاع كامل عليها ،مما أسهم كثيرا في ترجيح كفة القوة

---

(١) انظر الطبري : تاريخ جـ٩/ص ص ٦٥٤-٦٥٥ ، ابن أبي الحديد : شرح جـ ٢٠٧/٨ .
(٢) الطبري : تاريخ جـ٩/ ٥٨٤ .
(٣) قدر ابن كثير عدد من انضم منهم للجيش العباسي بحوالي خمسين ألف من الأمراء والخواص والاجناد . البداية جـ ٤٢/١١ .

العباسية(١) . ويدل هذا العمل على سعة أفق الموفق بالله اذ أنـــه باتباعه لاسلوب الحرب النفسية قد أحدث البلبلة والاضطراب فى صفـــــوف الزنج والهلع لدى صاحب الزنج وجعلهم يتخبطون فى أخطائهم وترددهم واصابهم بحالة شاملة من الانكسار واليأس مما كان له أثره الكبير فى الاســـراع بتحقيق النصر ، وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم .

...

---

(١) الدوري : دراسات ص ٩٨ .

الفصل الثالث

سيطرة الموفق بالله على إدارة الدولة العباسية وتحكمه في الخليفة

الفصل الثالث

سيطرة الموفق بالله على ادارة الدولة وتحكمه فى الخليفة

اشتداد شوكة الزنج واتساع سيطرتهم على السواد :

باعتزال أبو أحمد الموفق القيادة فى عام ٢٥٩ / ٨٧٣ م ، تحرر الزنج من الخطر الذى كان يتهددهم .(١) فلم يكن أحد غيره يستطيع أن يحد من توسعهم نتيجة لضعف القادة الأتراك وعجزهم عن التصدى لهم . فأخذ صاحب الزنج يرسل قواته بأعداد كبيرة للاغارة على قرى ومدن السواد ، بغية الحصول على المؤن والغنائم ، وايقاع الرعب فى نفوس أهالى تلك المنطقة . وقد تمكنت هذه القوات من السيطرة على الأهواز والبطيحة وواسط . فرتبوا عليها عمالا لصاحب الزنج وجبوا خراجها وبنوا المعسكرات الحصينة فيها .(٢)

---

(١) سبق وأن أشرنا فى الفصل الثانى عن الأسباب التى دفعت الموفق الى اعتزال القيادة وترك قتال الزنج ، والعودة الى عاصمة الخلافة سر من رأى.

(٢) وسوف يرد تفصيل هذه الأحداث فى الفصل الرابع - مرحلة التمرد والتوسع .

١ - اعادة تعيين الموفق قائدا للجيش العباسى :

كان لتفاقم خطر الحركات الثائرية على الدولة العباسية ولا سيما خطر صاحب الزنج الذى" اشتد طغيانه وعتوه" (١) وتمكن فى غياب قيادة ابن احمد الموفق من ان ينشر جيوشه فى منطقة سواد العراق (٢) ، وقد عمل هؤلاء بكل جهدهم واجتهادهم على تخريب " كل ما وجدوا الى اخرابه سبيلا " (٣) . هذا بالاضافة الى خطر يعقوب بن الليث الصفار الذى زحف بجيشه الى فارس فى طريقه الى عاصمة الخلافة (٤) ، بجانب تخاذل كبار القادة الاتراك وفى مقدمتهم موسى بن بغا امام كثرة المتغلبين فى نواحى المشرق (٥) . فلم يجد الخليفة المعتمد على الله بدا من اسناد قيادة الجيوش لاخيه ابى احمد الموفق للمرة الثانية لانه الرجل الوحيد الذى يستطيع أن ينقذ الخلافة من المخاطر التى تتعرض لها بقوة عزيمته وصدق توكله على الله عز وجل (٦) . وقد أصدر امر الخليفة المعتمد على الله بتولية اخيه ابا احمد الموفق قيادة الجيوش العباسية فى ١٢ شوال ٢٦١ هـ/ ٨٧٤ م ، وانعم عليه بالالقاب التشريفية ، وجعل له الحظوة فى الدولة حينما عقد له الى جانب ذلك ولاية العهد بعد ابنه جعفر وولاه على المشرق باكمله فقد تضمن الامر توليته اضافة الى ذلك "بغداد والسواد والكوفة وطريق مكه والمدينة واليمن وكسكر وكور دجلة والاهواز وفارس واصبهان وقم والكرج والدينور والرى وزنجان وقزوين وخراسان وطبرستان وجرجان وكرمان وسجستان والسند " (٧) .

---

(١) ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨/ ١٦٠ .
(٢) المسعودى : التنبيه ص/ ٣٦٨ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٥٦٣ .
(٤) ن . م . س . جـ ٩/ ٥١٤ .
(٥) ن . م . س . جـ ٩/ ٥١٣ ، مؤلف مجهول : العيون جـ ٤/ ٧٤ .
(٦) ابن دحيه : النبرا س ص/ ٩٠ .
(٧) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥١٤ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٥/ ٢٦ ، المنت ابن حمدون : التذكرة مخطوط ورقة ٢٠٣ .

٢ - تأزم علاقة الخلافة بالصفاريين :

أشرنا فى الفصل السابق الى ظهور يعقوب بن الليث الصفار فى أول أمره بهدف القضاء على الخارجين على سلطان الخلافة العباسية من الشراة الخوارج . غير أنه ، وبعد أن حقق ذلك ،ظهرت أطماعه الخاصة ، فأخذ يعمل على اقامة امارة خاصة به متسعة الارجاء فى المشرق . فأمتد سلطانه الى خراسان بعد أن أسقط الطاهريين فيها فى عام ٢٦٠هـ/٨٧٣م حيث أسر محمد بن طاهر . ثم أنه حاول فتح اقليم طبرستان ، كما نجح فى الاستيلاء على اقليم جرجان (١) فى محرم عام ٢٦١هـ/ ٨٧٤م ، غير أنه أثقل كاهل سكان هذه الولايات بالضراب الباهظة والتى كان يعمل على جبايتها " بالجبروت والعسف" .(٢) مما عمل على احداث التذمر العام منه وساعد الخلافة فى اظهار موقف عدم الرضى بل والغضب عليه ، والحق فان الخليفة كان منذ البداية غير راض عن نوايا يعقوب بن الليث الصفار التوسعية ، من جهة وبجانب ذلك فان قوة نفوذ الطاهريين فى بغداد من جهة أخرى (٣) قد دفعت الخليفة المعتمد على الله بان يأمر بجمع حجاج الولايات الشرقية القادمين من خراسان والرى وطبرستان وجرجان بعد عودتهم من أداء فريضة الحج ، فى صفر عام ٢٦١هـ/ ٨٧٤م وقرأ عليهم منشورا أعلن فيه بأن يعقوب

---

(١) جرجان : مدينة عظيمة مشهورة قرب طبرستان . لمعلومات اوفى انظر القزوينى : اثار البلاد ٩ /٣٤٨ .

(٢) ابن خلكان : وفيات جـ ٦/٤١٢ .

(٣) السامرائى : المؤسسات ص/ ٣٥ .

ابن الصفار مغتصب وخارج على الدولة ،وأمرهم بالبراءة منه (١) . وأرسلت عدة نسخ من هذا المنشور الى الامصار ليعلم الجميع بذلك (٢) . ثم كاتب الخليفة " أصحاب الممالك بخراسان وذوى الجاه والعدد بتولية كل رجل ناحية" (٣) . ليحد بذلك من نفوذ يعقوب بن الصفار وليمنعه من دخول خراسان .

غير أن يعقوب لم يأبه لذلك ،بل زاد هذا المنشور ومكاتبة الخليفة لاهل خراسان من تحديه وجرأته على الخلافة ، فقد كان رد فعله على ذلك ان مد نفوذه الى فارس حيث سار اليها فى صيف عام ٢٦١هـ/ ٨٧٤م فلما اقترب منها أرسل الى واليها محمد بن واصل (٤) يطلب منه تسليم فارس، غير أن ابن واصل قام باعتقال الرسل وخرج بقواته متسترا يريد مباغتة يعقوب بن الصفار أملا فى ان يتمكن من ايقاع الهزيمة به ، غير أن أخبار تحرك ابن واصل قد بلغت يعقوب بن الليث الذى استعد للقتال . وكان لبعد الشقة وحرارة الجو العالية وندرة المياه وصعوبة طرق المواصلات أثر كبير فى تحديد قدرة قوات ابن واصل وفى ارهاقها ويكفى ان نشير الى ان هذه القوات قد تراجعت دون قتال مما حقق لابن الصفار فرصة السيطرة على فارس حيث عين عماله لادارتها (٥) . واستولى على ما فيها من الاموال" واوقع بالاكراد الذين ما لئوا ابن واصل "(٦) .

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥١٢ ،مؤلف مجهول : العيون جـ ٤/ ٧٣ ، الدورى : دراسات ص/ ١١٠ .

(٢) ابن خلكان : وفيات جـ ٦/ ٤١٢ .

(٣) ن.م.س. جـ ٦/ ٤١٣ .

(٤) انظر ترجمته فى البحث الخاص عن الزنج فى بداية هذا الفصل ص/ ه

(٥) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٢٧٧ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣/ ٣١١ .

(٦) مؤلف مجهول : العيون جـ ٤/ ٧٥ .

ويبدو أن مطامع ابن الصفار قد زادت نتيجة هذا الانتصار السهل "اذ حدثت نفسه بالاستيلاء على الاهواز وغيرها"(١). وفعلا تقدم نحو الاهواز فدخل رامهرمز(٢) فى الخامس من ربيع الاول عام ٢٦٢/٨٧٥م(٣). وبذلك يكون يعقوب بن الليث قد خرج عن المعقول فى علاقته بالخلافة كأمير متغلب واتخذ موقف التحدى والمواجهة بعد أن أدخل فى حسابه ضعف الخلافة وانشغالها بمكافحة خطر الزنج(٤) الذى كان خلال هذه المرحلة قد استشرى كثيرا. وقد وصلت أخبار انتصارات ابن الصفار الى العاصمة حيث كان لها دوى كبير فقد اضطربت بغداد مما اضطر الموفق على ما يظهر - الى اتباع سياسة التراضى مع الصفار فقد أمر باطلاق سراح جميع من كان فى حبسه من اصحاب يعقوب - وكان الموفق قد حبسهم عند ما أسر يعقوب محمد بن طاهر(٥) - كما احضر اعيان التجار "وأعلمهم ان أمير المؤمنين أمر بتولية يعقوب بن الليث خراسان وطبرستان وجرجان والرى وفارس والشرطة بمدينة السلام وذلك بمحضر من درهم بن نصر(٦) صاحب يعقوب"(٧). وكان يعقوب قد بعثه ليطالب له بولاية المشرق. وقد أمر الموفق بأن يعود درهم بن نصر الى صاحبه يعقوب بصحبة بعض الرسل المحملين بالخلع من دار الخلافة ولكى يبلغوه برضى أمير المؤمنين عليه وبما أضيف الى ولايته من الولايات(٨). غير أن يعقوب، وقد وجد أن الخلافة

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/٢٧٧.
(٢) رامهرمز: مدينة مشهورة بنواحى خوزستان. ياقوت : معجم جـ ١٧/٣.
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٥١٦/٩، ابن حمدون : التذكرة ورقة ٢٠٣أ.
(٤) السامرائى : المؤسسات ص/٣٥.
(٥) ابن حمدون : التذكرة ورقة ٢٠٣أ، ابن الأثير : الكامل جـ ٧/ ٢٩٠، مؤلف مجهول : العيون جـ ٤ /ص ص ٧٦-٧٧.

(٦) درهم بن نصر: كان صاحب يعقوب بن الصفار وصهره. مؤلف مجهول : العيون جـ ٧٧/٤.
(٧) الطبرى : تاريخ جـ ٥١٦/٩.
(٨) ابن الاثير : الكامل جـ ٢٩٠/٧، الذهبى : دول جـ ١٥٨/١.

تستجيب لرغباته ، اعتز وركب رأسه وفقد كل احترام واجلال للخلافة (١) . وقد زينت له اطماعه بان فى مقدوره الاستيلاء على بغداد عاصمة الخلافة وأن يتحكم فى الخلافة ذاتها (٢) . ولذلك فانه استنكف عن قبول الهدايا ورفض اوامر الخلافة لهبالتولية ، واعاد الرسل الى الخليفة بكتاب يذكر فيه بغلظة وعطرسة " أنه لا يرضيه ما كتب اليه دون أن يصير الى باب السلطان " (٣)

تحرك يعقوب بن الليث الى معسكر مكرم (٤) ويبدو ان والى الاهواز من قبل الخلافة القائد ابو الساج (٥) قد أرعبته فكرة قتال يعقوب بن الليث الصفار فى الوقت الذى كان يقابل فيه خطر الزنج لذلك فانه قد آثر السلامة وسعى الى الصفار طالبا الانضمام اليه ، فقبله الاخير ووصله (٦) .

---

(١) الدورى : دراسات ص/ ١١٥ .

(٢) الذهبى : العبر ج ٢ / ٢٤ ، اليافعى : مرآة الجنان ج ٢ / ١٧٥ ، ابن العماد : شذرات ج ٢ / ١٤٥ . (٣) الطبرى : تاريخ ج ٩ / ٥١٦ .

(٤) المعسكر مكرم : بلد مشهور من نواحى خوزستان . ياقوت : معجم ج ٤ / ١٢٣ .

(٥) انظر ترجمته فى بداية هذا الفصل الخاص بالزنج ص/ ٦ .

(٦) الطبرى : تاريخ ج ٩ / ٥١٦ ، ابن خلدون : العبر ج ٣ / ٣١٣ .

٣ - صمود جيش الخلافة بقيادة الموفق بالله بوجه الخطر المزدوج وانتصاره على الصفاريين وصده زحف الزنج :-

قرر الموفق بالله وقد استوعب مطامع يعقوب بن الليث وفشل سياسة اللين معه ، ان يضع حدا لاطماع الصفاريين وخاصة بعد ان بلغه انضمام ابى الساج اليهم ، ولذلك فقد اجل حملته التى كان قد اعدها لمحاربة الزنج الذين اصبحوا على مقربة من بغداد ، واستعد لملاقاة الصفار (١) . وهكذا فقد خرج من سر من رأى بقواته مصطحبا معه الخليفة المعتمد على الله فى ٦ جمادى الآخرة ٢٦٢/٨٧٥م فوصل بغداد فى ١٤ جمادى الآخرة . ثم توجه نحو الطرف الشرقى من رصافة بغداد حيث نزل الزعفرانية (٢) واقام بها حتى ٢٩ جمادى الآخرة ، حيث سار الى سيب بنى كوما (٣) ، وهناك التحق به مسرور البلخى بجيوشه (٤) مما ساعد كثيرا فى تدعيم جيش الخلافة (٥) . ولما انتظمت عدة الجيش رحل الموفق الى دير العاقول (٦) ، حيث اختار

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

(٢) الزعفرانية : قرية قرب بغداد تحت كلواذى . ياقوت : معجم جـ ٣ / ١٤١ .

(٣) سيب بنى كوما : السيب هو نهر بالبصرة وفيه قرية كبيرة - بنى كوما - ياقوت : معجم جـ ٣ / ٢٩٣ .

(٤) كان الموفق قد أسند لمسرور البلخى قيادة الجيش المحارب ضد الزنج .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٥١٧ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ٢٩٠ .

(٦) دير العاقول : بين مدائن كسرى والنعمانية ، بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخا . ياقوت : معجم : جـ ٢ / ٥٢٠ .

موضعا ليكون ميدانا للقتال يقال له اضطربد بين سيب بنى كوما ودير العاقول ، وقد باشر بالتهيوء حال وصوله اذ أمر بالاستعداد والتعرف الدقيق على الموضع وازالة أشجاره واصلاح الطرق اليه ، كما أمر بتوزيع الاعطيات على الجند ثم " جعل يعبأ جيوشه ويبعث فيهم الحماسة ويحرضهم على الاخلاص فى القتال فكان يقول لهم : الا ان تنصروا أو تنهزموا فلا ترجعوا لتكم اليكم "(١)

أما من ناحية الصفاريين ، فقد تابع يعقوب بن الصفار مسيرته باتجاه بغداد ، فقد رحل بجيوشه الجرارة(٢) من الاهواز الى واسط حتى صار على بعد فرسخ واحد منها فصادفه "بثقا (٣) قد بثقه مسرور البلخى من دجلة لئلا يقدر على جوازه ، فأقام عليه حتى سده وعبره (٤)" . وبذلك دخل واسط فى ٢٤ جمادى الآخرة عام ٢٦٢هـ/٨٧٥م ومنها زحف الى معسكر الخلافة(٥) .

كان أبو احمد الموفق قد قسم جيشه الى ميمنة جعل عليها موسى بن بغا ، وميسرة وعين على قيادتها مسرور البلخى وتولى هو قيادة القلب(٦) ، واستكمالا لخطته فى تبيان الحق ومنع اصحاب الصفار من القتال دون ادراك لموقفهم من حدود الشريعة السمحاء ، ولعل هذا يكشف سبب مرافقة الخليفة له فى هذه المعركة ، فقد اخرج الموفق احد قادته الى مواجهة

---

(١) ابن خلكان : وفيات جـ ٦/٤١٥ .

(٢) يقدر المؤرخون عدد جيوش يعقوب بسبعين الف مقاتل ، الذهبى: العبر جـ ٢/٢٤ ، ابن العماد : شذرات جـ ٢/٤٥ .

(٣) البثق : هو كسر شط النهر لينبعث ماؤه . ابن منظور : لسان جـ ١٣/ ١٣ .

(٤) الطبرى : تاريخ جـ ١/١٧ه .

(٥) ن.م.س. جـ ٩/١٧ه .

(٦) ن.م.س. جـ ٩/١٧ه ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٥/٣٣ ، ابن كثير: البداية جـ ١١/٣٥ .

صفوف جند يعقوب ليحثهم على ترك صاحبهم عن طريق التأثير العقيدى فقد أخذ هذا القائد العباسي يناشدهم بقوله : "يا اهل خراسان وسجستان ، ما عرفناكم الا بطاعة السلطان وتلاوة القرآن وحج البيت ، وما نشك ان هذا الملعون قد موه عليكم ، وقال لكم : ان السلطان قد كتب اليه بالحضور ، وهذا السلطان قد خرج لمعاربته ، فمن آثر منكم الحق وتمسك بدينه وشرائع الاسلام فلينفرد عنه "(١).

وقد أثمرت هذه الخطة فعلا ، وبعد أن حقق يعقوب انتصارا أوليا على ميمنة جيش الموفق فى ١٠ رجب عام ٢٦٢هـ/٨٧٥م(٢) لم تلبث أن دارت الدائرة عليه وحلت به هزيمة ساحقة . وقد أخذ الموفق يعمل بسرعة لاضعاف يعقوب بن الصفار ، فلجأ الى حيلة بارعة قام بتنفيذها نصير الديلمى(٣) الذى التف حول معسكر يعقوب فسلك نهر دجلة فى شذواته حتى وافى موخرة معسكر يعقوب بن الصفار فأشعل النار فى مراعى دوابه " فتفرقت الابل فى المعسكر وتردت البغال والخيل واضطرب الناس فى مصاف الصفار(٤)" ثم عمد الموفق من جهة اخرى الى تفجير النهر المعروف بالسيب فى طريق يعقوب(٥) ، ولما كان الاخير قليل المعرفة بمسالك هذه المنطقة(٦) ، فلم

---

(١) ابن خلكان : وفيات جـ ٦/ ٤١٤ .

(٢) ابن ماجة : تاريخ الخلفاء ص/ ٤٥ ، المسعودى : مروج جـ ٤ / ٢٠٠ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٥/ ٣٣ ، ابن خلكان : وفيات جـ ٦/ ٤١٤ .

(٣) نصير الديلمى : هو ابو حمزه المعروف بنصير مولى سعيد بن صالح الحاجب . المسعودى : مروج جـ ٤/ ٢٠١ . عينه ابو احمد الموفق فيما بعد قائدا عاما لجميع السفن الحربية فى مرحلة التصدى لثورة الزنج . انظر الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٥٨ .

(٤) المسعودى : مروج جـ ٤/ ٢٠١ .

(٥) ن . م . س . جـ ٤/ ٢٠٠ .

(٦) ابن خلكان : وفيات جـ ٦/ ٤١٥ .

يجد أمامه غير خوض هذه المياه مما أهلك الكثير من خيله (١) ، في الوقت الذي أعاد فيه الموفق ترتيب جيشه وجدد استعداداته. فلما اشتبك الفريقان حمل الموفق ومعه سائر جيشه حملة شديدة على جيش يعقوب حتى انزلوا بهم هزيمة فادحة في ١١ رجب سنة ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م وقتلوا الكثير من اصحاب يعقوب المخلصين له والمعروفين لديه بالشدة والبأس كما أصيب يعقوب نفسه بثلاث اصابات جسيمة في حلقه ويديه. (٢)

وقد ذكر المؤرخون اسبابا متعددة ساعدت في هزيمة يعقوب بن الصفار فاشاروا الى انسحاب كثير من الجند من جيش يعقوب بن الليث الصفار بعد أن اظهروا كراهية القتال معه اذ رأوا السلطان قد حضر لقتاله (٣) . كما أن سرعة تقدم يعقوب بن الليث وعدم معرفته بالطرق ومسالك الانهار قد انهكت جيشه . هذا اضافة الى ان سرعة تصرف ابي احمد الموفق وحسن اختياره لساحة المعركة قد افقد الصفار حرية الاختيار في أمر له أثره الجسيم في تحقيق النصر وهو اختيار الموقع الذي يقاتل فيه . أضف الى ذلك ما هيأته الظروف الجوية من احوال مواتية لجيش الخلافة فقد كانت صفوفه تقف في اتجاه الريح مما سهل على رماة الموفق مهمتهم فلم يفلت يومئذ من اصحاب يعقوب رجل لم تصبه سهام جند الموفق . (٤)

فر يعقوب بن الصفار من ميدان القتال لا يلوى على شيء تاركا جميع ما كان معه من ذخائر واموال غنيمة لجند الخلافة " فذكر انه أخذ من عسكره

---

(١) المسعودى : مروج جـ ٤/ ٢٠١ .

(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥١٧ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٢٩١ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥١٨ .

(٤) ابن خلكان : وفيات جـ ٦/ ٤١٥ .

من الدواب والبغال اكثر من عشرة آلاف رأس ،ومن الدنانير والدراهم ما يكل عن حمله . ومن جرب المسك امر عظيم"(١) . كما اتيح للموفق انقاذ القائد محمد بن طاهر من الاسر ، اذ خلع عليه الموفق عند ذلك(٢) ، وأعاد اليه ما كان يتولى من الاعمال(٣) . وبعد هذا الانتصار العظيم الذى حققه الموفق اصدرت الخلافة منشورا عاما يلعن يعقوب بن الصفار بعد أن "أحدث الاحداث المنكرة ... واقباله الى باب امير المؤمنين مظهرا المسألة فى أمور اجابه امير المؤمنين منها ما لم يكن يستحقه ، استصلاحا له ، ودفعا بالتى هى أحسن ،فولاه خراسان والرى وفارس وقزوين وزنجان والشرطة بمدينة السلام ،وأمر بتكنيته فى كتبه ، واقطعه الضياع النفيسه ،فما زاده ذلك الا طغيانا وبغيا فأمره بالرجوع فأبى(٤)" . وبذلك اصبح مستحقا للعن نتيجة لسعيه اثارة الفتن وانكار النعم واقامته على "سبيل واحد فى البغى والعناد والعصيان(٥)".

انسحب يعقوب بن الصفار الى خوزستان فدخل مدينة السوس وجبى خراجها ثم سار الى تستر فأخضعها لسلطانه وعين ناشبا له فيها(٦) . ورحل بعد ذلك الى جند يسابور فى شوال عام ٢٦٢هـ/٨٧٥م فنزل فيها ويبدو انه اختار الاقامة فيها لحصانتها وتوسطها المدن الكبرى(٧) . وهناك راسله صاحب الزنج فى محاولة ثانية لاستمالته ليعقد معه تحالفا ضد الخلافة

---

(١) الطبرى : تاريخ ج ٩/٥١٨ .
(٢) ن.م.س. ج ٩/٥١٨ ، المسعودى : مروج ج ٤/٢٠١ . مؤلف مجهول : العيون ج ٤/٧٨ . ابن حمدون : التذكرة الحمدونية ورقم ٢٠٣أ ، اليافعى : مرآة الجنان ج ٢/١٧٥ .
(٣) كان محمد بن طاهر يتولى ولاية خراسان والشرطة ببغداد وسرمنرأى ابن خلكان : وفيات ج ٦/٤١٧ .
(٤) الطبرى : تاريخ ج ٩/٥١٨ .
(٥) ابن خلكان : وفيات ج ٦/٤١٧ .
(٦) ن.م.س. ج ٦/٤١٩ .
(٧) ياقوت : معجم ج ٢/١٧١ .

العباسية ، فأخذ " يحثه على الرجوع الى بغداد ويعده المساعدة ". غير أن يعقوب رفض هذا العرض لانه على ما يظهر اصبح مرهق الحساسية تجاه كل ماله صلة بالعقيدة الاسلامية وخصوصا بعد هزيمته امام جيش الخلافة ، وهكذا فقد اعتبر الزنج مارقين عن الاسلام واجاب صاحبهم برسالة تحتوى على الآية الاولى من سورة (الكافرون) من كتاب الله العزيز هو قوله تعالى : قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون "(١) .

أعادت الخلافة تعيين محمد بن واصل على ولاية فارس لكن يعقوب تمكن من ايقاع الهزيمة به كما تمكن من فرض سيطرته على فارس مرة أخرى .(٢) وفى عام ٢٦٣/٨٧٦م ارسل يعقوب بن الصفار جيشا بقيادة احد اصحابه يقال له الخضر بن العنبر فدخل الاهواز وكان الزنج يعيشون فيها بقيادة المهلبى ، فحدثت بين الطرفين مناوشات كانت الغلبة فيها على ما يظهر للزنج اذ كان حصيلتها ان طلب يعقوب ابن الصفار المهادنة ، وقد وافق صاحب الزنج على طلبه ، وربما كان ذلك نتيجة لرغبة الطرفين فى التفرغ لقتال جيوش الخلافة . ولعل صاحب الزنج كان راغبا فى ان يجعل علاقته بالصفاريين طيبة وبذلك ظلت قوات يعقوب مقيمة فى الاهواز. (٣) .

حاول ابو احمد الموفق استغلال حالة الانكسار النفسى لدى الصفاريين ولذلك فقد استأنف مفاوضاته مع يعقوب على امل الاستفادة من قواته والتعاون معا فى سبيل القضاء على خطر الزنج (٤) ، فأرسل اليه رسولا يحمل كتابا باسم الخليفة يجدد ولايته على أعمال فارس . غير أن يعقوب قابل ذلك بالرفض

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ص ص ٢٩١-٢٩٢ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٢٧ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٥/ ٣٣ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٢٩٢ ، ابن كثير : البداية جـ ١١/ ٣٠ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ص ص ٥٣١-٥٣٢ ، ابن الاثير: الكامل جـ٧/ ٣٠٨ .
(٤) السامرائى : المؤسسات ص/ ٣٦ .

القاطع وكشف عن مدى ما أصابه اندحاره من فشل وخذلان ومدى ما يضمره للخلافة من حقد اذ أجاب الرسول بما يهظر بجلاء نواياه تجاه الخلافة بقوله : " قل للخليفة انني عليل فان مت فقد استرحت منك واسترحت مني ، وان عوفيت فليس بيني وبينك الا هذا السيف ، حتى آخذ بثأري أوتكسرني وتعقرني [(١)]". وهكذا فانه قد وضع حدا لاية آمل تراود الموفق أو غيره في الوصول الى تسوية ترضي الطرفين وتضمن مصلحة الخلافة والامة أو حتى في العودة الى الاعتراف الاسمي بالسيادة الشرعية للخلافة على الاقاليم التي يحتلها الصفاريون ما دام يعقوب بن الليث في مركز الامارة والتحكم وعلى قيد الحياة .

توفي يعقوب بن الليث في شنوال عام ٢٦٥/٨٧٨م [(٢)] ،فبايع جنده أخاه عمرو ابن الليث ،وقد آثر عمرو الجنوح الى السلم [(٣)] ، ولعله أراد من وراء ذلك أن يكسب ولايته الصيغة الشرعية وخاصة بعد أن رأى أن سياسة أخيه في تحدي الخلافة لا جدوى منها . فكتب الى الخليفة يعلن دخوله في طاعته ، مما حسن العلاقة بين الطرفين [(٤)] . وهكذا عادت اقاليم المشرق اسميا الى جسم الخلافة الاسلامية . وقد اصدر ابو احمد الموفق امرا باسم الخليفة يتضمن تنصيب عمرو بن الليث الصفار واليا على خراسان وفارس واصبهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد [(٥)] . وعلى كل حال ، فان هذه

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ٧/ص ص ٣٢٥-٣٢٦ ، ابن خلكان : وفيات جـ٦/ ٤٢١
(٢) المسعودي : مروج جـ٤/ ٢٠٢ ،ابن الاثير : الكامل جـ٧/ ٢٢٥ ، ابو الفدا : المختصر جـ٢/ ٥٢ ، ابن خلدون : العبر جـ٣/ ٣١٨ ، ابن العماد : شذرات جـ٢/ ١٥١ ،
(٣) السامرائي : المؤسسات ص/ ٣٦ .
(٤) الاصفهاني : سني ملوك الارض ص/ ١٧١ ،ابن خلكان : وفيات جـ٦/ ٤١٩ .
(٥) الطبري : تاريخ جـ٩/ ٥٤٥ ،ابن الجوزي : المنتظم جـ٥/ ٥٠ ،ابن الاثير : الكامل جـ٧/ ٣٢٦ ،السرنجاوي : النزعات الاستقلالية في الخلافة العباسية / ٦٣ .

التطورات قد اسهمت في انهاء هذا النزاع ، وتهيأ للخلافة العباسية ظروفا أفضل لمجابهة المشاكل الأخرى . وهكذا تفرغ الموفق لصد خطر الزنج الذي أنتشر في سواد العراق .

٤ - موقف الموفق من محاولة انتقال المعتمد الى الشام ومصر ونتائج ذلك :-

ايقن ابو احمد الموفق من نزعة احمد بن طولون الاستقلالية في مصر ، وخاصة بعد ان وصله ذلك الكتاب الذي يتهدده فيه ويتوعده (١) . وقد حاول الموفق عزل ابن طولون عن ولاية مصر وتقليدها أماجور التركي(٢) والي دمشق ، ومن أجل ذلك أرسل موسى بن بغا على رأس جيش في عام ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م الى مصر ليقوم بهذه المهمة(٣) وفي نفس الوقت انفذ الى أماجور كتاب التقليد .(٤) غير أن ابن طولون بادر الى تقوية تحصيناته ودفاعاته في مصر فبنى حصنا منيعا في الجزيرة التي تقع بين الفسطاط والجيزة كما جهز اسطولا ضخما يتكون من " مائة مركب عربية كبارا ومائة مركب حربية" هذا بالاضافة الى عدد كبير من انواع السفن الاخرى وقوارب الخدمة(٥) . حتى لا يجرؤ أحد على مهاجمته في الوقت الذي عجز فيه موسى بن بغا عن مواصلة المسير الى مصر لقلة ما معه من الاموال فقد أقام في الرقة(٦) عشرة

---

(١) سبق وأن تعرض البحث في - الحركات المناوئة لسلطان الخلافة - الى انفراد احمد بن طولون بحكم مصر والاسباب التي ادت الى حصول التنافر بينه وبين ابي احمد الموفق بالله .

(٢) تولى اماجور التركي ولاية دمشق واعمالها من قبل الخلافة في عام ٢٥٦هـ ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٢٣٨ .

(٣) الكندي : الولاة ص/ ٢١٧ ، المقريزي : الخطط جـ١/ ٦٠٦ .

(٤) البلوي : سيرة ص/ ٨٥ . (٥) ن.م.س. ص/ ٨٧ .

(٦) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة ايام ، وهي تعد من بلاد الجزيرة لانها من جانب الفرات الشرقي . يقاوت: معجم جـ ٣/ ٥٩ .

أشهر بانتظار وصول الاموال ،وقد اختفت خلالها مطالبة الجند بالعطاء والارزاق فلما لم يستجب لهم ثاروا عليه مما اضطره الى العودة الى العراق حيث توفى معتلا فى صفر عام ٢٦٤هـ/٨٧٧م (١). أما من ناحية أماجور فانه لم يجروء على مطالبة احمد بن طولون بما ولاه اياه الموفق وذلك "لعجزه عن مناهضته" (٢).

ويبدو أن الموفق قد ادرك بان مصلحة الدولة تقتضى بان يتفرغ للقضاء على خطر الزنج ، وبأنه لا فائدة ترجى من تقطيع جيشه اذا ما اراد الوصول الى ذلك الهدف . هذا بالاضافة الى قلة الاموال التى تتوفر لدى الخلافة حينئذ مما يجعل من غير الممكن توفير اية مبالغ اضافية لمثل تلك الحملات الجانبية ، فى وقت كانت فيه الحاجة شديدة الى الاموال لسد نفقات قتال الزنج وحاجة الجند الى الاعطيات والارزاق ونفقات التجهيزات وبناء السفن وتعبيد الطرق وبناء المعسكرات . ولذلك فانه لم يحاول ان يرسل جيشا آخر يقاتل به ابن طولون .ومع ذلك فقد أخذ احمد بن طولون بتحين الفرص لاضعاف الموفق والتخلص من خطره . وهكذا فانه ما ان اختلت احوال الثغور الشامية واضطرب الامن فيها (٣) ،وكان الخليفة المعتمد على الله قد سبق له ان اضاف ولاية هذه الثغور الى ابن طولون ليقوم بحفظها (٤) ، حتى بادر بتسيير جيوشه اليها . وهكذا فقد تهيأ لابن طولون أن يستغل

---

(١) الكندى : الولاة ص/ ٢١٨ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ٣٠٥ .
(٢) البلوى : سيرة ص/ ٨٥ .
(٣) كان ذلك نتيجة لتسليم الصقاليه حصن لؤلؤ للروم ،وكان هذا الحصن شجا فى حلق العدو فمن طريقه يتعرف اهل الثغور على اخبار الروم وما يعدونه للحرب برا او بحرا . انظر ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ص ص ٣٠٨-٣٠٩ .
(٤) البلوى : سيرة ص/ ٩١ .

انشغال الخلافة في مشاكلها في السواد والمشرق ليمد سلطان ولايته لكي يضم الشام كلها . ولم يعدم ابن طولون التبرير الداعي لهذه الخطوة التي كشفت عن مدى اطماعه وسعة أحلامه . فقد اتخذ من الرغبة في صد الروم وتأمين الحدود الاسلامية ازاء البيزنطيين ذريعة له لكي يبرر بهما ذلك العمل . وقد كتب الى علي بن اماجور[1] " يخبره بانه سائر اليه وأمره باقامة الانزال والعير لعساكره[2] " . فلم يجد الاخير امامه سوى الطاعة والخضوع[3] .

زحف ابن طولون بجيشه الى الشام في شعبان ٢٦٤هـ/٨٧٧م مدركا بان احدا لا يستطيع مقاومته سوى الموفق الذى كان مشغولا بحرب الزنج فدخل دمشق حيث تلقاه " علي بن ماجور واقام له بها الدعوة "[4] . ثم استولى ابن طولون على حمص وحماه وحلب وعين نوابا عليها[5] . ولما امتنع عامل انطاكيه عن تسليم المدينة اليه حاصرها . فلما طال الحصار وأضر بأهلها أرسلوا اليه من دله على المنطقة الضعيفة في سور المدينة فدخل ابن طولون انطاكية في محرم سنة ٢٦٥هـ/سبتمبر ٨٧٨م فقتل عاملها واستباح أمواله ورجاله[6] ، ومن ثم تابع احمد بن طولون مسيرته الى طرسوس[7].

---

(١) وكان اماجور قد توفي في عام ٢٦٤هـ/٨٧٧م ، وولي مكانه ابن علي . ابن الاثير : الكامل جـ٧/٣١٦ .
(٢) الكندى : الولاة ص /٣١٦ .
(٣) ابن الاثير : الكامل جـ٧/٣١٦ .
(٤) الكندى : الولاة ص/٢١٩ .
(٥) ابن الاثير : الكامل جـ٧/ص ٣١٦ - ٣١٧ ، ابو الفدا : المختصر جـ٢/٥١ .
(٦) الكندى : الولاة ص/٢١٩ .
(٧) طرسوس : مدينة جليلة بثغور الشام بين انطاكية وحلب. القزويني : اثار ص/٢١٩ .

وأظهر أنه يريد البقاء فيها لقتال الروم ، غير أن تذمر اهلها من ارتفـــاع الأسعار بسبب كثرة جنده في المدينة جعله يرحل عنها . (١) . ولعل سبب تراجعه عن قتال الروم يعود الى أنه لم يكن جادا في ذلك اذ اتخذ الامر ذريعة لتغطية خططه ، هذا اضافة الى أنه لم يكن يرغب في توزيع قواتـــه ولكي يبقى على الدوام على استعداد تام لمجابهة أي خطر محتمل اذا مـا أقدم الموفق على أي خطوة مضاده . ولذلك فقد صرف ابن طولون اهتمامه الى توطيد امارته وتأمين حدودها وخصوصا المتأخمة منها للعراق ، فقــد ترك في كل من حران (٢) والرقة جيشا كبيرا لحمايتهما ثم عاد الى مصر فـــي رمضان عام ٢٦٥هـ/٨٧٨م (٣) ليقضي على تمرد ابنه العباس فيها . (٤)

ما أن استتب الامر لابن طولون حتى ظهرت بوادر الخلاف بينه وبـين غلامه لؤلؤ الذي كان قد ولاه على حمص وقنسرين وحلب وديار مضر (٥) . وكان هذا الخلاف سببا لان يميل لؤلؤ الى الموفق فكتب اليه في عام ٢٦٨هـ/ ٨٨١م يستأذنه في الالتحاق به ليدخل في طاعته ويكون تحت تصرفـــه (٦) . ولما كان ابو احمد الموفق في حاجة الى الامدادات لمساعدته في حرب الزنج ، فقد قبل عرض لؤلؤ وبذلك سار لؤلؤ بجيشه العظيم والذي يتكون من " الفراغنة والأتراك والروم والبربر والسودان وغيرهم ، من نخبة اصحاب ابن طولون" الى الموفق فانضم بهم الى صفوف جنده في محرم ٢٧٠هـ/ يوليو ٨٨٣م (٧)

---

(١) الكندي : الولاة ص/ ٢٢٠ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٣١٧ .

(٢) حران : مدينة عظيمة مشهوره من جزيرة اقور ، وهي قصبة ديار مصر (بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان ، وهي على طريق الموصل والشام والروم ، ياقوت : معجم جـ ٢/ ٢٣٥ .

(٣) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ صص/ ٣١٧-٣١٨ .

(٤) كان العباس احمد بن طولون قد خرج الى برقة متمردا على ابيه فارسل اليه والده - احمد بن طولون - جيش تمكن من القاء القبض عليه واتى به اسيرا مع جماعة من اصحابه في عام ٢٦٨هـ. انظر الكندي : الولاة صص/ ٢٢١-٢٢٤ .

(٥) الطبري : تاريخ جـ ٩/ ٦١٤ ، ابو الفدا / : المختصر جـ ٢/ ٥٣ ، ابن الوردي : تتمة جـ ١/ صص ٣٥٨-٣٥٩ .

(٦) البلوي : سيرة ٢٧٦ . (٧) الطبري : تاريخ جـ ٩/ ٦٥٠ .

وكان لذلك أثر كبير فى ترجيح كفة المعارك والارتفاع بمعنويات جند الخلافة.

سارع احمد بن طولون فى التوجه الى الشام فى صفر ٢٦٩هـ/اغسطس ٨٨٢ م فى محاولة يائسه لمنع لوءلوء عن تنفيذ ما عزم عليه (١). وقد جاءت هذه الخطوة بعد محاولة اخرى كان نصيبها الفشل ايضا اذ "أرسل اليه كتابا يلاينه فيه ، ويذكره تربيته له". ويبين له انه فى حالة رجوعه عن فكرة الانضمام الى الموفق فانه سوف يصفح عنه بقوله : "فيكون مصيرك الينا بوجه مسفر غير كاسف ، وقلب مطمئن غير خائف (٢)." فلما باءت هاتان المحاولتان بالفشل ، بعد أن يئس من اللحاق بقوات لوءلوء التى كانت قد خرجت من الرقة ودخلت العراق قبل وصول ابن طولون الى الشام (٣) ، كتم غضبه على لوءلوء " وأظهر التهاون بأمره ، وفى قلبه منه احر من الجمر عليه (٤)". ولجأ الى محاولة اخرى قصد منها تهديد مركز الموفق وشرعية اجراءته وتصرفاته فى نطاق الادارة والمالية للدولة العباسية ، وذلك باغراء الخليفة المعتمد على الله نفسه ، واستهوائه للقدوم الى الشام لينتقل منها معه الى مصر . ولعله قد قصد من ذلك ان يقوى ملكه بل وتصبح له زعامة العالم الاسلامى اجمع نظرا لضعف شخصية الخليفة المعتمد على الله وما جبل عليه من انشغال باللهو والملذات . ولذلك كتب اليه يدعوه الى تحرير نفسه من وصاية اخيه الموفق ويظهر له انه على استعداد تام لتأييده ، حتى لو اقتضى الامر عن طريق استخدام القوة ، وقد ورد فى ذلك الكتاب قول ابن طولون : " وقد اجتمع عندى مائة الف عنان أنجاد وأنا أرى لسيدى امير الموءمنين الانجذاب الى مصر ، فان أمره يرجع بعد الامتهان الى نهاية العز ، ولا يتهيأ لاخيه

---

(١) الكندى : الولاة ص/ ٢٢٤ ، المقريزى : الخطط جـ ١/ ٦٠٣.
(٢) البلوى : سيرة ص ص/ ٢٧٧-٢٧٩.
(٣) البلوى : سيرة ص/ ٢٨٠.
(٤) ن.م.س. ص / ٢٨٠.

فيه شيء مما يخافه عليه منه في كل لحظة وقد أراد احمد بن طولون في البداية أن يسير بنفسه ليخرج الخليفة المعتمد على الله من عاصمته فينقل بذلك "كرسي الخلافة الى مصر" ،لولا ان نصحه احد رجاله المعروفين عنده برجاحة العقل (١) بان لا يفعل ذلك خوفا عليه من الهزيمة امام الموفق والتي قد لا تكون له بعدها قائمة، فالمعتمد على الله رجل لا يعتد به لانه " مشغول بلهوه ، منهمك في لذاته ، بمعزل عن حسن تدبير، وان يكافئ على فعل جميل (٢)". ولذلك فقد عدل ابن طولون عن رأيه وارسل بدلا منه بعض رجاله ليكونوا في انتظار المعتمد على الله (٣) الذى وافق على دعوة احمد بن طولون وخرج في هيئة متصيد الى الكحيل (٤) في جمادى الاخرة عام ٢٦٩هـ/ديسمبر ٨٨٢م بصحبة عدد من خاصة قواده (٥) ،ولكن الموفق اكتشف هذه الخطة المدبرة في الوقت المناسب فأرسل الى اسحاق بن كنداج واليه على الموصل والجزيرة يحثه على الاسراع في احباط هذه المؤامرة لانه اذا تم هذا الامر لكان سببا في انهيار دولة بني العباس. (٦)

وقد استطاع اسحاق بن كنداج من اللحاق بموكب الخليفة بالقرب من الحديثه فأظهر انه ما لحق بهم الا لينضم اليهم . ورغم تحذيرات القادة الذين صحبوا الخليفة من نوايا ابن كنداج الا ان الخليفه رفض الاستماع اليهم " قائلا انما هو مولاى وغلامى ،واريد ان اتصيد فان في الطريق اليه

---

(١) ن . م .س. ص/ ٢٨١ .

(٢) ن .م .س. ص/ ٢٨٣ .

(٣) ابن حمدون : التذكرة الحمدونية ورقة ٢٠٤أ.

(٤) الكحيل : مدينة عظيمة على دجلة بين الزابين فوق تكريب من الجانب الغربي . ياقوت : معجم جـ ٤/ ٤٣٩ .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٦٢٠ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ٣٩٤ .

(٦) البلوى : سيرة ص/ ٢٩٠ ،ابن الجوزى : المنتظم جـ ٥ / ٦٥ ،الذهبي : دول جـ ١/ ١٦٢ ،ابن العماد : شذرات جـ ٢/ ١٥٥ .

صيدا كثيرا (١)" . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على مدى سذاجة تفكير المعتمد على الله وعدم ادراكه لنتائج تصرفاته وما يترتب عليها ، فقد كان غاية ما يصبو اليه تحقيق متعته الشخصية . وقد تمكن اسحاق بن كنداج اولا من الاختلاء بالقادة فأخذ يحذرهم من مغبة عملهم فجعل يقول لهم : " اذا صرتم الى ابن طولون فالامر امره وانتم من تحت يده ومن جنده أفترضون بذلك وقد علمتم انه انما هو كواحد منكم (٢)" . فلما تمكن من احباط عزائمهم احتال عليهم فادخلهم معسكرة ثم امر غلمانه بالقبض عليهم وتقييدهم (٣) .

وبذلك انفرد ابن كنداج بالخليفة فعذله ولامه على خروجه من بلاده فكان من جملة قوله له : " يا امير المؤمنين اخوك في وجه العدو وانت تخرج من مستقرك ودار ملكك ، ومتى صح هذا عنده رجع عن مقاومة الخارجي فيغلب عدوك على ديار آبائك (٤)" . . . " وبذلك تكون قد عصيت الله عز وجل مما يسقط وجوب طاعتك عن رعاياك (٥)" . ثم قام اسحاق بن كنداج باعادة الخليفة الى سر من رأى ثانية في شعبان ٢٦٩هـ/٨٨٢م (٦) وتركه هناك تحت حراسة صاعد بن مخلد (٧) خوفا من ان يكرر ابن طولون محاولته لاخراجه الى مصر .

وقد قدر الموفق اخلاص ابن كنداج للدولة العباسية فخلع عليه بلقب ذي السيفين (٨)

---

(١) الطبرى : تاريخ ج٩/٦٢٠ .

(٢) الطبرى : تاريخ ج٩/٦٢١ .

(٣) مؤلف مجهول : العيون ج٤/١٠٩ ، ابن الجوزى : المنتظم ج٥/٦٦

(٤) السيوطى : تاريخ ص/٣٣٩ . (٥) البلوى : سيرة ص٩/٢٩٢ .

(٦) الكندى : الولاة ص/٢٢٥ ، الطبرى : تاريخ ج٩/٦٢٢ ، ابن حمدون : التذكرة ورقم ٢٠٤أ .

(٧) صاعد بن مخلد : كاتب ابو احمد الموفق استخدمه في عام ٢٦٥هـ/ثم استعمله ايضا في قيادة الجيوش في عام ٢٧٠هـ الى جانب الكتابة ومن اجل ذلك سمى بذى الوزارتين . الطبرى : تاريخ ج٩/ص ص ٥٤٤-٦٤٩ ، وقد توفى في حبس الموفق عام ٢٧٢هـ . الطبرى : تاريخ ج١٠/١٠ .

(٨) البلوى : سيرة ص/٢٩٣-٢٩٤ ، ابن حمدون : التذكرة ورقة ٢٠٤ ابن عربى : محاضرة الابرار ص/١٥٨ .

ثم "ولاه جميع اعمال أحمد بن طولون الى أقصى بلاد افريقية" (١) . ومع أن هذا الامر لم يقدر له التنفيذ فانه يعكس اضافة الى تكريم ابن كنداج رغبة الموفق وموقفه من احمد بن طولون .

٥ - فشل الموفق فى سياسته من ابن طولون :

لم يرضخ احمد بن طولون بطبيعة الحال ، وكما هو متوقع ، لقرار الموفق بعد ان بلغ ما بلغ من النفوذ والقوة (٢) . وبالرغم من انه لم يراوده التفكير فى اعلان الحرب على الموفق (٣) . فانه اسرع بتنصيف نفسه مدافعا من الخليفة ليتمكن من المحافظة على مركزه ، فأمر باحضار القضاة والفقهاء ، والاشراف الى مدينة دمشق لتقرير عزل الموفق من ولاية العهد بحجة أنه نكث بيعة المعتمد على الله وأسره . وقد أصدر بيانا بذلك فى الثالث من ذى القعدة عام ٢٦٩هـ/٨٨٢م جاء فيه : "ان ابا احمد الموفق خلع الطاعة وبرىء من الذمة فوجب جهاده على الامة (٤)" . ولم يكتف ابن طولون بذلك بل بلغ به الامر الى لعن الموفق على المنابر واسقاط اسمه من الدعوة ومحوه من الطراز (٥) . وبذلك يكون احمد بن طولون قد أعطى نفسه حقا لم يكن له ، مستغلا انشغال الموفق بحرب الزنج ، وقد رد الامير ابو احمد الموفق على اجراءات أحمد بن طولون هذه باصدار قرارين احدهما من الخليفة والاخر منه تضمنا اعلان ابن طولون خارجا على الخلافة . كما صدرت الاوامر بلعنه على المنابر فى جميع ولايات الدولة (٦) ، فكان مما لعن به "اللهم

---

(١) ابن كثير : البداية جـ ١١/٤٣ .

(٢) سيده كاشف : احمد بن طولون ص/١٠٩ .

(٣) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب جـ ٢/٦٥ .

(٤) الكندى : الولاة ص/٢٢٦ .

(٥) البلوى : سيرة ص/٢٩٩ .

(٦) الطبرى : تاريخ جـ ٩/٦٢٧ ، ابن حمدون : التذكرة ورقة ٢٠٤ أ ، حسن احمد محمود ، احمد الشريف : العالم الاسلامى ص/٤٣٠ .

المنه لعنا يفل حده ويتعس جده واجعله مثلا للغابرين انك لا تفلح عمل المسفدين"(١) . ولقد كان لهذا اللعن رد فعل عنيف فى نفوس الناس فقد فشلت الحملة العظيمة التى أرسلها ابن طولون الى الحجاز ليمنع " من أن يدعى لابى احمد على منابر مكة ...."(٢) ، كما شغب عليه بعض أمراء الثغور الشامية ، ولم يتمكن ابن طولون من القضاء على تمردهم اذ حلت به الهزيمة لاول مرة على يد حاكم طرسوس، وهلك أكثر جيشه غرقا بعد ان أرسل عليهم هذا الحاكم مياه نهر البردان . كما لعبت الظروف المناخية السيئة فعلها اذ هلك عدد كبير من جنده بسبب اشتداد البروده وسقوط الثلوج (٣)

توفى احمد بن طولون فى عام ٢٧٠هـ/٨٨٣م(٤) مخلفا سبعة عشر ابنا وكان المفروض ان يعهد بامارة مصر لابنه العباس فهو اكبر ابنائه غير أن سوء اخلاقه وتمرده السابق عليه جعله يأمر بان يخلفه من بعده ابنه خمارويه ، ولكنه مع ذلك لم يشأ ان يحرم العباس كليا من الامارة فأوصى له بولاية الشام والثغور. (٥)

اهتم خمارويه بتوطيد امور امارته فلم يتردد فى قتل أخيه العباس عندما رفض الاخير المبايعة له . وبذلك جمع فى يده ولاية مصر والشام والثغور(٦) .

ضاعف خمارويه اهتمامه فى اعداد جيش عظيم الى جانب اسطول كبير(٧)

---

(١) الكندى : الولاة ص/ ٢٢٩ .
(٢) البلوى : سيرة ص/ ٢٩٨ .
(٣) الكندى : الولاة ص/ ٢٢٩ .
(٤) ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٣ / ٢٠ .
(٥) البلوى : سيرة ص / ٣٤٢ .
(٦) ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٣ / ٤٩ .
(٧) الكندى : الولاة ص ص/ ٢٣٣-٢٣٤ .

ليستطيع ان يدافع عن الدولة التى اقامها ابوه فى مصر وان يحتفظ الشام[1] فى الوقت الذى استصغر فيه كل من اسحاق بن كنداج ومحمد بن ابى الساج[2] شأن خمارويه وطمعا فى الاستيلاء على الشام فكتبا الى ابى احمد الموفق يستشيرانه فى ذلك . ويبدو أن الموفق قد وجد أن الفرصة قد سنحت لاسترداد الشام لذلك امرهما بالمسير الى هناك ووعدهما بامدادهما بالجنود . وقد تمكن هذان القائدان من فتح كل من انطاكية وحلب وحمص بعد أن تراجع نواب ابن طولون عنها ، بل ولقد انزلا الهزيمة بجيش خمارويه الذى أرسله لقتالهما عندما علم بأمرهما ثم لم يلبث ان اشتد بأسهما بوصول المدد بقيادة ابى العباس بن الموفق .[3] الذى اكمل ما حققا من انتصار فقد سلم له "أهل قنسرين[4] والعواصم[5] ودعوا له[6]" . ثم سار الى دمشق فحارب بها جيش خمارويه حتى اجلاه عنها فملكها فى شعبان سنة ٢٧١هـ/يناير ٨٨٥م.[7]

خشى خمارويه من ان يسيطر ابو العباس على الشام كلها فخرج مسرعا على رأس جيش عظيم ،فلما وصل الى موضع يقال له الطواحين[8] التقى

---

(١) حسن احمد محمود ، احمد الشريف : العالم الاسلامى ص/ ٤٣١ .
(٢) محمد بن ابى الساج : كان قد ولى على طريق مكة والحرمين فى عام ٢٦٦هـ بعد وفاة والده ثم اضيفت اليه ولاية كل من الانهار وطريق الفرات والرحبة فى عام ٢٦٩هـ. ابن الاثير : الكامل جـ٧/صص٣٢٢- ٣٩٧ .
(٣) ابن الاثير : الكامل جـ٧/صص٤٠٩-٤١٠ .
(٤) قنسرين : مدينة كانت بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص . ياقوت : معجم جـ ٤/٤٠٤ .
(٥) العواصم : حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وانطاكية. ياقوت : معجم جـ ٤/١٦٥ .
(٦) الكندى : الولاة ص/ ٢٣٥ . (٧) ابن الاثير: الكامل جـ٧/ ٤١٠ .
(٨) الطواحين: موضع قرب الرملة من ارض فلسطين بالشام . ياقوت : معجم جـ ٤/٤٥ .

هناك بابى العباس بن الموفق ودارت بين الطرفين معركة عنيفه ، وبالرغم من عدم تكافوء الجيشين من ناحية العدد (١) فقد حقق ابو العباس انتصارا باهرا على خمارويه الذى فر من المعركة لا يلوى على شىء متجها الى الفسطاط (٢) بينما انشغل جند ابى العباس فى احتواء معسكر خمارويه ، خرج عليهم كمين بقيادة سعد الايسر (٣) ، كان خمارويه قد نظمه قبل ان يلتقى بجيش ابى العباس ولم يعلم سعد الايسر بهزيمة سيده فهاجم معسكر العباسيين ،وقد كان وقع المفاجئة شديدا على افراده فحلت بهم الهزيمة وتفرق شملهم (٤) . واضطر ابو العباس بذلك الى الرجوع الى العراق بعد أن فشل فى جمع شتات جيشه (٥) . وقد تمكن سعد الايسر بعد ذلك من اعادة سيطرة الطولونيين على الشام اجمع (٦) . غير أن الاخير حاول ان يستغل انتصاره لمصلحته الذاتية فينفرد بحكم الشام دون الطولونيين . فاستولى على دمشق " واستخف بخمارويه وغيره (٧) . ولما علم خمارويه بذلك خرج الى الشام سنة ٢٧٢هـ/ ٨٨٦م/ فحارب سعدا الايسر حتى هزمه وقتله (٨) . فعادت دمشق بذلك تحت سيطرة الطولونيين .

---

(١) اذ كان جيش خمارويه حوالى سبعين الف بينما كان ابو العباس فى نحو من اربعة آلاف جندى . الكندى : الولاة ص/ ٢٣٥ .

(٢) الكندى : الولاة ص / ٢٣٥ ، موءلف مجهول : العيون جـ ٤ / ١١٣ ،

(٣) سعد الايسر : احد قادة خمارويه كان قد ولاه على الشام فى سنة ٢٧٠هـ . الكندى : الولاة ص / ٢٣٥ .

(٤) الكندى : الولاة ص / ٢٣٥ ، المقريزى : الخطط جـ ١ / ٦٠٤ ، ابن كثير : البداية جـ ١١/ ٤٩ ، محمد كرد على : خطط الشام ص / ١٧٧ .

(٥) الكندى : الولاة ص/ ٢٣٥ ،ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٣ / ٦٧ .

(٦) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ٤١٥ .

(٧) ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٣ / ٥١ .

(٨) الكندى : الولاة ص/ ٢٣٦ ،ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٣ / ٥١ .

وبعد أن أقام فيها بضعة أيام سار لقتال اسحاق بن كنداج والـــى الجزيرة من قبل الخلافة العباسية . وقد تمكن ابن كنداج من انزال هزيمة أولية بجيوش خمارويه [(١)] ، الا أن خمارويه عاد وحمل على أصحاب ابن كنداج حملة شديدة حتى أنزل بهم هزيمة فادحة وربما يبالغ أحد المؤرخين المحليين اذ يذكر بأن خمارويه قد تبعهم بأصحابه حتى وصل أصحاب خمارويه الـــى سر من رأى ، وعظم أمر خمارويه فى هذه الوقعة وهابته الناس" [(٢)] ، فاستقـــر ملكه وعظمت قوتـه .

ويبدو أن خمارويه بدأ يميل بعد ذلك الى الاستقرار والمهادنـــة والصلح ، كما أن الموفق وجد بأن جيش الخلافة منهك بعد القتال العنيف والطويل ضد الزنج ، ولذلك مال كلا الطرفين الى المصالحة وقد بدأ خمارويه بذلك اذ كتب الى الموفق يسأله الصلح فى مقابل دفع جزية سنوية ، وقـــد استجاب الموفق لهذا الطلب ، وفى رجب عام ٢٧٣ هـ / ديسمبر ٨٨٦ م عقدت معاهدة الصلح بين الطرفين والتى كتب الموفق بنصوصها الى خمارويه وكانت تنص " بولاية خمارويه وولده ثلاثين سنة على مصر والشامات [(٣)] " والثغـور [(٤)] جميعها فقدم بالكتاب الى خمارويه أحد غلمان الموفق حيث أخبره بـــأن " المعتمد وأبا أحمد وأبا العباس كتبوه بأيديهم " تعظيما له ، وبذلـــك أمر خمارويه " بالدعاء لأبى أحمد الموفق وترك الدعاء عليه " [(٥)] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٧/٤٢٩ .
(٢) ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٣ / ٥١ .
(٣) الكندى : الولاة ص / ٣٣٨ .
(٤) ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٣ / ٥١ .
(٥) الكندى : الولاة ص / ٣٣٨ .

ولما تولى المعتضد بالله (١) الخلافة توطدت دعائم العلاقة بين الخلافة والطولونيين فقد بادر خمارويه بتهنئة المعتضد بالخلافة وارسل اليه " هدايا وتحفا واموالا كثيرة وسأله ان يزوج ابنه المكتفى لابنته قطر الندى". غير أن الخليفة قال : "بل انا اتزوجها" (٢). فتزوجها فى سنة ٢٨١هـ/ ٨٩٤م. ويذكر المؤرخون ان المعتضد اراد من وراء زواجه بقطر الندى ان يفقر اباها خمارويه بعد ان يستنزف امواله فى جهاز ابنته (٣). وهذا ما حدث فعلا فقد كان الجهاز عظيما يقصر عنه كل وصف . ومن جانب آخر فقد كانت لهذه المصاهرة فضل كبير فى ارساء اواصر المودة بين الطرفين وازالت الوحشة من بينهما (٤). وعادت مصر بذلك مع بلاد الشام ولاية تابعة لجسم الخلافة الاسلامية . وبذلك تكون الخلافة قد استعادت وحدة أراضى الدولة الاسلامية والتزامها بطاعة العباسيين فى عاصمتهم العتيدة بغداد .

---

(١) خلف عمه المعتمد على الله الذى توفى فى يوم الاحد ١٩ رجب ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م. انظر الطبرى : تاريخ جـ ٢٨/١ . المقدسى : البدء جـ ٦/ ١٢٥ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٤٥٥/٧ ، ابن العماد : شذرات جـ ٢/ ١٧٣ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٣/ ٨٠ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٣/ ٥٣ ، عبد الرحمن الرافعى ، سعيد عاشور : مصر فى العصور الوسطى ص/ ١٠٥ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٣/ ٥٤ .

الفصل الرابع

التصدي للزنج ونهايتهم

الفصل الرابـــــع

التصـــدى للزنـــج

١ - مرحلة التمرد والتوسع (٢٥٦-٢٦١هـ) :

سبق وان تناول البحث كيف عانت الخلافة العباسية من انتفاضـــــة الزنج العارمة . والتى يعتبر يوم الاثنين ٢٦ رمضان ٢٥٥هـ/ ٦ سبتمـــبر ٨٦٨م بداية لها . (١)

لقد وصل الزنج الى العراق خلال العصر الاموى وأوائل عصـــــر العباسيين . فقد كانوا يجلبون باعداد كبيرة من سنواحل افريقيا الشرقيـــة واواسطها (٢) حيث كانوا يستخدمون فى اعمال زراعية مختلفة اهمها كســـح السباخ وهو الطبقة الملحية التى تغطى سطح الارض الزراعية ليصلحوهـــــا ويحولوها الى تربة صالحة للزراعة ،" وكسوح الزنج معروفة بالبصرة كالجبال ، وكان فى انهار البصرة منهم عشرات الوف يعذبون بهذه الخدمة" (٣) . اذ كان وكلاء الملاك يسومونهم كافة انواع العسف والاهانة . ويكفى ما يشير اليـــه المؤرخون حول كيفية معاملتهم بقولهم انهم كانوا " يجرونهم الى السباخ " (٤) مما يدل على انهم كانوا يستخدمونهم كالحيوانات التى لا كرامة لها وانهم وكانوا " يجمعونهم فى سلاسل حتى لا يتهاربون "، ويجبرونهم على العمل الذى يفوق طاقتهم فى جماعات كبيرة ،تتراوح الواحدة منها ما بين ٥٠٠ - ١٠٠٠ زنجى وربما اكثر من ذلك . فلا غرابة والحال هذه اذا علمنــــا أن هؤلاء الملاك لم يكونوا يدفعون لعبيدهم أية أجور فى مقابل عملهم كمـــــا تقضى احكام الشريعة الاسلامية السمحاء ،بل كانوا يجرون على كل فرد منهم

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ص ص ٤١٣-٤١٤ .

(٢) الدورى : دراسات ص/ ٢١ ، احمد علبى : ثورة الزنج ص/ ٧٥-٧٦ .

(٣) مؤلف مجهول : العيون جـ ٤/ ٥٠ .

(٤) ن.م.س. جـ ٤/ ٥٠ .

ما لا يتعدى قوت يومه من الدقيق والسويق [١] والتمر [٢] . فكانت حالة هؤلاء الزنوج البائسة هى خير فرصة استغلها احد الطامعين فى السلطة وهو الدعى العلوى على بن محمد [٣] . الذى أخذ "يسأل عن أخبار غلمان الشورجين وما يجرى لكل غلام منهم من الدقيق والسويق والتمر" [٤] . ثم بدأ فى دعوته لهم بتحسين أوضاعهم المعيشية وأنه سيضع حدا لبؤسهم ورقهم ، وهذا يدل على فهم على بن محمد الدقيق لرغبات الزنج وتطلعاتهم . ففى خطبته التى القاها عليهم فى رمضان ٢٥٥هـ/٨٦٨ن وضح الاهداف التى يومى الى تحقيقها من اجلهم وهى "أن يرفع اقدارهم ، ويملكهم العبيد ، والاموال والمنازل ، ويبلغ بهم اعلى الامور" [٥] . ولذلك فقد كانت استجابتهم له واقبالهم اليه اقبالا منقطع النظير . وزاد من قوة صاحب الزنج تعاون بعض اهل قرى البصرة معه [٦] . وقد تمكن صاحب الزنج فى هذه الفترة (٢٥٥-٢٥٧هـ) ان يحقق انتصارات متوالية على جيوش الخلافة فاستولى على مدن لها اهميتها الاستراتيجية والتموينية فى اقل من سنة منها الابلة وعبادان والاهواز [٧] . وكانت سياسته تتمثل فى اشاعة العنف والارهاب ،فكان اذا احتل قرية حمل رؤوس القتلى على البغال وطرحها فى القرى المجاورة ليلقى بذلك الرعب بين أهالى القرى الاخرى [٨] . ثم

---

(١) السويق : هو الشعير المطح المقلى او المحمص . ابن منظور : لسان العرب جـ ١٠/ ١٧٠ .

(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٤١٤ .

(٣) ن . م . س . جـ ٩/ص ص ٤١٣-٤١٤ ، مؤلف مجهول : العيون جـ ٤/ ٥٠ .

(٤) اليعقوبى : تاريخ جـ ٢/ ٥٠٧ ، الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤١٠ ، الذهبى : العبر جـ ٢/ ٨ .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤١٣ . (٦) ن . م . س . جـ٩/ ٤١٥ .

(٧) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤١٦ ، السامرائى : المؤسسات ص/ ٣٣ .

(٨) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤١٦ .

كانت وقعته بالبصرة والتى قتل فيها ما يقرب من " ثلثمائة الف من الناس "(١) .

ولما حاولت الخلافة القضاء على خطر الزنج باءت جهودها بالفشل وذلك لقلة خبرة جيوشها وضعف قياداتها (٢) . فقد كان صاحب الزنج يستغل معرفة اصحابه الزنج بمسالك الانهار ومضايقها فيمكنوا للجيش العباسي حتى اذا ما نشبت الحرب بينهما اقتحمت كمائن الزنج معسكرات الجيش العباسي فيحرقونها وينهبونها ويسبون النساء ثم يستولون على قوارب وشذوات العباسيين (٣) .

ولما تولى المعتمد على الله الخلافة (٤) ارسل اخاه ابا احمد الموفق لقتالهم ، والرغم من ان الموفق قد حقق بعض الانتصارات الكبيرة على الزنج غير أنه لم يتمكن من الاستمرار نتيجة لنقص الرجال والاسلحة وحدوث اضطرابات فى شئون الخلافة . مما اضطره الى اعتزال القيادة والعودة الى العاصمة ليقوم بالاستعدادات اللازمة لمواجهتهم فى معركة حاسمة .

وكان من النتائج المباشرة لعودة الموفق الى سر من رأى فى عام ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م (٥) خلو الساحة امام صاحب الزنج وذلك لعدم وجود قائد قدير يستطيع التصدى له فى الحرب التى طال امدها ، لذلك فقد أخذ صاحب الزنج يتحين الفرص للاغارة على مدن السواد فى جنوب العراق . وقد تمكن صاحب الزنج من الحصول على المؤن والغنائم . وربما فكر فى التوسع .

---

(١) المسعودى : مروج جـ ٤/ ٢٠٧ .

(٢) السامرائى : المؤسسات ص / ٣٤ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٤٧٨ .

(٤) تولى المعتمد على الله الخلافة فى رجب سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م .
انظر اليعقوبى : تاريخ جـ ٢/ ٥٠٧ ، المسعودى : مروج جـ٤/ ١٩٨ .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٠٢ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٢٥٦ .

غير أنه كما يبد ولم يقصد الاحتلال الدائم وذلك لعلمه بان سلامته لا يمكن ان تضمن الا بين الادغال والقنوات . (١)

وقد بدأ صاحب الزنج هجومه على الاهواز بأن ارسل اليها فى رجب ٢٥٩هـ/٨٧٢م جيشا كثيفا بقيادة على بن ابان ،فتلقاه واليها اصفجون التركى (٢) فى محاولة جادة للدفاع عنها ، وقد نشبت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة اصفجون وفرقه وتمزق جيشه (٣) ، وهكذا تمكن جيش صاحب الزنج من اقتحام مدينة الاهواز حيث قتل وأسر الكثير من أهلها (٤) ، وقد أقام على بن ابان فى الاهواز يعيث فيها فسادا الى ان ندب الخليفة المعتمد على الله موسى بن بغا (٥) لقتال صاحب الزنج (٦) . اتخذ موسى بن بغا من مدينة واسط مقرا لقيادته ،وقرر ان يحاصر الزنج من ثلاثة نواحى ،

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٤٨٨/٩ ، الدورى : دراسات ص/٩٠ .

(٢) اصفجون التركى : تولى الاهواز بعد مقتل منصور بن جعفر الخياط . وذلك فى سنة ٢٥٩هـ . ابن الاثير : الكامل جـ ٢٥٩/٧ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٥٠٣/٩ ،ابن الاثير : الكامل جـ ٢٥/٧ .

(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٥٠٣/٩ ،ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٩/٥ ، الذهبى : العبر جـ ١٨/٢ ، ابن العماد : شذرات جـ ١٣٩/٢ .

(٥) موسى بن بغا : احد كبار قادة الاتراك ،وهو ابن خالة الخليفة المتوكل على الله ،وكان الحكم الى ابيه بغا الكبير فلما توفى بغا فى عهد المستعين عقد لموسى على جميع اعمال ابيه واضيف اليه ديوان البريد . ثم ولاه المعتمد على الله ولاية المشرق . توفى موسى بن بغا فى سنة ٢٦٤هـ . انظر ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ص ٩٨-٣٠٥ .

(٦) الطبرى : تاريخ جـ ٥٠٤/٩ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٩/٥ .

وهكذا فقد ولى عبد الرحمن بن مفلح على الاهواز ، واسحاق بن كنداج على البصرة ، وابراهيم بن سيما على باذاورد (١) . فأقام عبد الرحمن بن مفلح بقنطرة اربك (٢) يستعد لمقاتلة على بن ابان وذلك بان يقطع عليه طريق العودة للالتحاق بصاحب الزنج ،وقد تمكن بذلك من ان يوقع به هزيمة كبيرة قتل فيها اكثر من كان فى جيشه ،فى حين تمكنت قلة من فلول الزنج المنهزمة المذعورة من الوصول الى مدينة صاحبهم الذى لم يتمكن من ردهم الى القتال من هول ما اصابهم ،وما أحدثه انتصار جيش الخلافة فى قلوبهم من الذعر(٣).

فى حين تراجع قائدهم بمن تبقى معه من الجند الى الاهواز ،وقد تقدم عبد الرحمن بن مفلح بعد المعركة الى حصن المهدى (٤) ليعسكر فيه ، فخرج على بن ابان بعد ان اطمأن وهدأ روع جنده ليمنعه من ذلك ، الا أن الهزيمة كانت من نصيبه فى هذه المعركة ايضا . وقد تقابل على بن ابان وهو فى طريق تراجعه نحو مدينة صاحب الزنج بجيش الخلافة الذى كان بقيادة ابراهيم بن سيما والذى سبق ان عسكر فى الباذاورد فهزم شر هزيمة . وهكذا اصبح على ابن ابان محصورا بين كل من عبد الرحمن بن مفلح وابراهيم بن سيما ، فبادر بالكتابة الى سيده صاحب الزنج يستمده المدد ويبين له حاجته الى الشذوات فأمده بثلاث عشرة شذاة عليها عدد كبير من الزنج (٥) ، فلما كان الليل اختار

---

(١) باذوارد : اسم مدينة كانت قرب واسط بينها وبين البصره . ياقوت : معجم جـ ١/٣١٨ .

(٢) قنطرة اربك : القنطرة هى ازج يبنى بأجر او حجاره على الماء يعبر عليه - واربك من نواحى الاهواز بلد وناحية ذات قرى ومزارع وهى قنطرة مشهورة . ياقوت : معجم جـ ١/١٣٧ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/صص ٥٠٤-٥٠٥ .

(٤) حصن المهدى : بلد من نواحى خوزستان ويجرى به نهر المسرقان وهو اهم الانهار فى تلك الناحية . ياقوت : معجم جـ ٢/٢٦٦ .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٩/٥٠٥ ،ابن الاثير : الكامل جـ ٧/٢٦٠ .

أقوى اصحابه وسار فيهم مستترا بينما ترك بقية جيشة فى معسكره ليخفى ما كان يعتزم فعله ،وقد باغت معسكر عبد الرحمن بن مفلح وانزل بمعسكرة خسائر كبيرة فى الرجال وحاز اليه الكثير من الاموال اذ استولى على اربع شذوات قبل ان ينصرف الى معسكرة[(١)] . كانت هذه حركة مباغتة ومؤلمة ضد جيش الخلافة اضطر معها القائد عبد الرحمن بن مفلح بعد ان تأكد من كشف الاعداء لمعسكره ،الى ان يتراجع ليعسكر فى قرية الدولاب[(٢)] حيث أرسل من هناك جيشا بقيادة طاشتمر التركى لمقاتلة الزنج . وقد خاض الطرفان بعد ذلك عدة معارك انتهت جميعها بهزيمة على بن ابان واعوانه من الزنج حيث تراجعوا مدحورين مكلولين الى مدينة صاحب الزنج[(٣)] . وعلى الرغم من هذه الانتصارات التى حققتها الجيوش العباسة ، فان طبيعة الحروب غير المنظمة التى تعتمد على المباغتة فى الهجوم والانسحاب السريع والتى اعتمدها صاحب الزنج[(٤)] كان لها أثر كبير فى اشاعة الملل فى نفسية الجيش العباسى وقيادته التى وصلت الى حالة من السأم والضجر من حرب الزنج[(٥)]. وفى هذا الوقت احتل محمد بن واصل[(٦)] ولاية فارس واتجه نحو واسط

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/٥٠٥ .

(٢) الدولاب : قرية بينها وبين الاهواز اربعة فراسخ . ياقوت : معجم جـ ٢/٤٨٥ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/٥٠٦ .

(٤) ن.م.س. جـ ٩/٥٠٦ ، فيصل السامر : ثورة ص/١١٦ .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٩/٥١٣ ،الدورى : دراسات ص/٩١ .

(٦) محمد بن واصل : هو رجل من اهل فارس تمكن بالاتفاق مع احد الاكراد يقال له احمد بن الليث من قتل والى فارس من قبل الخلافة فى عام ٢٥٦هـ. ثم استقل ابن واصل بها . انظر ابن الاثير: الكامل جـ ٧/٢٤٠ .

لمحاربة موسى بن بغا ، وازاء هذا الخطر الجديد ترك موسى بن بغا مقر قيادته وتوقف الجيش العباسي بذلك عن مواصلة القتال معهم ، كما استعفى موسى بن بغا من ولاية المشرق بعد ان رأى " شدة الامر وكثرة المتغلبين على نواحي المشرق وانه لا قوام له بهم ". (١)

ولى الخليفة المعتمد على الله فى اعقاب ذلك القائد ابا الساج (٢) حرب الزنج كما ولاه ولاية الاهواز . وقد التقى القائد الجديد بقوات على ابن ابان فى معركة لم يتهيأ لها ، رجحت فيها كفة على بن ابان فأنسحب ابو الساج الى معسكر مكرم (٣) . وهكذا ترك المجال مفتوحا امام الزنج لدخول الاهواز للمرة الثالثة حيث استباحوها فأسرفوا فى القتال والسلب واحراق الدور والاسواق . (٤)

انشغلت الخلافة بعد ذلك بخطر آخر أخذ يهددها فى عقر دارها وهو خطر يعقوب ابن الليث الصفار الذى بلغ قمة الطماعه فأصر على أن "يصير الى باب السلطان" (٥) ولما كان الخليفة يعتمد على كفاءة اخيه الموفق العسكرية وصدق رغبته فى انقاذ الامة من محنتها ، والدولة من الخطر

---

(١) الطبري : تاريخ جـ ٩/٥١٣.

(٢) ابو الساج : احد القادة الاتراك كان المتوكل على الله قد استعمله واليا على طريق مكة عام ٢٤٤ ، وقد انضم الى المستعين فى النزاع الذى كان بينه وبين المعتز ثم قلده محمد بن طاهر عام ٢٥٢هـ على ما سقى من الفرات من السواد . ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ص ص ٨٥-١٦٨

(٣) معسكر مكرم : هو بلد مشهور من نواحي خوزستان . ياقوت : معجم جـ ٤/١٢٣.

(٤) الطبري : تاريخ جـ ٩/٥١٣.

(٥) الطبري : تاريخ جـ ٩/٥١٦.

الذى يتهددها ، فقد اصدر اوامره كما اشرنا آنفا "بأن يتولى الموفق ولاية العهد بعد ولده المفوض الى الله كما ولاه جميع المشرق فأضيفت اليه ولاية اصبهان وقم والكرج والدينور والرى وزنجان وقزوين وخراسان وطبرستان وجرجان وكرمان وسجستان والسند . ويظهر من الاخبار المتواترة فى هذا الخصوص النص على هذه الولايات مما يشير الى رغبة الخلافة فى الاعلان عن عدم شرعية حكم الولاة المتغلبين بالقوة ، وبان ولاية المشرق باكملها ينبغى أن تخضع لرأى قائد الجيش فى ذلك الظرف العصيب وقد عقد الخليفة المعتمد على الله لكل من الامرين الموفق والمفوض لواء أبيض وآخر اسود (١) والمعروف ان السواد كان شعار العباسيين ولعل البياض يعكس وحدة الدولة وانقيادها لمركز الخلافة وسلطان الخلفاء العباسيين". (٢)

اسند الموفق حرب الزنج الى مسرور البلخى (٣) بينما انشغل هو بقتال يعقوب بن الليث الصفار ، الذى لم يلبث ان وصل الى دير العاقول بقصد الوصول الى عاصمة الخلافة العباسية بغداد والاستيلاء عليها . فأسرع مسرور عائدا بقواته ليساعد فى تعزيز وتحصين بغداد والدفاع عنها بازاء الخطر المحدق بها وبالخلافة (٤) . تاركا السواد بدون حماية فأصبح المجال

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/٥١٤ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٥/٢٦ ، مؤلف مجهول : العيون جـ ٤/٧٦ ، ابن كثير : البداية جـ ١١/٣٢ ، السيوطى : تاريخ ص ص/٣٣٧-٣٣٨ .

(٢) فاروق عمر : بحوث فى التاريخ العباسى ص/٢٥٢ .

(٣) مسرور البلخى : كان الموفق لما تسلم ولاية المشرق ولى القائد مسرور البلخى الاهواز والبصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين فى شعبان عام ٢٦١هـ ، وارسله مقدمة له لقتال الزنج . انظر الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ص ص ٥١٤-٥١٥ .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٩/٥١٧ ، الدورى : دراسات ص/٩١ .

مفتوحا امام الزنج لزيادة نشاطهم التخريبي في هذه المنطقة . استغل صاحب الزنج فرصة انشغال الخلافة بخطر الصفاريين فأرسل جيشا كبيرا بقيادة سليمان بن جامع نحو البطيحة (١) ودستميسان (٢) فكانوا يقتلون ويسلبون من يلاقيهم ثم يلقون بجثث القتلى في القرى ليدخلوا بذلك الرهبة والفزع في قلوب اعدائهم ومن يجتاز بهم من قرى السواد ، يساعدهم في ذلك بعض القبائل العربية المقيمة في البطيحة مثل الباهلية والبلالية. (٣)

ثم وقعت بين سليمان بن جامع وبعض قوات الخلافة التي استبقيت في هذه المنطقة لحمايتها ، معارك كانت سجالا بين الفريقين غير انها انتهت بانتصار سليمان ابن جامع (٤) ، واستيلائه على البطيحة والحوانيت (٥) ، وعودته الى مدينة صاحب الزنج محملا بالغنائم ، واستخلف على معسكره يحى بن خلف الجبائي . (٦)

---

(١) البطيحة : هي ارض واسعة بين البصرة وواسط كانت قديما قرى متصلة وارضا عامرة الا ان فيضان دجلة والفرات جعلت المياه تغمر اجزاء كثيرة منها ما عدا بعض المواضع العالية فأقام فيها قوم وبنوا القرى فيها . ياقوت : معجم جـ ١/ ٤٥١ . ومن بقاياها في العصر الحديث هور الشامية والشنانية وهور الحمار .

(٢) دستميسان : كورة جليلة بين واسط والبصرة والاهواز . لعلها منطقة العمارة الحالية ، ولمعلومات اوفى انظر ياقوت : معجم جـ ٢/ ٤٥٥ .

(٣) الطبري : تاريخ جـ ٩/ ص ص ٥٢١- ٥٢٣ .

(٤) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٢٩٣ ، ابن ابي الحديد : شرح جـ ٨/ ١٦٣ ، ابن العماد : شذرات جـ ٢/ ١٤٥ .

(٥) الحوانيت : من قرش واسط بينها وبين البصرة . ابن ابي الحديد : شرح جـ ٨/ ١٦٣ .

(٦) الطبري : تاريخ جـ ٩/ ص ص ٥٢٥- ٥٢٦ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣/ ٣١٧ .

الزنج والصفاريون :

أدرك الزنج أهمية عقد تحالف مع يعقوب بن الليث الصفار ليكونوا بذلك اتحادا ضد الدولة العباسية ، ولذا فقد وافق صاحب الزنج على مشروع التحالف مع عامل الصفار على الاهواز وهو محمد بن عبد الله الكردى وقد تضمن مشروع الاتفاق ان يتولى على بن ابان ادارة كور الاهوازه من قبل الدعى العلوى صاحب الزنج ، على ان يكون محمد عبد عبيدالله خليفة له فى ادارة الاقليم (١) . وهكذا تم التحالف فعلا واتفق الثائران على قتال جيوش الخلافة . غير أن العلاقات لم تلبث ان فسدت لان الحلف لم يكن مبنيا منذ البداية على الاخلاص (٢) ، وخاصة من جانب عامل الصفار الذى رفض ان يدعو لصاحب الزنج بعد الخطبة فى يوم الجمعة (٣) . لم ييأس الزنج فى الوصول الى اتفاق مع يعقوب بن الصفار بعد هزيمة الاخير امام الموفق فى معركة دير العاقول عام ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م وانسحابه الى جنديسابور (٤) اذ بدأ صاحب الزنج فى مراسلة يعقوب بن الليث الصفار وحثه على الرجوع الى بغداد واعدا اياه بالمساعدة (٥) ، غير أن يعقوب بن الصفار رفض ذلك العرض لانه كان يعتبر الزنج مارقين عن الاسلام . ولعل ذلك ما تسبب فى تأزم العلاقة بين الطرفين والتى وصلت الى وقوع مناوشات عسكرية. ولكن رغبة كل منهما فى التفرغ للوصول الى اهدافه ضد الدولة العباسية اقنعتهما بضرورة الهدنة والتعايش السلمى بدون الحاجة الى اتفاق معين . (٦)

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٢٧ .
(٢) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٢٩٥ ، فيصل السامر : ثورة ص ١٧/ ١٨-١ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٢٨ .
(٤) جنديسابور : مدينة بخوزستان وهى خصبة واسعة الخير اختارها يعقوب لحصانتها وتاصالها بالمدن الكبرى - ياقوت : معجم جـ ٢/ ١٧١ .
(٥) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ص ٢٩١-٢٩٢ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣/ ٣١٣ .
(٦) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٣٢ .

دخول الزنج واسط[1] :

عاد سليمان بن جامع احد قواد صاحب الزنج مسرعا على رأس قواته من معسكر الزنج بعد ما وصلته الاخبار بان منجور مولى امير المؤمنين والقائد محمد اليشكرى قد هجما على معسكره فى البطيحة . وقد تمكن ابن جامع من أن يوقع بمحمد اليشكرى وان يهزمه هزيمة منكرة وان يستولى خلال ذلك على غنائم كثيرة من معسكر الخلافة . (٢)

طمع ابن جامع فى الاستيلاء على واسط ،خاصة وان الموفق كان لا يزال مشغولا بأمر يعقوب بن الليث الصفار ،فأخذ يمهد للوصول اليها بالاغارة على القرى والمدن القريبة منها وليوقع الرعب فى قلوب الاهالى . وقد اغارت قواته على قرية حسان (٣) والحوانيت وتل رمانا والرصافة (٤) ،فكان يفتك بالاهالى وينهب الاموال ويحرق الدور (٥) . وأرسل سليمان بن جامع فى نفس الوقت الى صاحب الزنج يطلب المدد فى سبيل انجاز هذه المهمة ، فأمده بالخليل بن ابان- شقيق على ابن ابان - فى الف وخمسمائة فارس ومعه ابو عبد الله الزنجى المعروف بالمذوب ،احد قادة الزنج المشهورين ،فتقوى بهم ابن جامع وتمكن من ايقاع الهزيمة بمحمد بن المولد (٦) والى واسط من قبل الموفق ،

---

(١) واسط : مدينة بين الكوفة والبصرة من الجانب الغربى كثيرة الخيرات وافرة الغلات ، تشقها دجلة . وهى فضاء من الارض صحيحة الهواء عذبة الماء . انظر القزوينى : اثار ص/ ٤٧٨ ،ابن حوقل : صورة الارض ص/ ٢١٤ .

(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٥٣١ - ٥٣٢ .

(٣) قرية حسان : تقع بين دير العاقول وواسط . ياقوت : معجم جـ٢ / ٢٥٨ .

(٤) الرصافة : هى من اعمال واسط بينهما عشرة فراسخ . ياقوت : معجم جـ ٣ / ٤٩ .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٥٣٨ .

(٦) محمد بن المولد : احد القادة الاتراك . اليعقوبى : تاريخ جـ٢ / ٥٠٩ - كان ابو احمد الموفق قد استخلفه على واسط لحرب الزنج عند ما اضطر =

ودخل الزنج واسط فى ذى الحجة عام ٢٦٤هـ/٨٧٧م فأسرفوا فى القتل والنهب والاحراق (١). وقد اضطر ذلك الارهاب السكان الى هجر مدينتهم فخرجوا حفاة هائمين على وجوههم (٢). ثم تقدم سليمان ابن جامع شمالا الى جنبلاه (٣) ليعبث ويخرب (٤) ويشرف على الطريق التجارى الى المشرق ليضمن وصول الامدادات الى مدينة صاحب الزنج من ناحية الصين وما والاها، ومن جنبلاه وسواد الكوفة. غير أن ذلك لم يدم طويلا اذ سرعان ما واقعه احمد بن ليثويه عامل الموفق على جنبلاه فأنزل به هزيمة كبرى حيق قتل عددا كبيرا من قادة الزنج وكثيرا من أفراد جيشه وأحرق سفنه (٥). غير أن الزنج لم يلبثوا ان حولوا هذه الهزيمة الى نصر موزر اذ سرعان ما جمعوا قواتهم وهاجموا النعمانية ودخلوها فى سنة ٢٦٥هـ/٨٨٧م فأحرقوا سوقها وأكثر منازل أهلها وسبوا (٦)، ثم وصلوا الى جرجرايا (٧) فأوقعوا

= الى العودة الى العاصمة فى عام ٢٥٩هـ. وقد ترك ابن المولد الخدمة فى جيش الخلافة وانضم الى يعقوب بن الصفار فى عام ٢٦٥هـ فامر الخليفة المعتمد على الله بقبض امواله وعقاراته. الطبرى: تاريخ، جـ٩/ ص ٥٠٢-٥٤٣.

(١) الطبرى: تاريخ جـ٩/ص ص ٥٣٩-٥٤٠.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم جـ٥/٤٥، الذهبى: دول جـ١/١٥٩، اليافعى: مرآة جـ٢/١٧٦.

(٣) جنبلاه: كورة وبليدة تقع بين واسط والكوفة. ياقوت: معجم جـ٢/١٦٨

(٤) الطبرى: تاريخ جـ٩/٥٤٠.

(٥) ن.م.س. جـ٩/٥٤٢.

(٦) ن.م.س. جـ٩/٥٤٥، ابن الجوزى: المنتظم جـ٥/ص ص ٤٩-٥٠.

(٧) جرجرايا: بلدة من اعمال النهروان الاسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقى منها. ياقوت: معجم جـ٢/٢٣.

الرعب بين اهل السواد مما جعلهم يسارعون بالفرار الى بغداد [1] مما ألقى على الخلافة عبئا ماليا ضخما فى اسكانهم واطعامهم اضافة الى المسؤوليات الامنية والادارية .

أقام سليمان بن جامع ومعه ساعداه سليمان بن موسى الشعرانى واحمد بن مهدى الجبائى فى هذه المنطقة حيث رتبوا عمالهم وقوادهم عليها وجبوا خراجها وبنوا المعسكرات الحصينة فيها . [2]

وفى نفس الوقت كان على بن ابان قد استولى على معظم اعمال الاهواز وانتصر على قوات الخلافة والتى كانت تحت قيادة اغرتمش [3] "وعاث هناك واخرب واحرق" [4] كما دخل رامهرمز [5] التى كانت تحت سيطرة محمد بن عبيد الله الكردى عامل يعقوب بن الصفار على الاهواز [6] ، فاستباحها على واحرق مسجدها [7] . وبذلك بلغ صاحب الزنج أوج قوته واتساع سلطانه

---

(١) الطبرى : تاريخ : جـ٩/٥٤٥ .

(٢) ابن ابى الحديد : شرح جـ٨/١٦٥ .

(٣) اغرتمش : احد القادة الاتراك كان مسرور البلخى قد تركه مع بعض القوات فى منطقة واسط قبل التحاقه بجيش الخلافة فى دير العاقول ، وقد اسندت لاغرتمش ولاية الاهواز فى ٢٦٦هـ وقتال الزنج فيها . الطبرى : تاريخ جـ٩/صص٥٢٤-٥٤٩ .

(٤) ابن ابى الحديد : شرح جـ٨/١٦٤ .

(٥) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحى خوزستان . ياقوت : معجم جـ٣/١٧

(٦) الطبرى : تاريخ جـ٩/٥٥٤ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧/٣٠٣ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم جـ٥/٥٦ ، الذهبى : العبر جـ٢/٣٢ ، ابن العماد : شذرات جـ٢/١٥١ .

بعد ان استولى على مساحات شاسعة شملت اغلب سواد العراق حيثأصبح على مسافة لا تقل عن سبعين ميلا الى الجنوب من بغداد ،اضافة الى امتداد سلطانه فى الاهواز مما يوحى بوجود تخطيط عسكرى منظم وقدرة على الحركة وحرية المناورة ، كما يعكس وجود التنظيم الادارى اذ كان يعمل على اخضاع هذه المناطق لسيطرته الادارية ،بشكل دقيق ولا يتوانى(١) فى ارتكاب أبشع الجرائم فى سبيل ضمان استمرار سيطرته واشرافه عليها من مركز حكمه فـــى المختارة المدينة التى بناها على الجانب الغربى من نهر ابى الخصيب .

وكان صاحب الزنج قد اختار لمدينته هذا الموقع لتكون محصنة بنهرى شط العرب وابى الخصيب من الجهتين الشمالية والشرقية (٢) ، كما وتحيط بهــا اشجار النخيل والادغال الكثيفة والقصب والبردى من كل جانب(٣)، وتسيطر هذه المدينة على فوهة عدد من الانهار الفرعية مثل نهر منكى ونهر ابــن سمعان والنهر المعروف بالغربى وغيرها (٤) ، مما يجعلها غاية فى التحصين اذ يصعب الوصول اليها . وبالاضافة الى هذه التحصينات الطبيعية فقــد اقام صاحب الزنج حول مدينته سورين عظيمين من حيث المتانة والارتفـاع(٥) تعلوها المجانيـق (٦) ، والعرادات(٧) والقسى الناوكية(٨) وسائر الآلات

---

(١) السامر : ثورة ص / ١٦٠ .

(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦٣١ ، السامر : ثورة ص / ١٦١ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦١٦ .

(٤) ن.م.س. جـ ٩/ ٦٠٢ .

(٥) مما يدل على ارتفاعها ان جيش الموفق استعمل السلالم عند محاولتهم اقتحام المدينة . انظر الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٩٦ .

(٦) المجانيق : مفردها منجنيق وهو القذاف التى ترمى بها الحجـارة . ابن منظور : لسان جـ ١٠/ ٣٣٨ .

(٧) العرادات : من آلات الحرب اصغر من المنجنيق . ابن منظور : لـ لسان جـ ٣/ ٢٨٨ .

(٨) القسى الناوكية : القس مفرد قسيان وهى القوس الشيد الصلابة . ولعل الناوكية نسبة الى المدينة التى تصنع فيها . انظر ابن منظور : لسان العرب جـ ١٥/ ١٨١ .

الحربية ويلي هذين السورين الى الخارج خندق عريض . (١)

أما المدينة من داخلها فقد اهتم صاحب الزنج بتعميرها بالقصور والدور والاسواق الكبيرة وأنشأ فيها الدواوين (٢) . كما أوجد دارا لضرب النقود (٣) . واما قصره فقد عني بتحصينه حتى اصبح قلعة منيعة اذ أحاطه بسور عال تعلوه وسائل الدفاع الحربية المختلفة وتقوم على حراسته على الدوام فرقة كبيرة من مقاتلة الزنج (٤) ، ولعل في ضخامة بوابة القصر ومتانتها ما يعكس مدى منعته وحصانته ، كان صاحب الزنج قد اقتلعها من حصن اروخ بالبصرة ونقلها الى المختارة ليستعملها كبوابة رئيسية في قصره (٥) وقد توسعت مدينة المختارة حتى شملت اغلب المنطقة الممتدة على الشاطىء الغربي لنهر ابى الخصيب ، بل ولم تلبث ان تشمل الجانب الشرقي من هذا النهر أيضا .
وقد عمل صاحب الزنج على تحصينها وانزل بها كثيرا من أخلص أصحابه مثل أحمد بن موسى المعروف بالقلوص والهمداني والكرنبائي (٦) ، ولكي يسهل الاتصال بين ضفتي نهر ابن الخصيب اقام الزنج عليه قنطرة من خشب الساج (٧)
وقد كان للتحصينات الكبيرة التي اتخذها الزنج لحماية مركزهم اثر كبير في صمود المختارة لمدة طويلة امام الجيوش العباسية قاربت الربع قرن .

---

(١) الطبري : تاريخ ج ٩/ ٥٩٧ .
(٢) الطبري : تاريخ ج ٩/ ص ٦١٨-٦١٩ ، ابن خلدون : العبر ج ٣/ ٣٢٤
(٣) يذكر د . فيصل السامر : انه وجدت قطعتان نقديتان من الذهب سكها الزنج توجد احداهما في المتحف البريطاني ويرجع تاريخها الى عام ٢٦١هـ ، واما الاخرى فهي في باريس ويرجع تاريخها الى عام ٢٦٤ هـ ثورة ص/ ١٧٣ .
(٤) الطبري : تاريخ ج ٩/ ٦٢٣ ، ابن الاثير : الكامل ج ٧/ ٣٨٧ .
(٥) الطبري : تاريخ ج ٩/ ٦٣٩ .
(٦) ن . م . س . ج ٩/ ٦٣١ .
(٧) الطبري : تاريخ ج ٩/ ٦٢٦ ، ابن خلدون : العبر ج ٣/ ٣٢٥ .

ولعل اكثر ما شغل صاحب الزنج هو عملية توفير الاغذية والمؤن لسكان مدينته (١) ويبدو ان ذلك كان من اهم الاسباب في اغارة الزنج على القرى والمدن في السواد ، ولما استولى صاحب الزنج على البصرة اسند ولايتها الى احمد بن القلوس ، الذى أخذ يمد المختارة بسمك البطيحة ، كما اخذ يرسل اليهـــا ايضا كل ما يرد الى البصرة من انواع الميرة والتجارات . وقد لعب الاعـــراب دورا كبيرا في تموين المختارة اذ كانوا يقومون بمبادلة ما يجلبونه من الباديـــة من الابل والطعام بالتمر الذى تنتجه هذه المنطقة الغنية بالنخيل (٢) . على أن الزنج لم يعتمدوا نهائيا على ما كان يردهم من الميرة من هذه المناطق ، لكنهم استغلوا الاراضي الزراعية في المناطق التي يسيطرون عليها في انتاج الحبوب والخضروات (٣) . وبذلك ازدهرت مدينة صاحب الزنج فقد اجتمـــع " فيها من الناس مالا ينتهى العد والحصر اليه ، رغبة ورهبة وصارت مدينـــة تضاهي سامراء وبغداد ، وتزيد عليهما " (٤) وكان قواد صاحب الزنج وامراؤه يجبون له الخراج من جميع المدن والمناطق التي يسيطرون عليها فيرسلونهـــا له ، وهكذا توفرت لديه الكثير من الاموال التي ساعدته في توطيد اوضاعــــه وشحن عاصمته بالاموال والسلاح والرجال ، مما اتاح له التخطيط لحرب طويله مع دولة الخلافة العباسية .

---

(١) الدوري : دراسات ص / ٩٩ .

(٢) الطبري : تاريخ جـ ٩ / ص ص ٦٠٣-٦٠٤ .

(٣) ن . م . س . جـ ٩ / ٦٥١ . ، فيصل السامر : ثورة ص / ٦٧ .

(٤) ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨ / ص ص ١٦٤-١٦٥ .

٢ - مرحلة التصدى وانهاء التمرد ٢٦١ - ٢٧٠ هـ :

تعتبر وفاة يعقوب بن الليث الصفار عام ٢٦٥هـ/٨٧٨م وجنوح خلفه وأخيه عمرو بن الليث الصفار الى السلم (١) تجاه الخلافة الاسلامية ، بمثابة نقطة تحول فى مسار حرب الخلافة الاسلامية ومسيرتها ضد تمرد الزنج ، اذ تهيأت للموفق الفرصة لتركيز قواته وتوحيد جهوده من اجل ضرب قوات الزنج ضربة قاضية . ومنذ ذلك الحين بدأت الامور تسير فى صالح الخلافة العباسية .

لقد كانت مواجهة الزنج تحتاج الى التروى ورسم الخطط الدقيقة خاصة وان المعارك المريرة التى خاضتها جيوش الخلافة ضدهم جعلت الموفق اكثر خبرة فى طريقة حربهم ، كما انه اكتسب خبرة خاصة أدت به الى أن يكون اكثر حذرا ، وان لا يخاطر الا عند الضرورة القصوى ، وقد اوصله ذلك الى درجة اصبح معها حذرا من ان يخطو اية خطوة قبل أن يدرس عواقبها ويتأكد من سلامة نتائجها . (٢)

أدرك الموفق ضرورة ضمان توفير التموين الكافى للجيوش المقاتلة وكذلك الاموال المناسبة للصرف على تجهيزات الجند وتسليحهم وارزاقهم واعطياتهم . كما ادرك ضرورة التعرف الدقيق على طبيعة الارض التى يحارب عليها والتثبت من طرقها وانهارها ومواردها ومشاكلها ، وكذلك ضرورة توفير العدد الكافى من المهندسين المختصين فى اقامة القناطر والجسور ، وكذلك الخبراء فى هدم الاسوار . ولذلك فان الموفق لم تتح له الفرصة وهو يباشر بنفسه الاشراف على تهيئة مستلزمات الحرب الطويلة التى خطط لها ، فى أن

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ /ص ٣٢٥-٣٢٦ .

(٢) الدورى : دراسات ص /٩٢ .

يشرف بشكل مباشر على الخطط الأولى للجيش العباسي في حربه ضد الزنج ذلك انه قد ارسل ابنه أبا العباس في عام ٢٦٦هـ/ ٨٧٩م لينوب عنه في القيادة ريثما يعد هو العدة لمواجهتهم . (١)

استكمل أبو العباس بن الموفق استعداداته لاجلاء الزنج وطردهم من مدينة واسط وما جاورها من القرى في بداية المرحلة الجديدة في مقاومة الدولة العباسية لخطرهم ، وقد كان مجموع تعداد جيشه عشرة آلاف من الفرسان والرجالة" في أحسن زى واجمل هيئة واكمل عدة" (٢) وقد رافقه كذلك اسطول من الشذا (٣) والسميريات (٤) وعدد من المعابر (٥) كلها جيدة الصنع ، وكانت السفن تختلف في استعمالاتها فبعضها كبير مدرع تستعمل كحصون ، وقد تستعمل للنقل ، وبعضها صغير تتسع لعدد من الجنود يتراوح بين ٢٠-٤٠ رجلا أعدت للهجوم بالدرجة الاولى ، وبعضها قوارب سريعة تستعمل للمباغتة والتستر في الحركة وهي تهيئ فرصة جيدة للاختفاء عند عمل الكمائن (٦) . وخرج الموفق لتشييع ابنه حتى وصل الى الفرك (٧) ، فأقام ابو العباس فيها عدة أيام حتى استكمل عدد اصحابه ثم رحل جنوبا الى المدائن وأقام بها أيضا ، ثم سار الى دير العاقول (٨) وهناك وصله

---

(١) فيصل السامر : ثورة ص/١٣٣ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٩/٥٥٧ .
(٣) الشذا : ضرب من السفن والواحدة شذاة . ابن منظور : لسان العرب جـ ١٤/٤٢٧ .
(٤) السميريات : ضرب من السفن الحربية . ابن منظور : لسان العرب جـ ٤/٣٧٨ .
(٥) المعابر : ما عبر به النهر من فلك او قنطرة او غيره . والمعبرة سفينة يعبر عليها النهر . ابن منظور : لسان العرب جـ ٤/٥٣٠ .
(٦) الدورى : دراسات ص/٩٣ .
(٧) الفرك : قرية كانت قرب كلواذى . ياقوت : معجم جـ ٤/٢٥٥ .
(٨) دير العاقول : بين مدائن كسرى والنعمانية بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخا على شاطئ دجلة كان ، اما الآن فبينه وبين دجله مقدار ميل . ياقوت : معجم جـ ٢/٥٢٠ .

كتاب من قائد اسطوله نصير (١) أخبره فيه بأن سليمان بن جامع قائد الزنـج فى منطقة واسط قد استعد لقتاله . فرحل ابو العباس الى جرجرايا ثم انتقل منها الى فم الصلح (٢) ،ثم ركب حتى وافى الصلح . ومن هناك وجـه طلائعه ليتعرف على خبر سليمان بن جامع فأتته الاخبار بعظم جيش عدوه ، " وان اولهم بالصلح وآخرهم ببستان موسى بن بغا اسفل واسط" (٣) . فلما بلغه ذلك عدل عن سلك الطريق المعروفة ، وباغت طلائع الزنج فى منـاورة بارعة اقتنصت قواته فيها مقدمة جيش الزنج وانزلت بهم هزيمة فادحة انهـزم فيها الزنج (٤) وبقيت قوات الخلافة العباسية تطاردهم لمسافة بعيدة عـن موقع القتال ،وقد غنم ابو العباس منهم " خمس شذرات وعدة سميريات واستأمن منهم قوم ،وأسر منهم اسرى ،وغرق ما ادرك من سفنهم" (٥) ، فكان ذلك أول الفتح لجيوش الخلافة العباسية .

بعد هذه الهزيمة التى حلت بالزنج لجأ سليمان بن جامع الى منطقة نهر الامير (٦) ،كما فر سليمان بن موسى الشعرانى الى معسكر الزنج الحصين فى سوق الخميس . وبذلك اصبح الطريق مفتوحا امام ابى العباس لدخـول مدينة واسط ، فدخلها وصلى بها الجمعة ، واستأمن اليه خلق كثير ممن كانوا مع الزنج وكان ذلك فى ربيع الآخرة سنة ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م. (٧)

---

(١) نصير : انظر ترجمته فى الفصل السابق ص/ ١٤٠.

(٢) فم الصلح : هو نهر كبير فوق واسط بينها وبين دجيل عليه عدة قرى . ياقوت : معجم جـ ٥/ ٢٧٦.

(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ص ص ٥٥٧ - ٥٥٨.

(٤) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٣٣٩ ، ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨/ ١٦٦

(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٥٨.

(٦) نهر الامير : بواسط ينسب الى العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس وهو قطيعة له . ياقوت : معجم جـ ٥/ ص ص ٣١٧- ٣١٨.

(٧) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٥٩.

قرر أبو العباس ان يجعل معسكره ومقر قيادته فى منطقة العمر التى تقع على مسافة فرسخ واحد الى الجنوب من مدينة واسط ،وذلك لكى يشكل بالجيش خطا دفاعيا عن المدينة فيأمن المواطنون فى واسط والقرى المجاورة لها والواقعة الى الشمال منه من شر صاغتة الزنج لهم ،وقال : "اجعل معسكرى اسفل واسط ليأمن من فوقه الزنج" وامتنع عن الأخذ بمشورة اصحابه الذين نصحوه بان يجعل مقامه فوق واسط ليأمن على جنده وأعرض عن "استماع شئ من آرائهم"(١) ، وذلك يشير الى مدى حرصه على مصالح العامة والرغبة فى اشاعة الامن والاستقرار واتاحة الفرصة لاهل القرى فى العودة الى بيوتهم ومزارعهم ، كما يدل على استيعاب كامل للغرض من وجود الجيش .

أعاد سليمان بن جامع جمع جيشه مرة أخرى وهجم على الجيش العباسى من ثلاثة نواحى ،فرقة اتت من نهر ابان (٢) ،والفرقة الثانية تقدمت من برتموتا ، اما الفرقة الثالثة فقد اتت من بردودا ،غير ان أبا العباس استطاع بما لديه من مقدرة حربية بارعة وقدرة على الحركة السريعة والمراوغة ،ان يقهر هذه الفرق الثلاثة ويشتت شطها (٣) . وقد أبدى أبو العباس اهتماما كبيرا بمعرفة طبيعة تلك المنطقة فكان يجوبها بنفسه ملا الادلاء " ليقف على القرى والمسالك"(٤) " حتى عرف جميع تلك الارض ومنافذها وما تنتهى اليه من البطائح والاجام وغيرها"(٥) . وكان يستهدف من ذلك كما يبدو رسم خططه التالية من جهة ومنع صاغتة الزنج لقواته من جهة أخرى .

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/٥٥٩ ، الدورى : دراسات ص/٦٣ .
(٢) نهر ابان : يتفرع من نهر دجلة ويجرى اسفل مدينة واسط ثم يمر بقرى وضياع ويصب فى البطيحة . سهراب: عجائب الاقاليم ص/١٢٨ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/٥٥٩ .
(٤) ن.م.س. جـ ٩/٥٥٩ .
(٥) ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨/ص ١٦٨-١٦٩ .

وأما الزنج فقد جمع سليمان بن جامع جيشه للمرة الثالثة واستعد للمعركة القادمة ، وكانت خطته تتلخص في أن يكمن لقوات الخلافة التي كانت بقيادة ابى العباس في ثلاثة نواحي ، وان يباغته بهجوم شامل في وقت واحد على أمل ارباكه وتحقيق النصر ، معتقدا بانه لا علم لأبى العباس بخدع الحرب قائلا لاصحابه وهو يحرضهم على القتال : "هذا فتى حدث ، لم تطل ممارسته الحروب وتدربه بها "(١) . فجعل في كل ناحية عشرة آلاف زنجي رتبهم في كل من قس هثا وبرتموتا وبردودا ،على ان يقدم عشرين سميريه أمام معسكر ابى العباس فيغتر بها فلا يزال يطاردها حتى موضع محدد حيث تخرج عليه هذه الكمائن من ورائه (٢) . غير ان ابا العباس علم بواسطة ارصاده وعيونه بهذه الخطة ،فلما رأى الزنج ان كيدهم لم ينفذ خرجوا له (٣) ، وكان أبو العباس قد أحسن تعبئة أصحابه فالتقى الفريقان في المنطقة الممتدة ما بين قرية الرمل الى الرصافة في معركة عنيفة ، حلت الهزيمة فيها بالزنوج وكاد القائدان الزنجيان سليمان بن جامع والجبائي أن يؤسرا ، وانسحب جيش الزنج بأسره لا ينثنى احد منهم حتى وصلوا طهيثا - من قرى واسط التي كانت على ما يبدو تتأخم البطيحة - والتي كانت كثيرة الأدغال حيث احتموا بها (٤) . تاركين اسلحتهم واغراضهم ودوابهم واربع عشرة شذاة غنيمة لجيش ابى العباس. (٥)

رجع ابو العباس الى معسكره في العمر حيث " أمر باصلاح ما أخذ منهم من الشذا والسميريات وترتيب الرجال فيها "(٦) . وظل الزنج بعد هذه

----

(١) الطبري : تاريخ جـ ٩/ ٥٥٩ .

(٢) ن . م . س . جـ ٩/ ٥٦٠ ، ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨/ ١٦٨ .

(٣) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٣٤٠ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣/ ٣٢٠ .

(٤) الطبري : تاريخ جـ ٩/ ٥٢٣ ، ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨/ ١٦٨ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣/ ٣٢٠ .

(٥) الطبري : تاريخ جـ ٩/ ٥٦٠ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٣٤٠ .

(٦) الطبري : تاريخ جـ ٩/ ٥٦٠ .

المعركة عشرين يوما لا يخرج منهم احد للقتال ،مكتفين بارسال الطلائع كل ثلاثة أيام بقيادة الجبائى ليتعرف على تحركات الجيش العباسى وليعمل على اعاقة تقدمه . وقد لجأ الجبائى الى خدعة ماكرة اذ أمر ان تحفر الابار على طول الطريق الذى تسلكه الخيالة على ضفة نهر سنداد وان توضع فيها سفافيد [1] حديد وان تغطى بطبقة من صفائح البوارى [2] ، وان يخفى موضعها . واكمالا لخطته حاول الجبائى ان يغرر بجند ابى العباس فكان يغير على اطراف المعسكر لكى تخرج الخيالة فى طلبة فتسقط فى تلك الابار التى اعدها . وقد حدث أن جدت فى بعض تلك الايام خيالة ابى العباس فى طلبه فمر احدهم على تلك الآبار وسقط فيها ، مما ادى الى اكتشاف خدعة الجبائى فأمر ابو العباس اصحابه بترك ذلك الطريق . [3]

شعر سليمان بن جامع بضعف قوته فى مقابل قوة الجيش العباسى ، فأرسل يطلب من سيده صاحب الزنج امداده بالرجال والسميريات فأرسل له اربعين سميرية مزودة بالمقاتلين والاسلحة كالسيوف والرماح والتراس [4] ، فتقوى بها سليمان بن جامع ،وكان يظهر للقتال فى صورة مفاجئة ليعرف اهتمام جند العباسيين عما كانت تفعله طلائعه فى نفس الوقت مع قطع القناطر واحراق السفن وقتل الخيول لاضعاف الجيش العباسى ،وقد استمر فى ذلك لمدة شهرين [5] . فرأى أبو العباس ان يكمن للزنج ليتمكن منهم فجعل امام الجيش عدة سميريات رتب فيها جماعة من اصحابه المعروفين

---

(١) سفافيد : جمع سفود وهى حديدة ذات شعب معقفه معروفة يشوى به اللحم . ابن منظور : لسان العرب جـ٣/٢١٨ .
(٢) البوارى : حصير مصنوعة من القصب او البردى لا زالت شائعة الاستعمال فى ريف العراق . ابن منظور : لسان العرب جـ٤/٨٧ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ٩/ص ص ٥٦٠-٥٦١ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧/٣٤٠
(٤) ابن ابى الحديد : شرح جـ٨/١٦٩ .
(٥) الطبرى : تاريخ جـ٩/٥٦١ .

بالشجاعة والنجدة ، فلما تقدم الزنج طامعين فى الاستيلاء عليها ، خرج عليهم ابو العباس فقاتلهم حتى القى الرعب فى نفوسهم وكسر شوكتهم ، فولــــوا هاربين (١) تاركين وراءهم احدى وثلاثين سميريه ، حواها أبو العباس وامـر باصلاحها كما امر بالخلع على من ابلى فى هذه المعركة من اصحابه . (٢)

وجد أبو العباس انه من الضرورى التعرف على المواضع والمسالك التى تمر بها سميريات الزنج ليبث عيونه وارصاده فيها لكى لا يتمكن الزنج مـــن مباغتته فى الوقت الذى يتمكن فيه من الاستعداد لقتالهم . ولهذا فقد قدم اسطوله بقيادة نصير ، وكانت خطة سيره تقتضى التوغل فى نهر مازروان حـتى يصير الى قرية الحجاجيه - من قرى واسط - ثم ينتهى الى نهر الأمير . وقد سار ابو العباس فى شذاته ترافقه عدة سميريات حتى قارب قرية الحجاجيــة وكان نصير قد تقدم عنه كثيرا ، وقد طمع اصحاب أبى العباس فى قطعان مـن ماشية الزنج مروا بها فخرجوا من السفن لانتهابها ، بينما ظل ابو العبـاس منفردا مع احد غلمانه (٣) . وقد علم الزنج بمكان ابى العباس فطمعوا فـــى التخلص منه ، وهجموا على الموضع الذى هو فيه واحاطوه من كل جانب . وقد اظهر ابو العباس فى هذا الموقف الدقيق والحرج شجاعة فائقة . اذ أخـذ يرميهم بسهامه ويشاغلهم بذلك (٤) ، غير أنهم كانوا يتكاثرون حوله حتى بلــغ عددهم زهاء الفى زنجى ، ولولا أن تداركته رحمة الله بعودة بقية جنـــده الذين اسرعوا لانقاذه ، لكان مصيره الهلاك (٥) ، وهكذا نجا أبو العبـــاس

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٥٦١ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ٣٤٠ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٥٦٢ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ٣٤١ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٥٦٢ .
(٤) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ٣٤١ .
(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٥٦٣ .

من خطر محقق (١) ،ورجع الى معسكره وقد غنم اصحابه الكثير من ماشية الزنج ولم يرغب ابو العباس ان تمر هذه الحادثة المحرجة دون ان يأخذ الدروس والعبرة منها ذلك انه اصدر اوامره الصريحة بالاعلان الى الملاحين بالا يبرح احد من السميريات فى وقت الحرب ، فمن فعل ذلك فقد احل دمه . (٢)

كان الزنج قد تحصنوا فى ثلاثة معسكرات حصينة ازاء اخطار تقدم جيوش الخلافة الاسلامية ، فتحصن سليمان بن جامع بطهيثا ،واقام الشعرانى فى سوق الخميس . بينما تحصنت الفرقة الثالثة فى بليدة الصينية (٣) بقيادة رجل من اهلها . واخذوا يغيرون على المناطق المجاورة لهم " ويخربون كل ما وجدوا الى اخرابه سبيلا ،ويحملون ما قدروا على حمله من الغلات ، ويعمرون مواضعهم التى هم مقيمون بها " (٤) . ويبدو ان ابا العباس اراد ان يكفى الناس شرهم فعبأ جيشه تعبئة دقيقة جاعلا قيادة الخيالة للفضل بن موسى بن بغا واخيه محمد وغيرهما من القادة ، وامرهم بالتوجه نحو بليدة الصينية ، بينما ركب هو مع القائدين التركيين نصير وزيرك فى الشذا والسميريات (٥) وقد ظلت الخيالة تحاصر البليدة حتى وجد الزنج انه ليس فى مقدورهم المقاومة فلجأوا الى سفنهم ، وعندئذ هجم عليهم الاسطول العباسى فقتل عددا كبيرا منهم واسر آخرين ،بينما القى البعض الآخر نفسه فى الماء ، وغنم جيش ابى العباس سفن الزنج وكانت مطوءة بالمؤن (٦) . وبذلك تمكن ابو العباس من فتح هذه البليدة وفر من بقى فيها من الزنج نحو طهيثا وسوق الخميس ، حيث تركزت قوات الزنج فى هذين الموضعين المتقدمين . (٧)

---

(١) ابن ابى الحديد : شرح جـ ١٦٩/٨ ،ابن كثير : البداية جـ ٤٠/١١
(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٥٦٣/٩ .
(٣) الصينية : بليده تقع تحت واسط . ياقوت : معجم جـ ٤٤٨/٣ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٥٦٣/٩ .
(٥) ن.م.س جـ ٥٦٣/٩ .
(٦) الطبرى : تاريخ جـ ٥٦٣/٩ ،ابن الاثير : الكامل جـ ٣٤١/٧ ، الذهبى : العبر جـ ٣٤/٢ .
(٧) الطبرى : تاريخ جـ ٥٦٤/٩ .

علم ابو العباس بوجود قوات كبيرة للزنج في مدينة عبدسى (١) فقصدهم واوقع بهم بعد معركة شديدة قتل فيها الكثير من ابطالهم ، وظفر بقائدهم ثابت بن ابى دلف ، فمن عليه وضمه الى قواده (٢) ، وكان عفوه عن ثابت هذا بادرة رائدة في الالتزام بتطبيق سياسة جديدة وسديده كان لها اثر كبير في اجتذاب قواد الزنج المتمردين وجنودهم وكانت سببا في تحرج موقف صاحب الزنج كثيرا فيما بعد (٣) . وقد انقذ ابو العباس عددا كبيرا من النساء اللائى كن في ايدى الزنج فأمر بردهن الى أهلهن ، وأخذ ما كان الزنج قد جمعوه من اموال وغنائم . (٤)

ظل ابو العباس بعد ذلك يداوم على دخول الانهار والمضايق يطهرها من مقاومة الزنج ويوسع في منافذها ، حتى انتهى الى مدينة سليمان بن موسى الشعرانى الحصينة التى بنيت على ضفة نهر سوق الخميس في نواحى واسط الجنوبية والتى سماها " المنيعة " فوقعت بينه وبين الزنج بعض الاشتباكات " خاطر فيها ابو العباس بنفسه مرارا " (٥) ولكنه سلم . ولم تنجح المحاولات الاولى لفتح مدينة " المنيعة " ، فتركها ابو العباس عائدا الى معسكرة بالعمر (٦) منتظرا فرصة اخرى تتاح له بعد قدوم والده الموفق بالله للاشراف شخصيا على سير المعارك .

---

(١) عبدسى : مدينة كانت برستاق كسكر خربها العرب وبقى اسمها على ما كان حولها من العمارة . ياقوت : معجم جـ ٤/٧٧ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٦٤ .
(٣) الدورى : دراسات ص / ٩٤ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٦٤ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩/ ٥٩ ، مؤلف مجهول : العيون جـ ٤/ ٩١ .
(٥) ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨/ ١٦٩ .
(٦) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٦٦ .

وصول الموفــق لقتال الزنج :

لاحظ صاحب الزنج قوة ابى العباس وكثرة جيشه فأمر قائده على بن ابان المهلبى فى الاهواز المسير بجميع من معه والانضمام الى قوات الزنــج الاخرى والتى كانت بقيادة سليمان بن جامع ، كما امر القائدين بان يجتمعا على مناجزة الجيش العباسى (١) . فلما بلغ الموفق ذلك النبأ خرج بجيش ضخم من اصناف المشاة المختلفة ، كما كان تحت امرته اسطول نهرى كبير من الشذا والسميريات والمعابر وذلك فى صفر ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م (٢) لنصرة ابنه ،وقد وصل الموفق الى مدينة واسط فى شهر ربيع الاول ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م فتلقاه ابنــــه ابو العباس هناك ،حيث بدأت الخطوات الاولى فى اثارة حمية الجند ورفع معنويات المقاتلين فقد وصف له ابنه ابو العباس بلاء جيوشه وجلدهم علـــى الحرب فخلع(٣) عليهم مما هيأ اذهان الآخرين للبذل والتضحية ،ثم انتقل الموفق بقواته الى فوهة برصاور(٤) حيث عسكر هناك ، واخذ يخطط لحــرب الزنج وقد قرر ان يبدأ اولا بالمنيعة لانها اول حصون الزنج اذ خشى ان هو تجاوزه الى حرب سليمان بن جامع "ان يأتيه الشعرانى من ورائه" (٥) فيقطــع عليه خطوط المواصلات والتموين .

قسم الموفق جيشه الى مجموعات تتبع بعضها بعضا وامر ابنه ابـــا العباس ان يتقدم فى الشذا والسميريات الى المنيعة ،فلما وصل ابوالعباس الى سور المدينة العظيم لقيه الزنج واشتبك الفريقان فى معركة ما ان اشتدت حتى خرج الموفق فى بقية الشذا وعامة الجيش وسارت الرجالة والخيل علـــى

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٣٤٣/٧ ،ابن ابى الحديد : شرح جـ ١٧٠/٨
(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٥٦٦/٩ ، الدورى : دراسات ص/ ٩٤ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٥٦٧/٩ ،ابن كثير : البداية جـ ٤٠/١١ .
(٤) فوهة برصاور : تقع بمحاذاة نهر بارطق الذى يوصل الى مدينــة المنيعة . انظر الطبرى : تاريخ جـ ٥٦٥/٩ .
(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ص ص ٥٦٧-٥٦٨ .

ضفتى نهر براطق . فلما رأى الزنج عظمة الجيش العباسى دب الذعر فى نفسوهم فانهزموا وتفرقوا وسيطر اصحاب ابى العباس على السور وفتحوا الابواب وقاتلوا قتالا شديدا [١] ،فهرب من تبقى فى المنيعة من الزنج وعلى رأسهم الشعرانى ،غيران جند الموفق لم يمهلوهم اذ تتبعوهم يقتلون منهم ويأسرون حتى وافوا بهم البطائح حيث غرق منهم جمع كبير. [٢] ودخل الموفق مدينة المنيعة فى ربيع الاخر عام ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م واستنقذ زهاء" خمسة آلاف من الاسيرات المسلمات"ثم اذن للناس فى حياطة ما فيها من امتعة الزنج واخذ ما كان فيها اجمع ، وامر بهدم سورها وطم خندقها واحراق ما كان فيها من السفن "[٣]. ولعله يقصد بهذه السفن هى السفن الصغيرة الخفيفة المصنوعة من الجلد والتى كان الزنج يستخدمونها فى المباغتة والاستطلاع[٤] والتى كانت عديمة الفائدة بالنسبة للجيش العباسى ويبدو ان الموفق قد وجد أن بقاءها لا يعود بالنفع عليه ولذلك فانه عمل على التخلص منها .

عاد الموفق الى معسكره فى برمساور بعد ان ظفر بما فى الرساتيق والقرى التى كانت فى يد الشعرانى واصحابه من اموال وضائع والتى كانت كثيرة فامر ببيعها وصرف اثمانها فى اعطيات مواليه وغلمانه وجنده [٥]. وقد كانت هزيمة الشعرانى كارثة كبيرة جدا حلت بصاحب الزنج حتى انه قال لاصحابه بانها قاصمة الظهر اذ "ان الذين اناخوا عليه واوقعوا به وقعة لم تبق منه ولم تذر" ، واسرع بالكتابة الى سليمان بن جامع يحذره ويأمره بالتيقظ والاستعداد . [٦]

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٥٦٨/٩ ، مؤلف مجهول : العيون جـ ٩٣/٤ .
(٢) ابن الاثير : الكامل جـ ٣٤٤/٧ ،ابن كثير : البداية جـ ٤٠/١١ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٥٦٨/٩ ، ابن ابى الحديد : شرح جـ ١٧١/٨ .
(٤) ابن الاثير : الكامل جـ ٤٠٤/٧ .
(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٥٦٨/٩ .
(٦) ن.م.س. جـ ٥٦٩/٩ .

كان الموفق قد أعد العدة لقتال سليمان بن جامع وارسل ابنه ابا العباس ليستطلع حقيقة خبر وجوده فى قرية الحوانيت(١) ،غير ان ابا العباس لم يجد هناك سوى قائدين من قواد الزنج كانا مشهورين بشدة البأس والنجدة وهما شبل وابو الندا، وكان سليمان بن جامع قد خلفهما هناك لحفظ مخازن الغلال العظيمة ،فحاربهما ابو العباس واسقط الكثير من رجالهما قتلى وجرحى (٢) ، ثم عاد الى والده الموفق ليطلعه على ما علمه من وجود سليمان بن جامع متحصنا فى مدينته التى سماها "المنصورة" وهى تقع على نهر المنذر بجوار مدينة طهيثا . (٣)

عزم الموفق على فتح هذه المدينة والتى تعتبر الحصن الاوسط للزنج ، مستفيدا من حالة الهلع والانكسار التى احدثها انتصاره فى المنيعة ، وقد سار الى بردودا فى يوم الجمعة ١٨ ربيع الآخر ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م " وامر بوضع العطا، واصلاح سفن الجسور ليحدرها معه واستكثر من العمال والالات التى تسد بها الانهار ، وتصلح بها الطرق للخيل"(٤) . ثم توجه نحو المنصورة فعسكر على بعد ميلين منها (٥) . ولقد بدأ تحرش الزنج بجيش الخلافة حتى قبل استقراره فى الموضع الجديد ، وفى احدى المناوشات قتل القائد الزنجى احمد الجبائى وكان من اعظم قادة صاحب الزنج واشدهم طاعة له (٦) مما كان له اثر كبير فى استفحال حالة الانكسار النفسى لدى الزنوج ، وفى ٢٧ ربيع الثانى ٢٦٧هـ عبأ الموفق جيشه فجعله كتائب يتلوا بعضها بعضا ،

---

(١) مؤلف مجهول : العيون جـ ٤/ ٩٣ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٦٩ ،ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨/ صص ١٧٢ - ١٧٣ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٧٠ .
(٤) ن.م.س. جـ ٩/ ٥٧٠ .
(٥) ابن ابى الاثير : الكامل جـ ٧/ ٣٤٥ .
(٦) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ صص ٥٧١-٥٧٢ ،ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨/ ١٧٤ .

فرسانا ورجاله وسير الشذا والسميريات فى النهر الذى يشق مدينة طهيثا ، وهو نهر المنذر ، وكان سليمان بن جامع قد جعلها خط دفاعه الاول ، فلما بلغ الموفق سور المدينة رتب قواده كل فى موضعه استعدادا للمعركة. (١)

كان سليمان بن جامع قد حصن المدينة بخمسة خنادق وجعل امام كل خندق سورا ،غير ان هذا التحصين لم يقف عقبة امام قوات الموفق التى ما لبثت ان اقتحمت المدينة حيث دخلها الموفق واصحابه من جميع جوانبها واجلوا الزنج عنها (٢) واحتوى ما كان فيها من الدخائر والاموال والموءن (٣) وقد "امر ابواحمد - الموفق - ببيع ما اصاب من الغلات وغير ذلك ، وحمله الى بيتما له ،وصرفه فى اعطيات من فى عسكره من مواليه وجنده" (٤) . وقد تراجع سليمان بن جامع من المنصورة فى الوقت الذى هرب فيه كثير من الزنج الا اجام المحيطة بالمدينة نجاة بانفسهم فأعلن الموفق عفوه عمن يأتيه مستسلما "لما دبر من استمالتهم وصرفهم عن طاعة صاحبهم". (٥) ووجد ابواحمد الموفق فى مدينة المنصورة زهاء عشرة آلاف اسيرة من العلويات والمسلمات من اهل واسط فاطلق سراحهن وامر بهدم سور المدينة وطم خنادقها (٦) . كما ارسل فرقة بقيادة مولاه نصير - قائد الاسطول - ليجد فى تتبع سليمان بن جامع حتى يوافى دجله العوراء ثم أمر بفتح السكور "التى كان الفاسق احدثها ليقطع بها الشذا عن دجله فيما بينه وبين النهر المعروف بابى الخصيب وتقدم الى زيرك (٧) فى المقام بطهيثا ليتراجع اليها الذين كان الفاسق اجلاهم عنها من اهلها". (٨)

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩/٥٧٢ ،موءلف مجهول : العيون جـ٤/٩٤ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧/٣٤٦ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ٩/٥٧٣ ،ابن كثير : البداية جـ١١/٤٠ .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ٥/٥٨ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ٩/٥٧٣ .
(٥) ن.م.س جـ٩/٥٧٤ .
(٦) ابن كثير : البداية جـ١١/صص٤٠-٤١ .
(٧) زيرك : هو احد قادة الخليفة المتوكل على الله ،وقد ولاه الموفق مقدمة جيش ابنه ابى العباس فى اثناء مرحلة التصدى لثورة الزنج الطبرى : تاريخ جـ٩/صص١٦٥-٦٣٩ .
(٨) الطبرى : تاريخ جـ٩/٥٧٤ .

خلف الموفق فرقة من جيشه في واسط بقيادة ابنه هارون وسار الى الاهواز ليصلحها ويجلي الزنج عنها (١). وكان ابو العباس قد سبقه في المسير اليها ليصلح الطرق ويعد المعبرة للجيوش (٢).

وصل ابو احمد الموفق الى بردودا مارا بها في طريقه الى الاهواز حيث اقام فيها عدة ايام لاعداد ما يحتاج اليه في مسيره هذا من الخيل والميرة . وقد وافاه هناك القائد زيرك عائدا من طهيثا بعد ان اطمأن على سلامة اهلها وتراجعهم الى مدينتهم . وقد امره الموفق بالاستعداد والزحف بالشذا والسميريات الى دجله العوراء (٣) ، ليتعاون مع نصير على اجلاء الزنج من نهر دجله وذلك ليضطروهم الى المسير الى مدينة صاحب الزنج وكانت أوامر الموفق تؤكد على ضرورة متابعتهم حتى المدينة "وان رأوا موضع حرب حاربوه في مدينته" كما امرهما بان يكتبا اليه اذا ما جد لهما امر حتى يكون على علم بمجريات الامور. (٤) وقد تمكن القائدان زيرك ونصير من الايقاع باحد اعوان صاحب الزنج وهو القائد محمد بن ابراهيم حيث هزماه شر هزيمة وغنما منه ثلاثين سميرية (٥) مما كان له اثر كبير في ازدياد حالة الرعب بين اتباع الزنج الذين كانوا يعيشون في دجله وكورها . وقد استأمن الى قوات القائد نصير الفا رجل منهم فامره ابو احمد الموفق "بقبولهم واقرارهم على الامان واجراء الرزق عليهم ، وخلطهم باصحابه ومناهضته العدو بهم" (٦)

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٣٤٨ .
(٢) الطبري : تاريخ جـ ٩/ ٥٧٤ ، ابن ابي الحديد : شرح جـ ٨/ ١٧٦ .
(٣) الطبري : تاريخ جـ ٩/ ٥٧٤ .
(٤) ن.م.س. جـ ٩/ ٥٧٥ .
(٥) ابن ابي الحديد : شرح جـ ٨/ ١٨٠-١٨١ .
(٦) الطبري : تاريخ جـ ٩/ ص ص ٥٧٩-٥٨٠ .

كان الموفق قد رحل من واسط متجها يوم الجمعة الثاني من جمادى الآخرة ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م الى الاهواز وكورها مارا بباذين ثم جوخى ثم الطيب ثم قرقوب ثم درستان ثم وادى السوس ، وهناك بنى له جسر عبر عليه هو وجميع جنده الى السوس[١] فنزلها [٢] . فلما بلغ ذلك صاحب الزنج "انتقض عليه تدبيره وضلت حيله"[٣] اذ خشى من هجوم الموفق على مدينته واصحابه متفرقون عنه [٤] ،فحمله فرط الهلع على حاله ،ان كتب الى المهلبى المقيم بالاخواز بترك كل ما كان معه من المؤن والمتاع والقدوم اليه فى الحال ،كما كتب ايضا الى قائده بهبوذ بن عبد الوهاب بترك عمله فى الفندم[٥] والباسيان[٦] والتوجه اليه . "فترك بهبوذ ما كان قبله من الطعام والتمر وكان ذلك شيئا عظيما" ، فاحتواه الموفق فكان قوة له وضعفا للزنج لانهم اخذوا منذ ذلك الحين يقاسون قلة الغذاء وصعوبة التموين . [٧] .

دخل الموفق جنديسابور فاقام بها ثلاثة ايام اصلح خلالها من اوضاعها كما ارسل فى طلب الاعلاف التى كانت قد نفدت فى معسكره[٨] ،ثمّ رحل عنها الى تستر" وامر بجباية الاموال من كور الاهواز ، وانفذ الى كل كورة قائدا ليروج بذلك حمل الاموال "[٩] وتشير المصادر الى ان عددا كبيرا من قادة المهلبى وجنده قد كتبوا الى الموفق يطلبون منه الامان ،وقد اجابهم الموفق

---

(١) السوس : بلده بخوزستان . ياقوت : معجم جـ٣/ ٢٨٠ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٥٧٥ ، ابن ابى الحديد : شرح جـ٨/ ١٧٦ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٥٧٥ .
(٤) ابن الاثير : الكامل جـ٧/ ٣٤٨ .
(٥) الفندم : موضع بالاهواز . ياقوت : معجم جـ٤/ ٢٧٨ .
(٦) الباسيان : قريه بخوزستان . ياقوت : معجم جـ١/ ٣٢٢ .
(٧) الطبرى : تاريخ جـ٩/ص ص ٥٧٥-٥٧٦ ،مؤلف مجهول : العيون جـ٤/ ص ص ٩٥-٩٦ ، فيصل السامر : ثورة ص ١٣٨ .
(٨) ابن ابى الحديد : شرح جـ٨/ ١٧٨ .
(٩) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٥٧٧ .

الى ذلك وامنهم وضمهم الى جيشه ،كما وجه الموفق من ابلغ محمد بن عبيدالله الكردى العفو ،وطالبه بامداد جيشه الخلافه بالاموال والجند (١) . وعنى الموفق بفتح السكور التى احدثها الزنج فى دجله (٢) ذلك ان انشاء السدود ووضع المراقيل فى الانهار والقنوات من اساليب الزنج التى اعتمدوها من اجل منع قوات الجيش العباسى من المرور وتحسبا من المباغتة. (٣)

رحل ابو احمد الموفق بعد ذلك الى مدينة عسكر مكرم فاقام فيها عدة ايام سار بعدها الى الاهواز وهو يعتقد بان الميرتصل اليها بانتظام ، غير انه فوجئ باحوال الناس قد ساءت الى درجة كبيرة لعدم توفر الغذاء . وقد تحرى الموفق عن سبب ذلك فتبين له بان بعض جنوده قد قطعوا قنطرة قديمة كانت تصل بين سوق الاهواز (٤) ورامهرمز (٥) - وهى قنطرة اربك - مما منع التجار من حمل الميرالى المدينة (٦) وتسبب فى حصول الازمة . ولذلك فقد سار الموفق الى موضع القنطرة والمذكورة وامر باعادة انشائها واشرف بنفسه على ذلك وبذل الاموال الكثيرة حاثا العمال على دقة وسرعة اصلاحها فلم يكتمل ذلك اليوم حتى تم اصلاحها " فسلكها الناس ووافت القوافل بالمير ، فحيى اهل العسكر ،وحسنت احوالهم " (٧) .

اقام ابو احمد الموفق فى الاهواز بعد ذلك الى ان وطد اوضاعها ،واصلح اصحابه امورهم واعدوا ما احتاجوا اليه من آلاتهم (٨) . ثم عبر من الجانب

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج٧/٣٤٩ .
(٢) الطبرى : تاريخ ج٩/٥٧٦ .
(٣) الدورى : دراسات ص/٩٦ .
(٤) سوق الاهواز : مدينة من مدن الاهواز وهى مدينة كبيرة يخترقها عدد من الانهار . ياقوت : معجم ج١/٢٨٥ .
(٥) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحى خوزستان . ياقوت : معجم ج٣/١٧ .
(٦) الطبرى : تاريخ ج٩/٥٧٧ . (٧) ن.م.س. ج٩/٥٧٧ .
(٨) ابن ابى الحديد : شرح ج٨/١٧٩ .

الغربى من دجيل الاهواز قاصدا الموضع المعروف بنهر المبارك (١) فى فرات البصرة (٢) . فمر بقرية العباس ثم نزل قرية الجعفريةوكان الماء يشح بهـا فأمر ابو احمد الموفق بحفر الابار فيها ،كما وجد فى هذه القرية ميراكثيرة كان الزنج قد تركوها هناك فامر بتفريقها بين اهل القرية فاتسع الناس بها (٣) . ومن ثم رحل الموافق الى الموضع المعروف بالبشير فاقام به يوما وليلة ورحل فى آخر الليل الى نهر المبارك . وكان قد امر ابنيه ابا العباس وهارون وقائديه نصير وزيرك بان يسبقوه الى هذا الموضع قبل ان يعبر من دجيل الاهواز ، فاجتمعوا جميعا هناك فى ١٥ رجب عام ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م (٤) ،وكان ابو العباس قد قام ـ قبل التحاقه بالقادة واجتماعه بابيه ـ بحملة استطلاعية على معسكر صاحب الزنج (٥) استأمن له خلالها احد قادتهم المدعو"منتاب" ومعه جماعة من اصحابه فكان هذا اول من استأمن من قادة الزنج" ممـا كسر الخبيث واصحابه" (٦) .

بعد أن فتح الله تعالى على جيش الخلافة العباسية واسط والاهواز. تقلص سلطان الزنج من السواد والاهواز اذ اقتصر على مدينتهم (المختارة)(٧) وما جاورها من ارجاء نهر ابى الخصيب . ولما كان صاحب الزنج زنديقا، وهو بحكم المرتد عن الاسلام (٨) فقد كتب اليه الموفق ،مراعاة لتعاليم الشريعة

---

(١) نهر المبارك : من انهار البصرة العظام يقع فى شمال نهر ابى الاسد ويتفرع منه انهار كثيرة وآخره سكر طوله ستة فراسخ . سهراب : عجائب الاقاليم ص/ ١٣٦ .
(٢) مؤلف مجهول : العيون جـ ٤/ ٩٦ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٧٨ .
(٤) ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨/ص ص ١٧٩-١٨٠ .
(٥) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٣٥٠ .
(٦) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٨٠ .
(٧) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩/ ٥٩ ،ابو الفدا : المختصر جـ ١/ ٥٢ ، ابن الوردى : تتمة جـ ١/ ٣٥٨ .
(٨) ابن العماد : شذرات جـ ٢/ ١٥٦ .

الاسلامية ،" كتابا يدعوه فيه الى التوبة والانابة الى الله تعالى مما ركب من سفك الدماء وانتهاك المحارم واخراب البلدان والامصار، واستحلال الفروج والاموال ، وانتحال مالم يجعله الله له اهلا من النبوة والرسالة ، ويعلمه ان التوبة له مبسوطة ، والامان له موجود ،فان هو نزع عما هو عليه من الامور التي يسخطها الله ،ودخل في جماعة المسلمين محا ذلك ما سلف من عظيم جرائمه ، وكان له به الحظ الجزيل في دنياه "(١) . غير ان هذا الكتاب لم يلق اذنا صاغية من الخبيث صاحب الزنج الذى لم يزده ذلك الا نفورا وغرورا (٢) . والراجح ان الموفق قد قصد بجانب الواجب الشرعي ، ايصال اخبار سياسته في العفو الى القادة والجند مما كان له اثر كبير فيما بعد في توالى طلب الامان وبشكل متزايد .

سار ابو احمد الموفق الى المختاره فتعرف على مدى تحصينها ومنعتها (٣) ثم امر ابنه ابا العباس في اليوم السادس من قدومه بمناوشة الزنج الذين يدافعون عن الاسوار فحاربهم ابو العباس حربا شديدة حتى انهكهم ورأى صاحب الزنج من جده واجتهاده مالا عهد له به (٤) ، واستأمن الى الموفق مقاتلة سميريتين فأمنهم وخلع عليهم " وامر بادنائهم من الموضع الذى يراهم فيه نظراؤهم ،فكان ذلك من أنجع المكايد التي كيد بها الفاسق . فلما رأى الباقون ما صار اليه اصحابهم من العفو عنهم والاحسان اليهم رغبوا في الامان وتنافسوا فيه (٥) . وكان لحوادث الاستئمان اثره السيء على وضع

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٥٨١ .
(٢) مؤلف مجهول : العيون جـ ٤ / ٩٧ .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ / ٥٩ ، ابن الوردى : تتمة جـ ١ / ٣٥٨ ، ابن كثير : البداية جـ ١١ / ٤١ ،ابن خلدون : العبر جـ ٣ / ٣٢١ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٥٨١ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ٣٥١ ،ابن خلدون : العبر جـ ٣ / ٣٢١ .
(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٥٨٢ .

الزنج ليس من حيث زيادة عدد المنضمين الى الجيش العباسى فقط وذلك أسهم فى ترجيح الكفة كثيرا ، بل لاثر ذلك فى كشف الاسرار العسكرية لمدينة المختارة ولخطط الزنج ونواياهم ،ذلك ان المستأمنين كانوا على اطلاع كامل على ذلك وكان لذلك اكبر الاثر فى انهيار معنويات المحاربين الباقين من الزنج من جهة وعلى علاقة صاحب الزنج باتباعه من جهة أخرى ،اذ أصبح يشك فى ولاء اقرب الناس اليه . (١)

قرر الموفق نقل معسكره الى منطقة اقرب للمختارة ،فاختار موضعا على ضفة نهر جطى فى شرق دجله وهو على حيال النهر المعروف باليهودى ، وقد امر باصلاح الطرق وبناء القناطر على الانهار . وقد انتقل الجيش العباسي الى المعسكر الجديد حيث بقى حتى ١٤ شعبان عام ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م (٢) ثم انتقل الى معسكر آخر اقرب الى المختارة ، رأى انه اكثر صلاحا . ومن هناك اشرف على المدينة فرأى من مناعتها وكثرة مقاتلتها والمدافعين عنها الشيء الكثير . فقد كان منهم الضاربون بالسيوف والطاعنون بالرماح ورماة الاقواس والقاذفون بالمقلاع والرماة بالعرادات والمنجنيق والرماة بالحجارة فى ايديهم والمعتنون بالنمير والصياح المشاركون النساء فى ذلك (٣) ، ما جعله يؤمن بانه لا بد له من الصبر فى محاصرة صاحب الزنج واستعمال السياسة فى اضعافه (٤)" وتفريق اصحابه عنه ببذل الامان لهم والاحسان الى من اناب منهم والغلظة على من قام على غيه منهم (٥)" .

---

(١) الدورى : دراسات ص/ ٩٨ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ص ٥٨٣-٥٨٤ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٨٤ ،مؤلف مجهول : العيون جـ ٤/ ٩٤، ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٣٥٢ .
(٤) ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨/ ١٨٥ .
(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٨٥ .

فأمر بالنداء امام عسكر صاحب الزنج بأن الامان مبسوط للناس جميعهم اسود هم واحمرهم الا الخبيث صاحب الزنج (١) ، كما امر برمي رقاع الى معسكر صاحب الزنج مكتوب عليها وعده أيضا بالامان والاحسان لمن يأتيه منهم مستأمنا "فمالت اليه قلوب اصحاب المارق بالرهبة والطمع فيما وعدهم من احسانه ،وعفوه ،فأتاه في ذلك اليوم جمع كثير يحملهم الشذا اليه ،فوصلهم وحباهم ". (٢)

عزم أبو أحمد الموفق على الاقامة بازاء مدينة صاحب الزنج فبنى هناك المدينة التي دعاها الموفقيه (٣) في ١٥ شعبان عام ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م. واستمر في اكمال استعداداته فامر بعقد القناطر على الأنهار وقطع النهر (٤) الذي يمر بالمدينة ليوسعه بفرات البصرة بازاء مدينة الفاسق صاحب الزنج (٥) ، كما اهتم في جعل الموفقيه مدينة عظيمة لا تقل شأنا عن المدن الكبرى المعاصرة ليجتذب الجند والناس للاقامة فيها ، فعمم منشورا الى جميع عمال اقاليم الدولة العباسية في المشرق والمغرب يتضمن الامر "بانفاذ كل من يصلح للاثبات في الديوان ويرغب في ذلك" ، مما يشير الى رغبته في زيادة عدد افراد الجيش العباسي بشكل كبير وفي نفس الوقت فقد عزم على زيادة آليات الجيش ، اذ تشير المصادر الى انه "احتاج الى الاستكثار من الشذا وما يحارب به في الماء ،فأمر بانفاذ الرسل في حمل الميرة في البر والبحر وادرارها الى معسكره بالمدينة التي سماها الموفقيه ،وكتب الى عماله في النواحي في حمل الاموال الى بيت ماله في هذه المدينة ، وانفذ رسولا الى

---

(١) مؤلف مجهول : العيون ج ٤/ ٩٨ ، ابن كثير : البداية ج ١١/ ٤١ ، ابن خلدون : العبر ج ٣/ ٣٢٢ .
(٢) الطبري : تاريخ ج ٩/ ٥٨٤ .
(٣) ابن حمدون : التذكرة ج / ورقة ٢٠٣ ب ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٥/ ٥٩ .
(٤) وقد اطلق على هذا النهر اسم الموفقي ، وهو نهر كبير حفره الموفق قصبة اعلاه بزوفر وقصبة اسفله خسروسابور قرب واسط . ياقوت : معجم ج ٥/ ٢٢٥ .
(٥) الطبري : تاريخ ج ٩/ ٥٨٤ .

سيراف (١) وجنابا (٢) فى بناء الشذا والاستكثار منها لما احتاج اليه من ترتيبها فى المواضع التى يقطع بها المير عن الغائن واشياعه" (٣) . وسرعان ما نمت هذه المدينة فلم يمض شهر حتى وردت اليها المير متتابعة وقدم اليها التجار يحملون صنوف التجارات والامتعة من كل بلد (٤) . واعاد الموفق فتح طريق التجارة البحرية بعد ان قطعها الزنج قبل اكثر من عشر سنين ،كذلك بنى الموفق مسجدا جامعا وأمر الناس بالصلاة فيه و "اتخذ دور الضرب فضرب فيها الدنانير والدراهم فجمعت مدينة ابى احمد جميع المرافق وسبق اليها صنوف المنافع حتى كان ساكنوها لا يفقدون بها شيئا مما يوجد فى الامصار العظيمة القديمة ،وحملت الاموال وادر للناس العطاء فى اوقاته ، فاتسعوا وحسنت احوالهم ،ورغب الناس جميعا فى المصير الى المدينة الموفقية والمقام فيها" (٥) .

أما من الناحية العسكرية فقد حشد الموفق قواته وعنى بتدريبهم وتزويدهم بالاسلحة المتنوعة ،وامر بانشاء القناطر وقطع النهر ليوسعه بفرات البصرة بازاء مدينة صاحب الزنج (٦) . وهذا بلا شك يحتاج الى كثير من المهندسين والعمال الذين لعبوا دورا هاما فى توجيه نتائج هذه الحرب (٧) . ثم قام الموفق بتوزيع قواته توزيعا دقيقا فى منطقة واسعة جدا لتكون كماشة تحيط بمدينة الزنج (٨) .

---

(١) سيراف : مدينة جليلة على ساحل الخليج العربى . ياقوت : معجم ج ٣ / ٢٩٤ .
(٢) جنابا : بليده على ساحل الخليج العربى .القزوينى : اثار ص/ ١٨٠ .
(٣) الطبرى : تاريخ ج ٩ / ٥٨٥ .
(٤) ن .م.س ج ٩ / ٥٨٥ ، مؤلف مجهول ، العيون ج ٤ / ٩٩ .
(٥) الطبرى : تاريخ ج ٩ / ٥٨٦ . (٦) ن.م.س. ج ٩ / ٥٨٤ .
(٧) الدورى : دراسات ص/ ٩٥ .
(٨) الطبرى : تاريخ ج٩ / ٥٨٥ ،فيصل السامر: ثورة ص ص/ ١٤٠-١٤١ .

وفى الوقت ذاته استمر الموفق فى ضرب الحصار الاقتصادى على الزنج اذ وجد ان ذلك من انجع الطرق لاضعافهم تمهيدا للقضاء عليهم. (١)

كان صاحب الزنج يحاول جاهدا ان ينال فى هذا الوقت بشكل خاص من الجيش العباسى بغية رفع الروح المعنوية لجماعات الزنج المقاتلين معه ولذلك فقد ارسل فرقة من اشجع اصحابه اغارت على أطراف المعسكر العباسى بشكل مفاجىء فقتلوا واسروا ،فأمر الموفق بتشديد الحراسة على جميع نواحى المدينة بالشذا والسميريات. (٢)

ولما علم صاحب الزنج بقدوم قوافل الميرة من الاهواز وكورها ارسل قائده بهبوذ للاستيلاء عليها ،وقد كمن لها واستولى عليها بعد ان قتل الكثير من رجال القافلة واسر بعضهم ،فلما انتهى ذلك الى الموفق "غلظ عليه ما نال الناس فى اموالهم وأنفسهم وتجارتهم ، وامر بتعويضهم واخلف عليهم مثل الذى ذهب لهم "(٣) . وأمر بترتيب السفن الحربية مشحونة بالرجال على فوهات الانهار منعا لتكرار حدوث مثل ذلك ،وقد قلد امرها ابا العباس ابنه ، وامره ان يوكل بكل موضع يرد الى الفسقة منه ميرة من أجل ضمان احكام الحصار عليهم " فانحدر ابو العباس لذلك الى فوهة البحر فى الشذوات ، ورتب فى جميع تلك المسالك القواد ،واحكم الامر فى غاية الاحكام"(٤) .

وفى رمضان عام ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م ارسل صاحب الزنج احد قادته ويدعى صندل الزنجى على رأس فرقة مقاتلة للهجوم على معسكر نصيروزيرك (٥) ،غير أن

---

(١) الدورى : دراسات ص/ ٩٩ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٨٦ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٣٥٣ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٨٧ .
(٤) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٣٥٣ ، ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨/ ١٧٨ .
(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٨٧ .

هذه المحاولة قد فشلت اذ استطاعت قوات الخلافة العباسية ضد الهجوم وايقاع الهزيمة بهم وأسر قائدهم صندل الذى كان له ماض مثقل بالجرائم ، فقد كان "يكشف وجوه الحرائر المسلمات ورؤسهن ويقلبهن تقليب الاماء ، فان امتنعت منهن امرأة ضرب وجهها ودفعها الى بعض علوج الزنج يبيعهـــا بأوكس الثمن " ، فأمر الموفق برميه بالسهام ثم قتله (١) .

وفى رمضان ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م ندب الفاسق صاحب الزنج عددا كبيرا من اشجع اصحابه للقيام بهجوم ليلى (تبييت) على معسكر ابن احمـــد الموفق ، غير أن احد قادتهم واسمه مهذب استأمن الى الموفق قبيـــل الموعد المحدد للهجوم فاطلعه على نية رئيسه صاحب الزنج (٢) فأرســـل الموفق من حينه من يحاربهم ويمنعهم من العبور الى مدينته ،فلما علم الزنج بان خطتهم قد كشفت لاذوا بالفرار ،ثم طمع الكثيرون منهم فى الامام فاخذوا يتتابعون فى طلبه حتى كان من وافى معسكر الموفق منهم الى آخر شهـــر رمضان من هذه السنة يقدرون بخمسة آلاف مستأمن بين زنجى وغيره . (٣)

وفى شوال عام ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م جهز صاحب الزنج جيشا عهد بقيادته الى ابرز قادته المهلبى وامره بان يباشر فى محاربة قوات ابى احمد الموفق (٤). وقد عبر المهلبى الى شرق دجله وعبأ قواته ، وكانت خطته تتضمن بان يقسم الجيش الى قسمين ،يهاجم أولهما جيش الخلافة بينما يكمن القسم الثانى من الجيش بقيادة المهلبى شخصيا فى مؤخرة معسكر الموفق فى منطقة يسترهـــا

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٨٨ ، ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨/ ١٨٧ .
(٢) ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨/ صص ١٨٧-١٨٨ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٨٨ .
(٤) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٣٥٤ ، ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨/ ١٨٨ .

النخل مما يلي السبخة ،فاذا نشبت الحرب وانشغل جند الخلافة بقتال القسم المهاجم قام الكمين بمهاجمة المعسكر من الخلف وقتلوا حراسه ونهبوا ما فيه (١) . غير ان احد ملاحي الزنج استأمن الى الموفق فأخبره بتلك الخطة ، فسير الموفق ابا العباس الى حيث يكمن الزنج فانزل بهم هزيمة ساحقة " وشبط الطرق التي يسلكونها " (٢) .

دأب صاحب الزنج طوال الفترة السابقة على اخراج شذواته الى الجانب الشرقي من نهر دجلة للاغارة على تلك الجهات والاعاثة فيها ولقتال اصحاب الموفق المرابطين هناك (٣) . وقد حاول قادة هذه الشذوات استغلال قلة ما مع ابي احمد الموفق من سفن حربية فأخذوا يتعرضون لها وهي متفرقة ويستولون عليها الواحدة بعد الاخرى " فارتاع لذلك اهل عسكر الموفق . وخافوا ان يقدم على عسكرهم الزنج بما معهم من فضل الشذا " (٤) . ولكن هذا التفوق الذي اظهره الزنج سرعان ما قضي عليه اذ ما لبثت ان قدمت الشذوات التي كان الموفق قد أمر ببنائها في جنايا ،فعهد لابي العباس امر قيادتها ومحاربة الزنج بها " وقطع مواد المير عنهم من كل جهة " (٥) . فلما اقبلت شذوات صاحب الزنج " على عادتها التي كانت قد جرت عليها " حمل عليها ابو العباس حملة شديدة اذ جعل اصحابه " يرشقونهم بالسهام ويطعنونهم بالرماح ،ويقذفونهم بالحجارة " ،حتى انزلوا بهم هزيمة فادحة فغرقت لهم ثلاث شذوات وظفر ابو العباس بشذاتين بما فيها من المقاتلة والملاحين (٦) . ولم تكن هذه الهزيمة هي الكارثة الوحيدة التي نزلت بصاحب

---

(١) الطبري : تاريخ جـ ٩ / ٥٨٩ ،ابن خلدون : العبر جـ ٣ / ٣٢٢ .
(٢) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ٣٥٤ .
(٣) الطبري : تاريخ جـ ٩ / ٥٩١ ،ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ٣٥٤ .
(٤) الطبري تاريخ : جـ٩ / ٥٩١ .
(٥) الطبري : تاريخ جـ ٩ / ٥٩٢ .
(٦) ن.م.س. جـ ٩ / ٥٩٢ .

الزنج بل اخذ وجوه اصحابه وكبار قادته يطلبون الامان ، فكان منهم محمد ابن الحارث القمي " وكان اليه حافظ عسكر منكى والسور الذي يلي عسكر الموفق " (١) ، كما استأمن احمد المعروف بالبرذعي وكان من اشجع رجال صاحب الزنج ، وقائد آخر يدعى مهد وغيرهم فخلع عليهم الموفق ووصلهم بصلات كثيرة . (٢)

حاول صاحب الزنج ان يجد مخرجا من ضائقته الاقتصادية وذلك بعد أن انقطعت عنه جميع موارد الميرة ، فأرسل اثنين من رؤساء قادته ممن كان يعتمد عليهم ويثق بقدرتهم الحربية في عشرة آلاف من الزنج وغيرهم من الاعراب الى البطيحة للاغارة عليها وسلب طعام اهلها ومؤنهم (٣) " وليقطع عن عسكر الموفق ما يرده من الميرة وغيرها من مدينة السلام وواسط ونواحيها (٤) " غير ان ابا احمد الموفق اسرع بالتدخل اذ انتدب من قادته زيرك على رأس فرقة باسلة من الجند محمولة لقتالهم بمجرد علمه بذلك . وقد قاد زيرك السميريات والشذا المشحونة بالمقاتلين الى نهر الدير (٥) ، ولما لم يجدهم هناك جد في اللحاق بهم حتى التقى بهم بالقرب من نهر ابن عمر ، فحمل عليهم ووضع فيهم السلاح فقتل واغرق واسر خلقا كثيرا منهم واخذ من سفنهم حوالي اربعمائة سفينة (٦) .

---

(١) الطبري : تاريخ ج ٩ / ٥٩٢ .
(٢) ابن ابي الحديد : شرح ج ٨ / ص ص ١٨٩ - ١٩٠ .
(٣) ابن الاثير : الكامل ج ٧ / ٣٥٥ ، ابن خلدون : العبر ج ٣ / ٣٢٢ .
(٤) الطبري : تاريخ ج ٩ / ٥٩٤ .
(٥) نهر الدير : نهر كبير بين البصرة ومطارا بينه وبين البصرة نحو عشرين فرسخا ، وهناك ليد حسن يعمل به اكثر الغضار بنواحي البصرة .
ياقوت : معجم ج ٥ / ٣٢٠ .
(٦) ابن ابي الحديد : شرح ، ويبدو ان عدد السفن الوارد هنا كبير نسبيا ولعل المقصود هو الزوارق الجلدية الخفيفة التي كان الزنج يستعملونها والتي سبقت الاشارة اليها ج ٨ / ١٩٠ .

اشتد الحصار الاقتصادى على الزنج واخذت اثارة تظهر بوضـــــوح بمرور الزمن حيث اخذ عدد المستأمنة بالازدياد هربا من سوء الوضع المعاشى فجعلوا " يهربون من كل وجه ويخرجون الى ابى احمد فى الامان كلمـــا وجدوا اليه السبيل "(١) . وكانوا كثيرا ما يفضحون خطط صاحب الزنج لتبييت عسكر الموفق ، مما جعل صاحب الزنج يمتلىء رعبا وايقن بالهلاك ، ولذلـــك فقد اغلق جميع المسالك النافذة الى خارج المنطقة التى يسيطر عليها ، ووكل بفوهات الانهار حراسا وحفظه ، كل ذلك من اجل ان يمنع السفن التى تحمل المستأمنين من الخروج منها واللجوء الى جيش الخلافة . (٢) .

حصـــار المختارة وفتحهـــا :

استغرق حصار المختارة مدة طويلة استمرت بين عامى ـ ٢٦٧هـ ـ ٢٧٠هـ/ ٨٨٠م ـ ٨٨٣م ويرجع السبب فى ذلك الى حصانتها الشديدة(٣) ، وينقل الطبرى وصف حصانتها ومنعتها بانها قد احيطت بالاسوار والخنادق كما فى صعوبة الطرق المؤدية اليها " وما اعد من المجانيق والعرادات والقسى الناوكيـــة وسائر الآلات على سورها مالم ير ممن تقدم من منازعى السلطان "(٤) ولذلـــك كانت هجمات الموفق الاولى على مدينة الزنج تستهدف بالدرجة الاولـــى تخريب الاسوار والجسور والقناطر وازالة وسائل الدفاع الامامية ، وكانـــت النار اليونانية ورجمات الرصاص المذاب تستعملان فى الهجوم ، كمـــا أن

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٩٤ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٩٤ ، الدورى : دراسات ص/ ١٠٠ .
(٣) يذكر الذهبى ايضا وصف حصانتها بقوله : كانت احسن من احصن مدينة بنيت فى الدنيا . دول جـ ١/ ٦٤ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٨١ .

سفن الحريق كانت تستعمل لتخريب القناطر. (١)

وفى الرابع والعشرين من ذى الحجة عام ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م وجد الموفق ان الوقت قد حان للهجوم على المختارة (٢) فستعد للعبور اليها بجيشه اجمع " وامر ابا العباس وسائر القواد والغلمان بالتأهب للعبور ،وأمر بجمع السفن والمعابر وتفريقها عليهم" (٣). ثم تقدم الى المختارة " فى اكثف جمع واكمل عدة وأمر بحمل خيل كثيرة فى السفن" (٤). وقد تعمد الموفق توزيع قواته فى منطقة واسعة وذلك ليضطر الخبيث صاحب الزنج الى تفريق اصحابه (٥). فجعل ابنه ابا العباس على رأس الخيالة والفرسان فى مؤخرة نهر منكى فيشغل الزنج الذين كانوا يحرسون تلك المنطقة ، بينما أمر مولاه مسرور البلخى بقصد النهر الغربى ،وتقدم الى نصير بان يسير باسطوله الى فوهة نهر ابى الخصيب لمحاربة شذوات الخبيث فيها (٦). وبعد ان اتم الموفق توزيع قاداته سار هو بمن تبقى من جيشه الى ركن من اركان مدينة صاحب الزنج وكان قد حصنه واوكل ابنه انكلاى للدفاع عنه ، وامده بخيرة قاداته امثال على بن ابان وسليمان بن جامع وابراهيم بن جعفر الهمدانى (٧). فلما التقى الجمعان امر ابو احمد الموفق جنده بالعبور الى الركن الذى احتشد عليه الزنج وكان يفصل بينهما النهر المعروف بنهر الاتراك ، وبالرغم من انه كان نهرا عريضا سريع الجريان ،فان وجود الموفق بين جنوده ، ومخاطرته بنفسه فى التقدم الى المواقع الاولى قد ادى الى رفع معنويات

جـ

---

(١) الدورى : دراسات ص/ ١٠١.
(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٥/ ٥٩ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧/ ٣٥٦.
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٩٥.
(٤) ن.م.س. جـ ٩/ ٥٩٦.
(٥) ابن ابى الحديد : شرح جـ٨/ ١٩١.
(٦) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٩٦.
(٧) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٩٦ ،ابن خلدون : العبر جـ ٣/ ٣٢٣.

جنده كثيرا وبعث فيهم الحماس ،فقاموا بعبوره سباحة تحت وابل من السهام والمنجنيق والعرادات والمقاليع والحجارة التي كان الزنج يقذفونهم بها حتى انتهوا الى السور (١) حيث بادروا الى محاولة هدم ثلمة فيه وقد يسر الله لهم ذلك ، كما نهم استطاعوا بواسطة السلالم التي احضروها معهم من اعتـــلاء السور واشتبكوا مع الزنج المدافعين عنه في معركة عنيفة حتى كتب لهم اللـــه النصر فانزلوا بعد وهم الهزيمة وعندئذ " اسلم الفسقة سورهم ،وخلوا عنه" (٢) فاحرق الجند ما كان عليه من مجانيق وعرادات وغيرها من آلات الدفاع ، كما نصبوا عليه علما من اعلام الموفق (٣) . ويبدو ان ذلك كان اشعارا لباقــي المقاتلين بمباشرة الهجوم ،ذلك انه ما ان تم هذا النصر ،حتى امر الموفـــق بمد جسر - كان قد اعده من قبل لهذا الغرض على خندق المدينة فعبر عليه عامة الجيش ،وكان ذلك مفاجئة لم يتوقعها الزنج سببت لهم الاضطراب والفزع " فانهزموا عن سور لهم ثان قد كانوا اعتصموا به" (٤) . فدخل اصحاب الموفق المدينة وتوغلوا فيها حتى وصلواالى ميدانها الرئيسي فاحرقوا دار ابـــن سمعان كاتب صاحب الزنج ووزيره بالرغم من المقاومة الشديدة التي أبداهـــا الزنج دفاعا عنها ، واحرقوا كذلك منازل اخرى كثيرة للزنج ، وكادوا أن يأسروا القائد على بن ابان ولكنه " نجا بعد ان اشفى على الهلكة" (٥) فلما علـــم صاحب الزنج بنبأ هذه الهزيمة خرج بجيشة لقتال جند الموفق ، ولكنه لـــم يستطع الصمود امامهم ،ولولا انه هرب في الوقتالمناسب لكان قد أصــــبح

---

(١) موءلف مجهول : العيون ج٤/ ١٠٠ ،ابن الاثير : الكامل ج ٧/ ٣٥٧ .
(٢) الطبري : تاريخ ج ٩/ ٥٩٦ .
(٣) كان مكتوب عليها الموفق بالله . ابن ابى الحديث : شرح ج٨/ ١٩٢ .
(٤) الطبري : تاريخ ج ٩/ ٥٩٧ .
(٥) ن٠م٠س٠ ج ٩/ ٥٩٧ .

من عداد الهلكى فى ذلك الوقت[١] . وكان ذلك مع غروب الشمس فأمر الموفق اصحابه بالرجوع فعادوا" وقد " نالوا كل الذى احبوا منهم من قتل وجراح ، وتحريق منازل واسواق "[٢] . وقد كان على ما يبدو لهذه الهزيمة رد فعل عنيف على نفوس اتباع صاحب الزنج ، اذ هربت مجموعة كبيرة منهم كان من ضمنهم جماعة من الاعراب الذين بعثوا الى ابى احمد الموفق يطلبون الامان . فأمنهم وارسل اليهم سفنا حطتهم الى الموفقيه .[٣] . وكان ممن رغب فى الامان ايضا اثنان من كبار قادة صاحب الزنج ، وهما من اكابر اصحابه أولهما ريحان بن صالح وكان يتولى حجابة انكلاى ابن الخبيث صاحب الزنج[٤] . واما الثانى فهو جعفر بن ابراهيم المعروف بالسجان[٥] ، فأرسلا الى الموفق يطلبان منه ذلك فقبلهما الاخير وامر لهما بجوائز وصلات.[٦]

وفى ١٦ ربيع الثانى من عام ٢٦٨هـ/ ٨٨١م عبر الموفق الى المختارة مصطحبا معه ابنه ابا العباس وبعضا من جلة قادته فقام بتوزيعهم توزيعا دقيقا مستهدفا احاطة المدينة من جميع جهاتها وضم الى كل منهم مجموعة من العمال والنقابين وامرهم بهدم السور وان لا يدخلوا المدينة حتى يأذن

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٣٥٨ ،ابن خلدون : العبر جـ ٣/ ٣٢٣ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٩٨ .
(٣) ن.م.س. جـ٩/ ٥٩٨ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧/ ٣٥٨ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٥٩٩ .
(٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٥/ص ص ٦٣ - ٦٤ ،ابن كثير : البداية جـ ١١/ ٤٢ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣/ ٣٢٣ .
(٦) مؤلف مجهول : العيون جـ ٤/ ١٠١ .

لهم كما " تقدم الى الرماة ان يحموا بالسهام من يهدم السور وينقبه "(١) . وقد نجح هؤلاء القادة فعلا في ثلم السور ثلما كثيره ، فدخل الجند العباسي المدينة ، وتوغلوا فيها خلافا لاوامر الموفق وأخذوا يقتلون ويحرقون حتى تشعبت بهم الطرق (٢) فخرج عليهم الزنج من نواح يجهلونها فتقهقر اصحاب الموفق نحو دجله بعد ان اصيبوا بخسائر فادحة في الارواح والاموال والاسلحة (٣) . " فلامهم الموفق على مخالفتهم وعلى العجلة واجرى الارزاق على ذرية من قتل منهم فحسن ذلك عند الناس جدا "(٤)

شدد الموفق حصاره الاقتصادى على الزنج فقطع كل سبل الاتصال بينهم وبين المناطق الخارجية المحيط بهم (٥) ، وقد سبق ان اشرنا الى الاجراءات الصارمة التى اتخذت لمنع وصول التجارة اليهم ، كما منع وصول سمك البطيحة الى عاصمتهم . ولما علم الموفق بتردد الاعراب على المختارة حاملين الميرة من البادية الى الزنج أرسل من منعهم من ذلك (٦) ، وامر بانشاء سوق خاص لهم في البصرة ليمتاروا منه بما شاؤا من التمر (٧) ، وهكذا انقطعت سبل التموين عن الزنج برا وبحرا " فضاقت عليهم المذاهب ، واشتد عليهم الحصار " (٨) . وقد حاولت جماعة من اعراب بنى تميم خلال هذه المرحلة حمل المؤن من طعام وابل وغنم الى مدينة صاحب الزنج فهاجمهم رشيق

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٣٦٤ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦٠٢ .
(٣) ن.م.س. جـ ٩/ ٦٠٣ .
(٤) ابن كثير : البداية جـ ١١/ ٤٢ .
(٥) الدورى : دراسات ص/ ٩٩ .
(٦) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦٠٤ ، مؤلف مجهول : العيون جـ ٤/ ١٠١ .
(٧) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦٠٥ .
(٨) ن.م.س . جـ ٩/ ٦٠٦ .

مولى ابى العباس فقتل اكثرهم واسر جماعة منهم وحوى ما كان معهم من الميرة ، فأمر الموفق بتعليق رؤوس القتلى وصلب الاسرى ليلقى الرعب في قلوب من تسول له نفسه بمساعدة الزنج (١) . " فأضر بهم الحصار ، وأضعف ابدانهم فكان الاسير منهم يؤسر ، والمستأمن يستأمن فيسأل عن عهده بالخبر فيعجب من ذلك ، ويذكر ان عهده بالخبز منذ سنه وسنتين . (٢)

وكانت لسياسة الموفق هذه في احكام الحصار الاقتصادى على الزنج اثرها في زيادة عدد المستأمنه ، في حين اضطر اخرون الى التفرق " في القرى والانهار النائية عن معسكرهم في طلب القوت " (٣) فأمر الموفق ابنه بالمسير الى تلك النواحى ليحول دون رجوع الزنج الفارين الى المختاره . وقد حاول يهبوذ ، اكثر قادة الزنج معرفة بالطرق وأشدهم غارات على الجيش العباسى ، ان يكمن في طريق ابى العباس ليفاجئه غير انه رأى سميريه عباسيه فطمع في الاستيلاء عليها (٤) ، فحاربه مقاتلتها واصابته اثناء ذلك طعنة كانت فيها نيهايته " فعظمت الفجيعة به على الفاسق واوليائه ، واشتد عليه جزعهم " (٥)

ورأى الموفق انه يتعذر عليه العبور الى معسكر صاحب الزنج في الاوقات التى تهب فيها الرياح لاضطراب الامواج بشدة في دجله ، فعزم على انشاء معسكر جديد في الجانب الغربى من النهر بين دير جابيل ونهر المغيره ، فأمر بقطع النخيل وتحصين المكان بالاسوار والخنادق ليأمن اغارة الزنج

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٦٠٧ .
(٢) ن . م . س . جـ ٩ / ٦٠٨ ، ابن الجوزى : المنتظم ص / ٦٤ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٦٠٨ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ص ص ٦٠٩ - ٦١٠ ، مؤلف مجهول : العيون جـ ٤ / ١٠١ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣ / ٣٢٤ .
(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٦١١ .

عليه (١) . وقد جزع صاحب الزنج من مجاورة معسكر الموفق لمدينته لما سوف يدخله تقارب المعسكرين من الرهبة والخوف فى قلوب اصحابه ، فيؤدى ذلك الى " انتقاض تدبيره وفساد جميع اموره (٢) " . فأمر قادته بعرقلة اعمال البناء ، ثم انتهز فرصة هبوب الرياح فى بعض تلك الايام واشتدادها فسير جميع جيشه الى معسكر الموفق فى الجانب الغربى فانزلوا بمن فيه هزيمة فادحة وقتلوا واسروا الكثيرين . (٣) .

أدرك الموفق عندئذ استحالة الاقامة فى ذلك المعسكر لانه لا يؤمن فيه غدر الزنج لكثرة الادغال حوله " وصعوبة المسالك ، وان الزنج على التوغل الى المواضع الوحشة اقدر ، وهو عليهم اسهل من اصحابه " (٤) . وقد قصر الموفق اهتمامه على هدم سور المختارة وتوسعة الطرق والمسالك فكان يشرف بنفسه على عملية الهدم مما زاد فى جد اصحابه واجتهادهم (٥) . وقد تمكن جنده من قطع قنطرتين كبيرتين كانتا على نهر منكى باحد الانهار الفرعية ويقع بمحاذاة مدينة المختارة - وكان الزنج يسلوكنهما وقت استعار الحرب لمهاجمة مؤخرة الجيش العباسى (٦) . واخذ الموفق يشاغل الزنج بالمعارك ليصرفهم عن المدافعة عن سور مدينتهم مما يتيح لعمال الهدم والفعلة من معسكره فرصة الاسراع فى هدمه ، وقد تهيأت الفرصة لهم فى ذلك ، وأصبح الطريق مفتوحا امام قوات الموفق الى داخل المدينة فوصلت الى دارى ابن سمعان وسليمان بن جامع حيث تم هدمهما ، كما تم هدم دار الجبائى

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩/٦١٥ ، ابن ابى الحديد : شرح جـ١١٧/٨ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ٩/٦١٥ .
(٣) ابن ابى الحديد : شرح جـ١٩٨/٨ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ٩/٦١٦ .
(٥) مؤلف مجهول : العيون جـ٤/١٠١ ، ابن خلدون : العبر جـ٣/٣٢٤ .
(٦) ابن الاثير : الكامل جـ٧/٣٧٥ .

" وكان يتصل بهما خزائن لصاحب الزنج فانتهبها اصحابه ، كما هدموا سوق الميمونة المطلة على دجلة" (١) .

عني الموفق بهدم المسجد الجامع في المختارة ليظهر للزنج المخدوعين كذب ادعاءات صاحبهم ، فقد كان الخبيث صاحب الزنج - كما سبق وأن ذكرناه (٢) يتخذ من مزاعمه وادعائه النبوة ستارا لتحقيق اطماعه ولتحريض اتباعه على قتال الجيوش العباسية ، فلا غرابة اذن ان اشتدت محاماة الزنج عنه " حتى لقد كانوا يقفون الموقف فيصيب أحدهم السهم او الطعنة ، فيجذبه الذى جنبه ويقف موقفه اشفاقا من ان يخلو موقف رجل منهم ، فيدخل الخلل على سائر اصحابه" (٣) . فلما طال ذلك الوضع ارسل الموفق ابنه ابا العباس الى ركن من اركان المسجد وارفقه بمجموعة من الفعلة للهدم ثم امر بوضع السلالم على سور المدينة المقابل للمسجد ورتب عليها الرماة فجعلوا يرشقون الزنج المدافعين بالسهام من وراء السور مما سهل لابى العباس مهمته فهدم المسجد بعد معارك ضارية حيث حمل اصحاب ابى العباس منبره الى الموفق الذى انصرف به الى مدينته الموفقية جذلا مسرورا . (٤)

انكسار حدة القتال يؤخر سقوط المختارة :

كان هدم المسجد دافعا قويا للموفق ليستمر في خططه الخاصة بتدمير استحكامات الزنج ، فكان يبذل الاموال والمكافآت لمن يسارع في ذلك وقد حققت هذه

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ص ٦١٧-٦١٨ .
(٢) انظر الفصل الثانى الجزء الخاص بثورة الزنج ص/ ٧٦ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦١٨ .
(٤) ن . م . س . جـ ٩/ص ٦١٨-٦١٩ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٣٧٦ .

الخطط الكثير من النتائج الطيبة ،فقد هدم السور فيما بين دار انكلاى ودار الحبائى وما يليها من دواوين صاحب الزنج وبعض خزائنه حيث جرى انتهابها ثم احراقها بعد هدمها (١) . ولكن لم يلبث ان انتشر فى ذلك اليوم ٢٥ - جمادى الاولى عام ٢٦٩هـ/٨٨٢م ضباب كثيف ادى الى انعدام الرؤية " فما يكاد الرجل يبصر صاحبه "(٢) ومع ذلك لم يقصر هذا من همة الموفق فواصل عملية الهدم حتى ظهرت له فى ذلك اليوم " تباشير الفتح " غير أن ذلك لم يتحقق اذ انتهز عبد رومى كان من اتباع صاحب الزنج ويقال له قرطاس فرصة انتشار الضباب وانشغال جند الموفق بعملية الهدم ، فرمى الموفق بسهم اصابه فى صدره (٣) . ومع ذلك فقد ستر الموفق نبأ اصابته وعاد فى اليوم التالى الى القتال " على ما به من الم الجراح يشد بذلك قلوب اوليائه من ان يدخلها وهم او ضعف ،فزاد ما حمل نفسه عليه من الحركة فى قوة علته ، فغلظت وعظم امرها حتى خيف عليه "(٤) . ولذلك فقد احتاج علاجه الى الراحة التامة مما اعاقه عن الاشراف بنفسه على القتال ، وكان لانكسار حدة القتال فرصة مواتية امام الزنج لاعادة تنظيم قواتهم ودفاعاتهم مما أخر سقوط المختارة (٥) . وفى الوقت الذى كان فيه الموفق يعانى اشد الالام نتيجة اصابته الخطرة ، ونتيجة ما ترتب على ذلك من تأخير الانتهاء من خطر الزنج وصلته الانباء بمحاولة المعتمد على الله الالتحاق باحمد بن طولون . (٦)

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦١٩ .

(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦١٩ ,ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨/ ١٩٩ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦١٩ ، ابن كثير : البداية جـ ١١/ ٤٢ .

(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦١٩ .

(٥) ابن حمدون : التذكرة /ورقة ٢٠٤ أ

(٦) ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨/ ٢٠٠ .

اقترح البعض على الموفق التوجه الى سر من رأى من اجل احكام الامور ولكي يأخذ قسطا من الراحة والعلاج على ان " يخلف من يقوم مقامه ، فأبى ذلك ، وخاف ان يكون فيه ائتلاف ما قد تفرق من شمل الخبيث"(١) ، فأقام حتى شفي في شعبان ٢٦٩هـ/٨٨٢م وقد سبق ان تحدثنا عن تمكن عامل الخلافة على الموصل اسحاق بن كنداج من احباط خطة ابن طولون في نقل الخليفة الى الشام ، اذ استطاع احتجاز الخليفة في الرقة وهو في طريقه الى الشام ،ثم وكل من اعاده الى سر من رأى في شعبان ٢٦٩هـ/٨٨٢م.(٢)

عودة الموفق للتقال :

استغل صاحب الزنج فرصة انقطاع الحرب فأعاد " بناء بعض الثلم التي ثلمت في السور"(٣). فلما من الله على ابى احمد الموفق بالشفاء ، نهض مرة اخرى الى ميدان القتال ،وعبر بالشذا الى المختارة ،الامر الذى لم يستطع صاحب الزنج ان يصدقه فاخذ يحلف على منبره " ان ذلك باطل لا أصل له ، وان الذى رأوه في الشذا مثال موه لهم وشبه لهم"(٤). مما يشير الى مدى ما احدثته عودة الموفق من تأثير نفسي ،شديد التأثير سلبيا في قلوب وهمم الزنج . وقد خيب الموفق بالله ظن الخبيث صاحب الزنج فقد ساتأنف خططه السابقة وامر بهدم الثلم التي اعيد بناؤها في سور عاصمة الخبيث(٥) ،ثم سار الموفق بجميع جيشه الى السور الذى يلى نهر منكى وكان

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ٩/٦١٩.
(٢) ن.م.س. جـ٩/ص ٦٢٠-٦٢١ ،ابن الجوزى : المنتظم جـ٥/ص ٦-٦٦
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦٢٢ ،ابن حمدون : التذكرة /ورقة ٢٠٤أ
(٤) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٦٢٠.
(٥) ابن كثير : البداية جـ ١١/ص ٤٢-٤٣ .

الزنج قد احتشدوا هناك ظنا منهم بان اصحاب الموفق لن يقاتلوا الا فـــى هذا الموضع ،ولكن ما ان استعرت الحرب حتى انفصل الموفق بجزء مـــن الجيش تاركا القسم الاخر يقاتل الزنج حتى لا يفطنوا الى خطته الجديدة.(١)

سارع الموفق بالسير الى النهر المعروف بجوى كور وهو نهر يتفرع مـــن دجلة ويقع اسفل نهر ابى الخصيب ،فأخرج الفعلة فهدموا السور الذى يلى ذلك النهر وتمكنوا من القضاء على معظم المدافعين عنه (٢) ،فدخل الموفـــق واصحابه المدينة من تلك الناحية حتى انتهوا الى بعض قصور الفاسق صاحب الزنج فانتهبوا ما فيها واحرقوها ،واستنقذوا عددا من النساء الاسيرات فيها (٣) وأخذوا بعض خيول الزنج ،ومع غروب الشمس فى ذلك اليوم عاد الموفق الى مدينته" منتصرا سالما"(٤) ، ثم عبر فى اليوم التالى الى نفس ذلك الموضـــع من السور حتى لا يدع فرصة للزنج للمراحة او سد تلك الثغرات ، فاكمل الهدم حتى وصل الى دار انكلاى التى كانت متصلة بدار صاحب الزنج (٥) فلمـــا اعيت الحيل الخبيث فى الحيلولة دون **هدم السور، وفى منع أصحاب الموفق من** ولوج مدينته ،" اسقط فى يديه ،ولم يدر كيف يحتال لحسم ذلك"(٦) ، لو لا ان عمل بمشورة على بن ابان فاجرى المياه على السباخ التى كان يسلكهـــا خيالة ورجال الموفق ، وحفر الخنادق فى عدة مواضع ليعوقهم بها عـــن دخول مدينته ، فلما انتهى الموفق من هدم سور مدينة الفاسق ، اهتـــم بردم هذه الخنادق واصلاح الطرق غير ان حشود الزنج بادرت الى محاولة

---

(١) الطبرى : تاريخ ج٩/٦٢٢ ،ابن الاثير : الكامل ج٧/٣٧٧.
(٢) الطبرى : تاريخ ج٩/٦٢٢.
(٣) ابن الجوزى : المنتظم ج٥/٦٦ ، ابن كثير : البداية ج١١/٤٣ ، ابن خلدون : العبر ج٣/٣٢٤.
(٤) الطبرى : تاريخ ج٩/٦٢٢.
(٥) ابن الاثير : الكامل ج٧/٣٧٦.
(٦) الطبرى : تاريخ ج٩/٦٢٣.

منعه من ذلك ،وقد دارت بين الفريقين معركة عنيفة كثر فيها عدد القتلى والجرحى " وذلك لتقارب الفريقين فى وقت القتال ،ومنع الخنادق كل فريق منهم عن ازالة من بازائه عن موضعهم"(١). وعندئذ حاول الموفق الهجوم على قصر صاحب الزنج بالشذا عن طريق دجله ،غير أن كثرة التحصينات التى اقيمت حول القصر قد منعته من تحقيق هدفه ،فكان المدافعون عنه يرمون شذا الموفق كلما اقتربت منهم بالحجارة والنشاب والمقاليع والمجانيق والعرادات والرصاص المذاب(٢). ولكن الموفق لم يعدم الحيلة فقد لجأ الى اعداد ظلات من الخشب وضعها فوق الشذا بعد ان البسها جلود الجواميس ثم غطيت بالخيش المطلى ببعض العقاقير والادوية التى تمنع اشتعال النار. فرتب فيها الرماة ومجموعة من امهر النفاطين(٣)، ثم عبر بها يوم ١٦ شعبان ٢٦٩هـ/٨٨٢م الى مدينة الزنج " فى احسن زى واكمل عدة " مصطحبا معه سائر اصحابه ومواليه فى سميرياتهم وشذواتهم(٤). تيقن الموفق انه لا يمكن التوصل الى هدم قصر صاحب الزنج الا بعد ان يقضى على شدة القوى المدافعة عنه ،ولذلك فقد وجه ابنه ابا العباس على رأس مجموعة من المقاتلين الى دار محمد بن يحيى المعروف بالكرنبائى ، وهو بازاء دار الخبيث على الضفة الشرقية من نهر ابى الخصيب ليضرم النار فيها وما يليهما من منازل قادة الزنج(٥). وقد حققت هذه الخطوة اهدافها اذ انشغل القادة الذين حرقت منازلهم عن الالتفاف حول سيدهم. ثم امر الموفق بتحرك

---

(١) الطبرى : تاريخ ج ٩ / ٦٢٣.
(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٧ / ٣٧٨.
(٣) الطبرى : تاريخ ج ٩ / ٦٢٤ ،ابن خلدون : العبر ج ٣ / ٣٢٤.
(٤) الطبرى : تاريخ ج ٩ / ٦٢٤.
(٥) ن.م.س ج ٩ / ٦٢٤ ، ابن ابى الحديد : شرح ج ٨ / ٢٠٢.

الشذا المظلله تجاه قصر صاحب الزنج وكانت تحمل المجموعة الاولى من المقاتلين ، فبدأ هؤلاء بالرواشين والابنية المطلة على دجلة فحاربوا الزنج المدافعين وكانت شذواتهم المظلله تقيهم من ضربات الزنج والرصاص المذاب ، فلما وجد الزنج ان مقاومتهم لا جدوى منها اضطروا الى التخلى عن مواضعهم فأشعل الجند العباسى النار فى تلك المبانى .(١) ثم أمرهم الموفق بالرجوع لانتهاء المرحلة الاولى من المهمة ولما يتطلبه الامر من جهد متواصل الى تبديل المقاتلين . فعادت الشذا بذلك مرة اخرى الى قصر صاحب الزنج تحمل مقاتلين آخرين كانت مهمتهم احراق البيوت التى كانت تطل على نهر دجله من قصر صاحب الزنج . ففعلوا ذلك ،فاضطرمت النار عندئذ واشتدت وأخذت تلتهم القصر بما يحويه (٢) ، مما جعل صاحب الزنج يخرج هاربا لا يلوى على شىء تاركا امواله وذخائره (٣) . واصيب ابنه انكلاى فى ذلك اليوم اصابة بليغة جعلته على حافة الهلاك ،فنال الفاسق فى ذلك اليوم " مثل الذى اصاب المسلمين منه من الذعر والجلاء وتشتيت الشمل والمصيبة فى الاهل والولد (٤)" فدخل جند الموفق القصر وانتهبوا " ما لم تأت النار عليه من الامتعة الفاخرة والذهب والفضة والجوهر والحلى وغير ذلك واستنقذوا جماعة من النساء اللواتى كان الخبيث استرقهن" (٥) . ثم اتموا ايضا احراق سائر دور الخبيث صاحب الزنج ودور ابنه انكلاى . (٦)

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦٢٥ ،مؤلف مجهول : العيون جـ ٤/ ١٠٣ .
(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦٢٥ .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٥/ ٦٦ ، مؤلف مجهول : العيون جـ ٤/ ١٠٣ ، ابن كثير : البداية جـ ١١/ ٤٣ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦٢٦ .
(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦٢٥ .
(٦) ن.م.س. جـ ٩/ ٦٢٥ .

وفي اليوم التالي الذى صادف ٢٠ شعبان عام ٢٦٩هـ/أمر الموفق القائد نصير امير السفن العباسية بالخروج لقطع قنطرة كان صاحب الزنج قد أنشأها على نهر ابن الخصيب ليصل بين ضفتيه الشرقية والغربية . وفي نفس الوقت هيأ الموفق مجموعتين من المقاتلين وكلفهما بمهمة اسناد وحماية قوات نصير اثناء قيامه بالمهمة الموكلة اليه (١) ،غير أن نصير تسرع في دخول النهر دون ان يختار الوقت المناسب ،ولما كان المد في اوج قوته فقد جرف شذوات نصير حتى الصقها بالقنطرة ، كما اصطدمت به بقية الشذاء، فلما رأى الزنج ذلك تكاثروا عليه وعلى اصحابه واحاطوا بهم من جانبي النهر(٢) . حاول الموفق انقاذ الموقف فدخل بنفسه مع من معه من القوات النهر لينجد نصيرا واصحابه ، غير ان الزنج كانوا قد تمكنوا من قتل اكثر اصحاب نصير بينما غرق الاخرون ،وظل نصير يقاتل ببسالة ولكنه خاف ان يقع في الاسر فالقى بنفسه في النهر فغرق (٣) . وقد انتقم الموفق من هؤلاء الزنج فظل يقاتلهم طيلة يومه ذلك وينهب ويحرق منازلهم . ولما حاول سليمان بن جامع ان يمنع الموفق من ذلك اصابته هزيمة فادحة فقد تم قتل واسر معظم اصحابه بل ان سليمان بن جامع نفسه كاد ان يقع في الاسر لولا ان دافع عنه بعض اصحابه فنجى بعد ان اصيب بجروح وحروق بليغة في جسده (٤) . وعاد الموفق الى معسكره ظافرا سالما بعد ان اخذ بثأر اصحابه ، غير انه لم يلبث ان اصابه مرض داء المفاصل فاعاقه عن متابعة القتال حوالي شهرين (٥) . ولعل السبب

---

(١) الطبري : تاريخ ج٩/٦٢٦،ابن خلدون : العبر ج٣/٣٢٥ .
(٢) ابن الاثير : الكامل ج٧/٣٨٠ .
(٣) الطبري : تاريخ ج٩/٦٢٧ ،ابن الاثير :الكامل ج٧/٣٨١ .
(٤) الطبري : تاريخ ج٩/٦٢٧ .
(٥) ابن ابي الحديد : شرح ج٨/٢٠٣ .

المباشر لتوقف القتال يكمن في ما اصاب الجيش العباسي من خسارة في المعارك التي ذهب ضحيتها القائد نصير[١] الذي كان يتولى امرة القوات النهرية ، ولا شك في ان مثل هذه الخسارة قد اوهنت الجيش العباسي كثيرا ولا بد أن يكون لذلك اثر كبير في معنويات الجند وعزائمهم . ولعل الموفق قد وجد أن من الحكمة ان يتوقف عن مباشرة القتال لكي يتيح للجند قسط من الراحة والهدوء الضروريين في الحرب ،في الوقت الذي تتاح له فرصة التعويض عن الخسائر التي اصابت قواته ، ولنتذكر بان انتاج السفن المختلفة واعداد الملاحين والمقاتلين يتطلب بالتأكيد قسطا طويلا من الوقت . وهكذا فقد اسعفت الظروف صاحب الزنج للمرة الثانية واتيحت له الفرصة لتقوية وسائل دفاعاته فقد أعاد بناء القناطر والسدود على نهر ابي الخصيب وزاد في احكامها ليمنع تقدم سفن وشذوات الجيش العباسي[٢] ،كما انشأ جسرين ضخمين على هذا النهر وبرجين آخرين عند فوهة النهر ليضيق المدخل ويشتد جريان الماء فيه فاذا دخلت فيه السفن صعب اخراجها[٣] . غير ان الموفق ما ان شفي حتى تمكن في ١٠ شوال عام ٢٦٩هـ/٨٨٢م من تدمير القناطر والبرجين بعد ان فتك بالحامية التي تقوم بحمايتهما[٤] . ثم امر بالكتابة " الى النواحي بما هيأ الله له من الفتح والظفر ليقرأ بذلك على المنابر وامر باثابة المحسنين من غلمانه على قدر غنائهم وبلائهم وحسن طاعتهم ،ليزداد وبذلك جدا واجتهادا في حرب عدوهم "[٥] .

---

(١) مؤلف مجهول : العيون جـ ٤/ ١٠٤ .

(٢) الطبري : تاريخ جـ ٩/ ٦٢٨ .

(٣) ن.م.س. جـ ٩/ ٦٢٨ ، ابن كثير : البداية جـ ١١/ ٤٣ .

(٤) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٣٨٢ .

(٥) الطبري : تاريخ جـ ٩/ ص ٦٢٩-٦٣٠ .

وفى ١٤ شوال ٢٦٩هـ/٨٨٢م صمم الموفق على تدمير الجسر الاول لانه كان يساعد على سرعة انتقال الزنج ونجدة بعضهم بعضا (١). فخرج بالشذا والسميريات مصطحبا معه النفاطين والالات التى يقطع بها الجسور ، وكان قبل مسيره فى النهر وجه قائدين من قادته احدهما الى الجانب الشرقى والاخر الى الجانب الغربى من نهر ابى الخصيب لحمايته من اغارة الزنج عليه . وقد تمكنت هذه القوات من انزال هزيمة فادحة بقائدى الخبيث اللذين اوكل اليهما حراسة الجسر والدفاع عنه وهما ابنه انكلاى وقائده سليمان بن جامع . فى الوقت الذى ضرب فيه الموفق الجسر بالنار" وطرح عليه القصب وما كان اعد له من الاشياء المحرقة" (٢) ، مما عجل فى احتراقه . ثم تجاوزه الى مصنع سفن صاحب الزنج فاحرقه عن آخره (٣) وبذلك انصرف الموفق الى الموفقيه وجميع اصحابه سالمين" وأتى الموفق بعدد كثير من رؤوس الفسقة ، فاثاب من اتاه بها ، واحسن اليه ووصله" (٤) . ولما اعيت الحيل صاحب الزنج واسقط فى يده واحرقت قصوره انتقل الى الجانب الشرقى من نهر ابى الخصيب دون ان يهمل الجانب الغربى ولذلك اخذ يشدد حراسته على الجسر الثانى لادراكه ما يترتب عن قطعه من الضرر به . فكان الموفق بعد احراقه الجسر الاول يعبر يوميا الى الجانب الغربى من ذلك النهر ليقف على المسالك والطرق التى كانت مجهولة عنده من معسكر صاحب الزنج (٥) . فلما تعرف على

---

(١) الطبرى : تاريخ ج ٩ / ٦٣٦ .
(٢) ن . م . س : ج ٩ / ٦٣٧ .
(٣) ن.م.س. ج ٩ / ٦٣٧ ، ابن خلدون : العبر ج ٣ / ٣٢٦ .
(٤) الطبرى : تاريخ ج ٩ / ٦٣٨ .
(٥) ابن الاثير : الكامل ج ٧ / ٣٧٨ .

طبيعة الارض ومسالكها وما يحتاج اليه من تعبئة لاحتلالها" عزم على القصد لاحراق الجسر الثانى ليحوز الجانب الغربى من عسكر الخبيث وليتهيأ لاصحابه مساواتهم على ارض واحدة لا يكون بينهما فيها حائل غير نهر ابى الخصيب" (١) . فوضع خطته بحيث يطوق هذا النهر من جانبيه الشرقى والغربى بمجموعة من قادته ،فوجه ابنه ابا العباس على رأس جيش يتكون من عشرة آلاف مقاتل الى الجانب الغربى وامر زيرك ان يسير فى المقدمة ليستطلع الطريق لابى العباس فيأمن بذلك كمائن الزنج (٢) . كما امر بتوزيع بعض القادة ومجموعات من الجند على الكثبان والتلال المطلة على الجسر بعد أن زودهم بالمعاول والفؤوس والمناشير ومجموعة من النفاطين وأمرهم أن يقطعوا ويحرقوا كل ما تمكنوا منه . اما مولاه راشد والذى كان معه عدد من الجند يماثل ما مع ابى العباس تقريبا فقد احاط باصحابه الجانب الشرقى من نهر ابى الخصيب متهيئا لمحاربة من يدافع عن الجسر من الزنج . (٣) وبعد أن اطمأن الموفق الى دقة توزيع اصحابه ،قاد الشذا التى كان قد رتب فيها مجموعة من ابطال غلمانه وجنده ، واعد معهم كل ما يحتاجون اليه من الآلات التى يقطع بها الجسر . وبعد معركة عنيفة ضد الزنج استمرت قرابة ثلاث ساعات انهزم الزنج لا يلوون على شىء ، وكثر فيهم القتل ، واضرم اصحاب الموفق النار فى الجسر . وقد حاول انكلاى وسليمان بن جامع وهما جريحان ان يعبرا الى الجانب الشرقى من نهر ابى الخصيب فحالت النار بينهما وبين الجسر فالقيا نفسيهما فى النهر وكذلك فعل من تبقى من جيشهما ، فغرق منهم خلق كثير وافلت انكلاى وسليمان بن جامع (٤) . وأوغل جيش

---

(١) الطبرى جـ تاريخ جـ ٩/ ٦٣٩ .

(٢) ن.م.س. جـ ٩/ ٦٣٩ .

(٣) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٣٨٨ .

(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ص ص ٦٤٠-٦٤١ ،ابن خلدون : العبر جـ٣ / ٣٢٦

الموفق فى نواحى مدينة صاحب الزنج من الجانبين" فاحرقوا من دورهم وقصورهم واسواقهم شيئا كثيرا ،واستنقذوا من النساء المأسورات والاطفال مالا يحصى عدده "(١) وكثرت فى ذلك الوقت حوادث استئمان كبار قادة الزنج ،فقد استأمن الى الموفق محمد بن سمعان كاتب صاحب الزنج ووزيره فى ١٨ شعبان ٢٦٩هـ/٨٨٢م (٢) . بل ان انكلاى نفسه تقدم بطلب الامان غير ان والده عزله وثناه عن عزمه (٣) ،ثم ارسل سليمان ابن موسى الشعرانى قائد مؤخرة جيش صاحب الزنج يسأل الامان ،فتردد الموفق فى اجابته لما عرف عنه من الاسراف فى العبث وسفك الدماء ، فاستوحش الزنج ذلك فقبل ابو احمد الموفق منحه الامان (٤) . وبالتحاق الشعرانى لجيش ابى احمد اختل جيش صاحب الزنج وضعف امره (٥) ، اذ عهد باعمال الشعرانى الى شبل بن سالم (٦) . غير ان شبلا نفسه لم يلبث ان استأمن ايضا فى نفس اليوم الذى تولى فيه عمل سليمان بن موسى الشعرانى . فعظم ذلك على صاحب الزنج " وعلى اوليائه لما رأوا من رغبة رؤسائهم فى الامان" (٧) .
ولما تبين للموفق اخلاص شبل له كلفه بان يرد بعض كيد صاحب الزنج عنه ،

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/٦٤١.
(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦٧/٧ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٣٨٧/٧.
(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦٧/٥.
(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٩/٦٤٢.
(٥) ن.م.س. جـ ٩/٦٤٣.
(٦) شبل بن سالم : كان من عدد الخبيث وقدماء اصحابه وذوى الغناء والبلاء فى نصرته . الطبرى : تاريخ جـ ٩/٦٤٣.
(٧) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ص ص ٣٨٩- ٣٩٠.

فضم شبل الزنج المستأمنة اليه لمعرفتهم بالطرق والمسالك ، وقصد موضعا يعسكر فيه جمع كثيف من الزنج مع قادتهم فاوقع بهم وقتل وأسر الكثيرين منهم واستولى على اسلحتهم (١) . فادخلت هذه الوقعة الذعر الشديد فى نفوس الزنج فشددوا الحراسة على معسكرهم " حتى لقد كان ضجيجهم وتحارسهم يسمع بالموفقية" (١) . ثم اخذ الموفق بعد ذلك يكثر من ارسال السرايا ليزيد فى رغبهم وليتعرف على دقائق مسالكهم وليدرب اصحابه على التوغل فى مدينتهم . (٣)

وفى شوال عام ٢٦٩هـ/٨٨٢م رأى الموفق ، بعد ان اتم احتواء الجانب الغربى من نهر ابى الخصيب ان يبدأ فى الهجوم على الجانب الشرقى منه حيث تحصن صاحب الزنج ،فأمر باحراق دار الهمدانى ، وهى دار محصنة بالاسوار العالية وعليها العرادات والمجانيق ، فاتصلت النار الى ما حولها من الدور (٤) . واستأمن عدد كبير من خاصة غلمان الزنج فدلوه على مكان سوقهم الرئيسية ،فهاجمها الموفق من ثلاثة اوجه وحاول الزنج الذين كانوا بقيادة المهلبى وانكلاى وسليمان بن جامع الدفاع عنها غير انهم فشلوا اذ تمكن جيش الموفق من احراقها . وقد ادى ذلك الى جلاء التجار الذين كانوا فيها (٥) . ومن ثم جد الموفق فى هدم السور فيما بين نهر جوى كور الى النهر الغربى لان السور فى هذا الموضع يحمى اكثر منازل الزنج (٦) .

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ص ٦٤٣-٦٤٤ .
(٢) ن.م.س. جـ ٩/ ٦٤٤ .
(٣) مؤلف مجهول : العيون جـ ٤/ ١٠٥ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦٣٢ ،ابن خلدون : العبر جـ ٣/ ٣٢٥ .
(٥) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٣٨٤ .
(٦) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦٣٤ .

عاد الموفق الى تطبيق خطته الخاصة بتوزيع قواته فى منطقة واسعة ليعمل على تشتيب جهود الزنج ويقلل من تركيزهم فى الدفاع عن هذا الجزء من السور. وقد نجحت الخطة وتم هدم السور فى ذلك الموضع كما تم احراق منازل الزنج خلفه حيث غنم جند الموفق ما فيها . (١)

الهجوم الاخير وسقوط المختارة :(ذى القعدة ٢٦٩هـ - محرم ٢٧٠هـ/ مايو ٨٨٢م- اغسطس ٨٨٣م) :

اقتنع الموفق بأن الوقت قد حان لشن الهجوم الاخير على مدينة الزنج فجمع المستأمنة فى ذى القعدة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م وذكرهم بفضله واحسانه وان ذلك يوجب عليهم طاعته والاجتهاد فى مجاهدة عدوهم " وانهم من الخبرة بمسالك عسكر الخبيث ومضايق طرق مدينته والمعاقل التى اعدها للهرب اليها على ما ليس عليه غيرهم ،فهم احرياء ان يمحضوه نصيحتهم ، ويجتهدوا فى الولوج على الخبيث والتوغل فى حصونه ،حتى يمكنهم الله منه ومن اشياعه ، فاذا فعلوا ذلك فلهم الاحسان والمزيد " . فشكروه واقسموا له انهم سيبذلون دماءهم فى كل ما يقربهم منه . (٢)

أمر الموفق بجمع السفن والمعابر من دجلة والبطيحة وجميع النواحى القريبة ليزيد بها من قوة اسطوله الذى اصبح يتكون من عشرة آلاف ملاح ، بالاضافة الى السفن التى تنقل الركاب والمؤن (٣) والسميريات (٤)

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ص ص ٦٣٥-٦٣٦ .
(٢) ن.م.س. جـ ٩/ص ص ٦٤٤- ٦٤٥ .
(٣) ن.م.س. جـ ٩/ ٦٤٥، ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٣٩١ .
(٤) السميريات : ضرب من السفن الحربية . ابن منظور: لسان العرب جـ ٤/ ٢٧٨ .

والزواريق (١) والجريبيات التي ملئت بالملاحين فكان عدد قطعه النهريـــة ١٥٠ سفينة (٢) ، ثم انه قسم المشاة الى فرق وقيادات .

قاد ابو العباس فرقة يبلغ عدد افرادها ثمانية آلاف جندي وكانت مهمته تقتضي بالمسير الى الجانب الغربي من نهر ابي الخصيب ليقضي على حامية الزنج التي تعسكر بجانب دار المهلبي وذلك من اجل ان يحمي مؤخـــرة قوات ابيه الموفق . وامر الموفق مولاه راشد بالمسير لمهاجمة الجانـــب الشرقي على رأس الفرقة الثانية التي كانت تتألف من حوالي عشرين الــف مقاتل . كما اعد الموفق فرقة ثالثة لتسير بمحاذاة نهر ابي شاكر اسفل نهـــر ابي الخصيب ، وفرقة رابعة لترابط على فوهة نهر جوي كور . وأوعز الى الجميع بالزحف باتجاه قصر الخبيث صاحب الزنج " فتكون ايديهم يدا واحد علـــى الفسقة" (٣) . فتقدم الجميع في يوم الاثنين ٧ ذي القعدة ٢٦٩هـ/ ١٩مايـــو ٨٨٢م برا وبحرا (٤) . فكان مجموع المقاتلين من فرسان ورجاله ما يزيـــد على خمسين الف مقاتل . (٥)

عسكر الموفق بازاء قصر الفاسق صاحب الزنج حيث اهتم بان يكون معسكره على مساحة كبيرة من الارض فبنى هناك قصرا وميدانا لعرض الرجال والخيل . كما قام بتوزيع الشذا بعد ان رتب فيها المقاتلين من اول معسكر صاحب الزنج

---

(١) الزواريق : نوع من السفن ومفردها زورق ، وهو القارب الصغير . ابن منظور : لسان العرب جـ ١٠/ ١٤٠ .

(٢) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٣٩١ .

(٣) الطبري : تاريخ جـ ٩/ ٦٤٦ .

(٤) ن.م.س. جـ ٩ / ص ٦٤٦ - ٦٤٧ ، فيصل السامـــر : ثورة ص/ ١٤٨ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم جـ ٥ / ٦٧ .

الى آخره لتكون حصنا للجيش من ورائهم هذا عدا الفرسان والرجالة الذين أمرهم بالمرابطة على جانبي نهر ابى الخصيب ، وكان يستهدف من ذلك ابطال ما كان الخبيث يعد به اصحابه من مرونة فى الحركة وسرعة الانتقال عن الموضع ،وقد قصد الموفق بالله ان يعلم الجميع " انه غير راحل حتى يحكم الله بينه وبين عدوه . (١)" وفى اليوم التالى تقدم الموفق لقتال صاحب الزنج بعد ان وجه كل رئيس من رؤساء قواده الى الموضع الذى حدد له (٢) ، فتلقاهم صاحب الزنج فى جيشه واشتبك الطرفان فى معركة عنيفة استمات الزنج فيها فى الدفاع عن قصر قائدهم وزعيمهم الا ان ذلك لم يغن عنهم شيئا (٣) ،اذ هزموا وقتل منهم خلق كثير ،وقد قصد الموفق بجمعه قصر صاحب الزنج واستولى عليه وانتهب غلمانه ما كان سلم من مال صاحب الزنج واثاثه وسبوا اهله (٤) . " وكانوا اكثر من مائة بين امرأة وصبى "(٥) فى حين لجأ صاحب الزنج واكثر من نجا من اصحابه الى قلعة اخرى وهى دارالمهلبى فدارت هناك معركة اخرى كاد فيها الزنج ان يوقعوا بالجيش العباسى هزيمة فادحة ،ذلك ان جند الموفق بعد ان هزموا الزنج ظنوا انهم لن يعودوا الى القتال مرة أخرى ،فانشغلوا بجمع الغنائم وحطها فانتهز الزنج فرصة انشغالهم " فخرجوا عليهم من عدة مواضع ، وخرج عليهم كمناء ايضا قد كانوا كمنوهم لهم" (٦) فجعلوا يقاتلونهم حتى ردوهم عن مواقعهم.(٧)

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/٦٤٧.
(٢) ن.م.س. جـ ٩/٦٤٧.
(٣) مؤلف مجهول : العيون جـ ٤/١٠٥.
(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٥/٦٧ ،ابن الاثير : الكامل جـ ٧/٣٩٢.
(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٩/٦٤٨.
(٦) ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨/٢٠٧.
(٧) الطبرى : تاريخ جـ ٩/٦٤٨.

لولا ان ثبت بعض قادة الموفق فى جماعة من ابطال غلمانهم ، فحثهم الموفق بان يحطوا جميعهم على الزنج حطة صادقة ، ففعلوا ذلك " فانهزم الزنج واخذتهم السيوف حتى انتهوا الى دار الخبيث" وعندئذ امر الموفق اصحابه بالرجوع الى سفنهم واقام فى النهر" ومن معه فى الشذا يحميهم حتى دخلوا سفنهم ، وادخلوا خيلهم ، واحجم الزنج عن اتباعهم لما نالهم فى آخر الوقعة "(١) .

وقد أقدم ابو احمد الموفق بعد ذلك على اتخاذ خطوة كبيرة عطت على زلزلة اركان قوة الزنج ، فقد نجحت قواته فى احراق معظم مخازن التموين التى كانت آخر موارد قوات صاحب الزنج ، فكان " ذلك من اقوى الاشياء على ادخال الضعف على الفاسق واصحابه".(٢) ثم وردت للموفق فى هذا الوقت نجدات جديدة اذ قدم صاعد بن مخلد فى الثانى من ذى الحجة ٢٦٩هـ/٨٨٢م بعشرة آلاف مقاتل (٣) ، كما ان لؤلؤ قائد شمال سورية التابع لاحمد بن طولون قد اعلن انفصاله عن طاعة ابن طولون وانضم الى جيش الخلافة بعد مفاوضات ناجحة مع الموفق (٤) . وقد وصل لؤلؤ بقواته فى الثانى من محرم ٢٧٠هـ / ٨٨٣م " بجيش عظيم من الفراعنة والاتراك والروم والبربر والسودان وغيرهم "(٥) كما تتابعت على الموفق ايضا الميرة والاموال من جميع النواحى حتى رخصت

---

(١) الطبرى : تاريخ ج٩/ ٦٤٩ .

(٢) الطبرى : تاريخ ج٩/ ٦٤٩ ، ويصف ابن الرومى حالة صاحب الزنج أثناء الحصار الاقتصادى فيقول من قصيدة طويله :

حصرت عميد الزنج حتى تخاذلت ... قواه واودى زاده المستزود
فظل ولم تقتله يلفظ أنفاسه ... وظل ولم تأسره وهو مقيد

ابن الرومى : الديوان ج١/ ٥٩٦ .

(٣) ابن أبى الحديد : شرح ج٨/ ٢٠٧ .

(٤) انظر الكندى : الولاة ص/ ٢٢٤ ، مؤلف مجهول : العيون ج٤/ ١٠٦ ، ابو الفدا : المختصر ج١/ ٥٣ ، ابن كثير : البداية ج١١/ ٤٤ .

(٥) الطبرى : تاريخ ج٩/ ص ص ٦٤٩-٦٥٠ .

الاسعار فى الموفقية . ووفد عليه كثير من المتطوعة الراغبين فى الجهاد فى سبيل الله مثل احمد بن دينار عامل ايذج فى الاهواز ومعه كثير من الفرسان والرجاله . كما وصل فى الوقت نفسه الفا رجل من اهل البحرين والف رجل من كور فارس ، وكذلك تتابع المتطوعة من جميع البلدان الاخرى . (١) وفى ٢٧ محرم ٢٧٠هـ/ ٧ اغسطس ٨٨٣م كان الهجوم العام على مدينة صاحب الزنج (٢) شرق نهر ابى الخصيب وغربه وكان الموفق قد اختار ان يكون اكثر جيشه من المشاة " لضيق المواضع التى كان يحارب فيها وصعوبتها وكثرة الخنادق والانهار بها " (٣) . ونشر قواته على جبهة واسعة ، ثم امر الجميع بالزحف الى حصن صاحب الزنج فى وقت واحد عند اعطائهم اشارة الزحف وهى تحريك علم اسود منصوب على دار الكرنبائى و النفخ فى بوق عالى الصوت (٤) ، وهكذا استعد الجميع ودارت معركة فاصلة كثر فيها القتلى من الفريقين وقد كان النصر فى نهايتها للجيش العباسى حيث ولى الزنج منهزمين ، واتبعهم اصحاب الموفق يقتلون ويأسرون ، بعد ان تم فتح مدينة الزنج بأسرها ، وظفروا بجميع ابناء على بن ابان واخويه الخليل ومحمد واهل سليمان بن جامع حيث اسروا وتم نقلهم الى الموفقية . (٥) وهرب صاحب الزنج وقادته فتحصنوا بموضع على نهر السفيانى - احد فروع نهر ابى الخصيب - كان قد اعده ملجأ اذا ما اضطر للخروج عن مدينته . (٦)

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ص ٦٥٤ - ٦٥٥ .
(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٥/ ٦٩ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦٥٥ .
(٤) ن . م . س . جـ ٩/ ٦٥٥ .
(٥) ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨/ ٢٠٨ .
(٦) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٤٠١ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣/ ٣٢٨ .

نهاية صاحب الزنج :

اقام الموفق فى معسكره عدة ايام لاصلاح ما يحتاج اليه فلما اتم استعداده للحرب مرة اخرى خرج الى نهر ابى الخصيب فى الثانى من صفر ٢٧٠هـ/ ١١ أغسطس ٨٨٣م فانتظر فى الشذا ليحمى ظهور جنده اثناء عبورهم من السفن الى الضفة الغربية من النهر ،فلما اخذ الفرسان والرجالة مراكزهم امر بان تعاد السفن الى الضفة الشرقية حتى تنقطع "اطماع الذين يريدون الرجوع عن حرب الفاسق من ذلك" (١) فلا يكون امامهم عندئذ سوى الاجتهاد فى قتال الخبيث واعوانه . ثم زحف الجميع والموفق فى المقدمة حتى انتهوا الى حيث يتحصن صاحب الزنج واتباعه . وكان صاحب الزنج قد استغل فرصة انصراف الجيش العباسى من المختارة فعاد اليها على امل ان يستطيع المدافعة عنها (٢) ،غير ان آمله لم تدم اذ هجم عليهم جيش الموفق فحطم مقاومته واصحابه وانزلوا بهم هزيمة ساحقة اسروا خلالها سليمان بن جامع وابراهيم بن جعفر الهمدانى ونادر الاسود وهم من اخلص قادة صاحب الزنج (٣) . وبالرغم من هذه الهزيمة فقد ظل الزنج الذين التفوا حول رئيسهم يقاتلون بضراوة مما حدى بالموفق الى الاستماتة فى القتال فى هذه المعركة (٤) ، فقد كشف عن رأسه " وقاتل حاسرا وجعل ينادى : أنا الغلام الهاشمى " (٥) واستمر على ذلك حتى جاءه البشير بمقتل صاحب الزنج واتاه احد غلمان لوءلوء برأسه (٦) . وهكذا تكللت جهود ابى احمد

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦٥٨ .
(٢) ابن ابى الحديد : شرح جـ ٨/ ٢٠٩ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦٥٩ ،ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ ٤٠٣ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦٥٩ .
(٥) ابن دحيه : النبراس ص/ ٩٠ .
(٦) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦٥٩ .

الموفق بهذا النصر المبين ،وعندها خر ساجدا لله فسجد معه سائر قادته وجنوده (١) ،وعم الناس الفرح الشديد (٢) بما فتح الله على المسلمين من نصر موءزر مجيد ، ثم انصرف الموفق من نهر ابى الخصيب ورأس صاحب الزنـــج منصوب على قناة فى شذاة وسليمان بن جامع والهمدانى مصلوبان حيـــين ، فى شداتين الى جانبه حتى وافى قصره بالموفقيه (٣) . وتسارعت الاحداث بعد ذلك فقد استسلم آلالاف من الزنج حيث امنهم الموفق . ثم ظفر بالمهلـــبى وانكلاى (٤) . كما استأمن زنجى يدعى درمويه كان يكمن مع شرذمة من الزنج الادغال فى البصرة المتصلة بالبطيحة فيقطعون الطريق ويغيرون على القرى . فلما قتل صاحب الزنج اضطر درمويه الى طلب الامان (٥) . فى حين فـــرت مجموعة اخرى من الزنج تبلغ زهاء الف زنجى الى القفار " فمات اكثرهم عطشا ، فظفر الاعراب بمن سلم منهم واسترقوهم" (٦) . وبذلك عادوا الى الرق مرة أخرى .

وهكذا انتهت ثورة الزنج بعد ان تركت وراءها اثارا فظيعة من التدمير والتخريب (٧) ،وبعد ان استهلكت الكثير من قوى الخلافة الاسلامية الاقتصادية والبشرية اذ أن غارات الزنج على منطقة السواد بصفة عامة (٨) ادى الـــى

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦٩/٥ ،الذهبى : العبر جـ ٤٢/٢ ، ابن كثير : البداية جـ ٤٤/١١ ، ابن العماد : شذرات جـ ١٥٦/٢ .

(٢) ابن الوردى : تتمة جـ ٣٥٩/١ ، ابن كثير : البداية جـ ٤٤/١١ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٦٦٠/٩ ، ابن ابى الحديد : شرح جـ ٢١١/٨ .

(٤) ابن الاثير : الكامل جـ ٤٠٢/٧ ،ابو الفدا : المختصر جـ ٥٣/١ ، ابن كثير : البداية جـ ٤٤/١١ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣٢٨/٣ .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٦٦٢/٩ .

(٦) الطبرى : تاريخ جـ ٦٦١/٩ .

(٧) الدورى : دراسات ص ١٠٥ .

(٨) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣٦٨ ،ابن ابى الحديد : شرح جـ ١٨٢/٨ .

تعطيل الزراعة والتجارة ،فكان تخريبهم للمدن التجارية الهامة مثلا الابلة وعبادان (بين سنتى ٢٥٥-٢٥٦هـ/٨٦٨-٨٦٩م) (١) ثم البصرة فى عام ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م (٢) والتى تعد من اهم مراكز التجارة فى العراق وبخاصة التجارة الشرقية (٣) وقطعهم للمواصلات البرية والبحرية قد تسبب فى خسائر فادحة لخزانة بيت المال . ولم تعد الحياة للتجارة البحرية الا بعد أن فتح الموفق طريق شط العرب وذلك بعد ان قطعه الزنج لمدة عشر سنوات (٤) . كما ان الزنج الذين فرضوا سلطانهم على مناطق شاسعة من سواد العراق لم يكتفوا بالنهب بل " جعلوا يخربون كل ما وجدوا الى تخريبه سبيلا " (٥) فاتلفوا الاراضى الزراعية وهدموا السدود مما ادى الى تدهور الزراعة فى هذه المنطقة التى كانت من اغنى مناطق العالم المعروف فى انتاجها الزراعى (٦) ، كما ان سكان هذه المناطق هربوا بخياتهم الى بغداد بعد ان لاقوا من الزنج شتى انواع الرعب والاهوال . (٧) وعلى كل حال فان نزوحهم الى بغداد قد اضاف الى الخلافة العباسية أعباءا مالية جديدة .

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٧/ص ٢٣٦-٢٣٧ ،ابو الفدا : المختصر جـ ٤٨/١ .

(٢) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٤٨١ ،الذهبى : العبر جـ ١٣/٢ .

(٣) محمد سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٤٢ .

(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٥٨٦/٩ .

(٥) الطبرى : تاريخ جـ ٥٦٣/٩ .

(٦) Samarraie, Agricultule in Iraq, p. 13.

(٧) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٥/ ٥٤ ،الذهبى : العبر جـ ٢٧/٢ ، اليافعى : مرآة جـ ١٧٩/٢ ،ابن العماد : شذرات جـ ١٤٧/٢ .

ان الخسائر التى نجمت عن ثورة الزنج لا يمكن ان تحدد بشكل دقيق ولا سيما من الناحية البشرية وقد قدر المؤرخون عدد من ذهب ضحيتها بنحو مليون ونصف المليون (١) . كما كان لضخامة عدد الموتى وانتشار الجثث اثره على الصحة العامة فى مدن العراق اذ ادى ذلك الى انتشار الاوبئة والامراض " فهلك منها خلق كثير ببغداد وواسط ، وسامراء وغيرها " (٢) . كما انتقل المرض الى الحيوانات المساعدة فى الزراعة مما ادى الى زيادة الامور سوءا . ومن اهم الاثار التى نجمت عن ثورة الزنج ما حصل من تحلل لجسم الخلافة الاسلامية ، ومع الاعتراف بالوحدة الظاهرية ، فان انشغال الموفق بقتال الزنج شجع على اشتداد حالة النزوع نحو الانفصال وبالتالى على تجزئة الدولة الاسلامية ، فلقد وجد الطامعون فى السلطة فى ذلك فرصة ملائمة لتحقيق مطامعهم الذاتية ، بل وتهديد الخلافة العباسية فى عقر دارها فى بعض الاحيان . ولعل خير دليل على ذلك ما اقدم عليه يعقوب بن الصفار فى توجيهه نحو بغداد نفسها فى احلك ظروف كانت تمر بها الخلافة " (٣) ولذلك اضطربت الاطراف فى تلك الفترة فكان الناس " فى البلاد تحت حكم الخليفة جميعها فى شدة عظيمة بتغلب القواد وامراء الاجناد على الامر وقلة المراقبة والامن من انكار ما يأتونه ويفعلونه لانشغال الموفق ولعجز الخليفة المعتمد واشتغاله بغير ذلك " (٤) .

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٥ / ٧٠ ، ابن الطقطقى : الفخرى ص/ ٢٥٠ الذهبى : دول جـ ١ / ١٦٤ ، اليافعى : مرآة جـ ٢ / ١٨٢ .

(٢) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ٢٥٦ .

(٣) ابن ماجه : تاريخ الخلفاء ص/ ٤٦ ، الذهبى : العبر جـ ٢ / ٢٤ ، اليافعى : مرآة جـ ٢ / ١٧٥ .

(٤) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ / ٣٣٦ ، ابو الفدا : المختصر جـ ١ / ٥٢ .

اصدر الموفق منشورا الى العالم الاسلامى يتضمن البشرى " بالنداء في اهل البصرة والابلة وكور دجلة واهل الاهواز وكورها واهل واسط ومسا حولها مما دخله الزنج بقتل الفاسق وان يؤمروا بالرجوع الى اوطانهم" (١) . وهكذا نص المنشور على البشرى بقتل صاحب الزنج وانتهاء الفتنة والارهاب ويهيب بالمهاجرين من اهل المناطق المنكوبة الى الرجوع الى مدنهم وقراهم واريافهم من اجل اعمارها واصلاحها واستعادة قدرتها على الانتاج ، فسارع الناس بالرجوع الى بلادهم (٢) . واقام الموفق بالموفقية حتى وطد أوضاع تلك البلاد الداخلية فولى عليها ولاة وقضاة عرفوا بحسن السيرة ، وعمهـا الامن والعدل . (٣)

عاد الموفق الى بغداد منتصرا ظفرا ، واضفى عليه اخوه الخليفة المعتمد على الله لقب ((الناصر لدين الله)) (٤) ويبدو انه اشركه في الدعاء بعد خطبة الجمعة والعيدين في المساجد الجامعة فكان الخطباء يقولون : " اللهم اصلح الامير الناصر لدين الله ابا احمد الموفق بالله ولى عهد المسلمين اخا امير المؤمنين" (٥) كما افاض شعراء العصر فى مدح الموفق

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/٦٦٣ .
(٢) اليافعى : مرآة جـ ٢/١٨٢ ، السيوطى : تاريخ ص/٣٣٧ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩/٦٦٣ .
(٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٥/١٢١ ، ابن العمرانى : الانباء ص/١٣٧ ، الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١٦١ ، ابن الابار : الحلة السيراء ص/٢٨٨ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢٣٣ ، العصامى المكـى : سمط النجوم جـ ٣/٣٤٩ .
(٥) الخطيب البغدادى : تاريخ جـ ٢/١٢٧ ، الكازرونى : مختصر ص/١٦١ ، ابن دحيه : النبراس ص/٩٠ ، السامرائى : المؤسسات ص/٣٧-٣٨ .

وما حققه من الانتصارات مثل ابن الرومي [١] وابن المعتز [٢] ويحيى بن محمد الاسلمي [٣] ويحيى بن خالد [٤] .

---

(١) يقول ابن الرومي في مدح الموفق :

ابا احمد ابليت امة احمـــد بلاء سيرضاه ابن عمك احمـــد
حقنت دماء المقر والعقير بعد ما هريقت حراما والخليون رقـــد
وامنت ليل الخائفين : فهاجـد وشاكر نعمى قائم بتهجـــد

ابن الرومي : ديوان ج ٢ / ٥٩٥ .

(٢) وقد صور ابن المعتز بطولة الموفق في ارجوزة شعرية منها :

قد جرب الحروب حتى شابـــا فان دعاه حادث اجابـــا
لا عاجز الرأى ولا بليـــدا لكن شجاعـــا يخضب الحديدا
فلم يزل عاما وعاما ثانيـــا وثالثا يكابـــد الدواهيـــا
مجاهـــدا برأيـــه ونصلـــه وماله وقولـــه وفعلـــه

ابن المعتز : ديوان ص / ٤٨٦ .

(٣) كما قال يحيى بن محمد الاسلمي تعبيرا عن سروره بانتصار الموفق :

اقول وقد جاء البشير بوقعـــة اعزت من الاسلام ما كـــان واهيـــا
تفرد اذ لم ينصـــر الله ناصـــر بتجديد دين كان اصبح باليـــا

الطبري : تاريخ ج ٩ / ص ص ٦٦٣-٦٦٤ .

(٤) اما يحيى بن خالد فقد قال في الموفق +

يا ابن الخلائف من ارومـــة هاشم والغامرين النـــاس بالافضـــال
والذائدين عن الحريم عدوهـــم والمعلمين لكل يـــوم نـــزال
ملك أعاد الديـــن بعد دروسه واستنقذ الاسرى من الادغـــال
انت المجير من الزمـــاء اذا سطا واليك يقصد راغب بســـؤال

الطبري : تاريخ ج ٩ / ٦٦٤ .

الخاتمة

نتائج البحث

الى هنا أكون قد ألقيت عصا الترحال في دراسة شخصية أبو أحمد الموفق بالله الذي تناولت خلالها أوضاع الخلافة العباسية في الفترة التي سبقت ظهور الموفق وبالتالي تبين لنا دوره ومدى تأثيره في تطورات الأحداث . ولعل من أهم نتائج عهد الموفق بالله هي :

١ ـ امتناع الجيش من العودة الى التدخل في السياسة :

تميزت الفترة السابقة لعهد الموفق باستبداد قادة الجند الأتراك بالسلطة مستهدفين تحقيق أطماعهم واشباع رغبتهم في السيطرة . وقد عظم نفوذهم في الدولة خلال فترة الفوضي الي درجة أنهم أخذوا معها يتدخلون في اختيار الخليفة أو يقررون خلعه. وهكذا فقد لعب قادة الجند الدور الرئيسي في توجيه أمور الدولة في تلك الفترة التي امتدت لمدة تسع سنوات (٢٤٧-٢٥٦ هـ / ٨٦١ - ٨٦٩ م) . ولكنهم توقفوا عن التدخل بمجيء أبي أحمد الموفق الذي تمكن كما يبدو وبما لديه من حزم ومقدرة عسكرية من أن يسيطر على قادة الجيش بعد توليه القيادة بوقت قصير (١) ، فعمل على ابعادهم عن شئون السياسة والادارة وعلى توجيههم الى عطهم

---

(١) سبق وأن تحدثنا في القسم الأول من الفصل الثاني عن الأسباب التي أدت الي خضوع الجند الأتراك والتزامهم بالطاعة والولاء لسلطة الخلافة .

الأساسي لما يحقق مصلحة الخلافة ومقاومة الأخطار المحيطة بهـــا . ولعل احساس أولئك القادة بالخطر المشترك الذى يهدد هم والخلافة بالزوال وكذلك الخطر الناجم عن استمرار المنافسة بينهم ، اضافـــة الى أن القائد العام الجديد أمير عباسي حازم قوى الشخصية وهــو ليس واحداً من بينهم لينافسوه ، بجانب حزمه وبعد نظره وحنكتـه . كل ذلك كان من العوامل التى دفعت الى وقوفهم صفاً واحداً تحـت امرته فى مجابهة الأخطار بعيدا عن السياسة ومخاطرها .

٢ - عودة الولايات الى تبعيتها للمركز :

لقد كان لضعف الخلافة الناجم عن استبداد قادة الجند وتحكمهم فى المركز وانشغال الخلفاء بمقاومة ذلك ، بالاضافة الى نزوع أمـراء الأقاليم نحو الانفراد بالسلطة بعيدا عن تأثير العاصمة ، من العوامل التى عجلت بعملية تجزأة الدولة العباسية التى فقدت عمليا قوتهـا وتماسكها ووحدتها ، وقد نجم عن ذلك أن تقلص ظل الخلافـــة الفعلى عن حدودها الخارجية السابقة ، وان كانت الوحدة الظاهرية للدولة الاسلامية قد استمرت اسميا حتى مع وجود حركات الانفصـال وبروز دور المراكز الاقليمية الجديدة والأمراء المتغلبين ، وقد سيطـر يعقوب بن الليث الصفار على سجستان ثم توسعت أطماعه فتمكن من اقامة امارة خاصة به متسعة الأرجاء في المشرق حيث امتد سلطانـه على معظم بلاد فارس وخراسان بل انه خرج عن حد المعقول فـــي علاقته مع الخلافة اذ وقف منها موقف التحدى والمواجهة . ومن ناحية

أخرى تمكن أحمد بن طولون من الاستقلال بمصر وأخذ يقوى سلطانه لدرجة أنه أغرى الخليفة المعتمد على الله بفكرة الانتقال الى الشام لينتقل منها معه الى مصر مؤملا نقل الخلافة الى مصر لكي تصبح لابن طولون زعامة العالم الاسلامي نظراً لضعف شخصية الخليفة . وقد نجح الموفق فى انقاذ الخلافة من خطر الصفاريين بعد أن هزمهم هزيمة منكرة ،(١) كما تمكن من احباط خطة أحمد بن طولون فى نقل الخلافة ، وفي النهاية عقد مع الطولونيين صلحا ضمن فيه الموفق الحد من توسعهم كما تضمن الاتفاق اعادة سيادة الخلافة على مصر والشام . وبذلك عادت الأقاليم المنفصلة بفضل جهود الموفق تحت سيطرة الحكومة المركزية من جديد ، وعادت وحدة الدولة الاسلامية وتماسكها من جديد .

٣ - استقرار وضع الخلافة والتأكد من ترابطها مع الأمة :

كانت الفوضى المريعة التى عاشتها الخلافة العباسية قد شجعت بجانب ما سبق على قيام ثورات داخلية عنيفة استهدفت الاطاحة بها ، تمثلت فى تمرد الزنج . وفي حركات القرامطة والخوارج ، غير أن ما يعنينا هو آثار تمرد الزنج اذ تمكن الزنج فى غياب قوة الخلافة من الاستيلاء على مدن لها أهميتها الاستراتيجية مثل البصرة والأهواز ثم واسط . مما أثر تأثيرا سيئا جدا على اقتصاديات السواد انعكس

---

(١) كان ذلك في معركة دير العاقول التي جرت بين الطرفين فى ١١ رجب عام ٢٦٢هـ/٨٧٥م . أنظر تفصيل ذلك فى القسم الثالث من الفصل الثالث .

ذلك على موارد بيت المال في الدولة. ذلك أن غارات الزنج على منطقة السواد بصفة عامة وتدميرهم السدود والقنوات والقرى قد أدى الى تدهور الزراعة فى المنطقة ، كما أن تخريبهم للمدن أدى الى تعطيل التجارة فانقطعت بذلك التجارة الشرقية عن بغداد حوالي عشر سنوات . ثم أن سكان هذه المناطق قد نزحوا الى بغداد هربا بحياتهم من الفظائع التى كان الزنج يرتكبونها فى حقهم. فكان انتقالهم الى بغداد قد أضاف أعباءا مالية جديدة على الخلافة العباسية بالاضافة الى المشاكل الأخرى. ولكن الموفق تمكن بما أتاه الله من حنكة وخبرة عسكرية عظيمة والتفاف الأمة حوله قد أكسبه دعما معنويا عاليا تمثل فى تحطيم تمرد الزنج واستئصال شافتهم وقتل صاحبهم علي بن محمد وتدمير معاقلهم. وقد صدر من الخليفة في العاصمة منشور عمم الى أبناء الأمة الاسلامية في جميع الأمصار بنقل البشرى بقتل صاحب الزنج وانتهاء الفتنة ويأمر أهل السواد والبصرة والأهواز وغيرها من المدن والقرى بالرجوع الى مدنهم وقراهم. وبذلك عم الاستقرار والأمن أرجاء الخلافة العباسية .

٤ - حالة الانتعاش التى شهدتها الخلافة في عهد المعتضد والمكتفى :

لم يغفل أبو أحمد الموفق رغم انشغاله بالقضاء على الحركات المناوئة لسلطان الخلافة العباسية ، عن تحسين أوضاع الجهاز الادارى في الدولة فلم يتوان عن الضرب علي يد العابث مهما ارتفعت مكانته ،

كما عمل على اشاعة العدل ورفع المظالم.[(١)] فكان لقوة الدولة سياسيا واستقرارها اداريا نتائج ايجابية على الوضع الاقتصادى بعد ذلك . وقد جنى الخليفة المعتضد ثم المكتفى نتائج جهود الموفق اذ شهدت الخلافة في عهديهما فترة انتعاش عام انتظمت فيها الأحوال الادارية وعادت هيبة الوزراء وسيطرتهم على السياسة العامة ، كما انتهت الأزمات المالية .[(٢)]

٥ - بروز دور أبو العباس أحمد تحت امرة والده ثم توليه القيادة بعد وفاة أبيه :

كان أبو العباس من أبرز الشخصيات بعد الموفق ، وقد لعب دورا مهما في قيادة الجيش والقتال خلال حرب الزنج . وعندما انتشرت جيوش صاحب الزنج في منطقة السواد حتى صارت على مقربة من عاصمة الخلافة " وخيف على ملك بني العباس أن يذهب وينقرض "[(٣)] لم يجد الموفق - الذى كان مشغولا باعداد الرجال والأموال لمواجهتهم في معركة حاسمة - بدا من ارسال ابنه أبا العباس ، الذى توسم فيه على ما يبدو صفات القيادة والادارة ، لقتالهم . فخرج أبو العباس بجيشه في أكمل عدة في ربيع الأول ٢٦٦هـ/٨٧٩ م[(٤)]

---

(١) أنظر التنوخي : نشوار المحاضرة جـ١/ ٢٥٥ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٧ / ٤٤٣ ؛ ابن كثير: البداية جـ ١١/ ٦٣.

(٢) الدورى : دراسات ص/ ٢٩ .

(٣) ابن أبي الحديد : شرح جـ ٨/ ١٦٥.

(٤) الطبرى : تاريخ جـ٩/ ٥٥٧ ، ابن الأثير : الكامل جـ٧/ ٣٣٨ ، ابن أبي الحديد : شرح جـ ٨ / ١٦٥.

وقد أظهر الى جانب حنكته فى القيادة جرأة وشجاعة[١] ، فكان لا يغفل ليلا ولا نهارا ، واذا أمكنه قصد ناحية أوقع بها وبمن فيها من الزنج[٢] . وبهذا أثبت لهم خطأ نظرتهم اليه بأنه " فتى غر لم تطل ممارسته الحروب "[٣] . ولذلك ظل الزنج طوال مدة تولية القيادة للايقاع به ، غير أنه تمكن من أن يفسد عليهم خططهم ويحقق الانتصار عليهم فاسترجع جميع المواقع التى كان سليمان بن جامع قد استولى عليها من قرى كور دجلة[٤] " ووقع في قلوبهم الرعب من أبى العباس "[٥].

كان أبو العباس " أجود أصحابه رميا عن القوس وأقواهم عضدا فكان اذا رأى الزنج علامة سهمه انهزموا "[٦] ، وهذا ما حدث عندما فتح قرية الصينية في السواد اذ عرض عليه طائر فرماه بسهم أصابه وسقط في يد الزنج المحاصرين فى داخل القرية فلما علموا من موضع الاصابة أنه سهم أبي العباس زاد ذلك من رعبهم " فكان ذلك سببا لانهزامهم يومئذ "[٧] . ولما قدم الموفق ليشرف شخصيا على سير المعارك في ربيع الأول ٢٦٧هـ/٨٨٠م[٨] ولي ابنه مقدمته بعد أن أثنى عليه وعلى أصحابه لما بذلوه من جهد وبلاء ضد الزنج[٩] .

---

(١) الدورى : دراسات ص / ٩٤ .
(٢) مؤلف مجهول : العيون جـ ٤ / ٩٩ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٥٥٩ .
(٤) ن.م.س : جـ ٩ / ٥٥٧ ؛ ابن الأثير : الكامل جـ ٧ / ٣٣٨ .
(٥) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٥ / ٣٤ .
(٦) مؤلف مجهول : العيون جـ ٤ / ٩١ .
(٧) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٥٦٤ .
(٨) ن.م.س : جـ ٩ / ٥٦٦ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٧ / ٣٤٣ .
(٩) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٥٦١ ، مؤلف مجهول : العيون جـ ٤ / ٩٢ .

ومنذ ذلك الوقت أصبح أبو العباس الساعد الأيمن لأبيه أبو أحمد الموفق وهذا ما يتضح من متابعة جميع المعارك التى دارت بين الجيش العباسى والزنج . وعندما أشرف الموفق على المختارة ورأى من منعتها وحصانتها أمر ابنه أبا العباس بالقيام بحملة استطلاعية على أسوار المدينة فتقدم أبو العباس بشذواته حتى اقترب بها من سور قصر صاحب الزنج فحارب المدافعين عنه حربا شديدة وتتابعت عليه " سهامهم وحجارة مجانيقهم وعراداتهم ومقاليعهم ورمي عوامهم بالحجارة عن أيديهم ، حتى ما يقع ناظر من الشذا على موضع الا رأى فيه سهما أو حجرا".[1] وثبت أبو العباس فرأى العلوى من صبره وثبات أصحابه مالم ير مثله من أحد ممن حاربهم".[2]

ساعد أبو العباس في تشديد الحصار الاقتصادى على الزنج فكان يعمل بمساعدة غيره القادة على الايقاع بالاعراب الذين كانوا يتعاونون مع الزنج ويحملون الميرة وأنواع التجارات اليهم.[3] وقطع جميع الطرق التى تربطهم بالخارج " فلم يكن لهم سبيل الي بر ولا بحر.[4] وبذلك كان لأبي العباس - وهو تحت قيادة أبيه - دورا مهما في اضعاف صاحب الزنج وأعوانه . ولما علم أبو العباس بوجود مزارع تمد صاحب الزنج وأصحابه بما يحتاجون اليه من المحصولات الزراعية في ناحية النهر الغربي ، استأذن والده في تخريبها ، فأذن له " وأمره باختيار الرجال وأن يجعلهم شجعاء

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٥٨١ .
(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٧ / ٣٥١ .
(٣) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٦٠٣ ، ابن خلدون : العبر جـ ٣ / ٣٢٧ .
(٤) الطبرى : تاريخ جـ ٩ / ٦٠٦ .

أصحابه وغلمانه[1]. وقد توجه أبو العباس الى النهر الغربى فجعل القائد زيرك في كمين من خيرة رجاله في غرب ذلك النهر، وأمر مولاه رشيق أن يفاجىء الزنج من ظهورهم ويوقع بهم فاذا حاولوا الفرار خرج عليهم زيرك بكمينه فيقضي عليهم.[2] فلما نفذت هذه الخطة وقع الرعب في قلوب الزنج وحاولوا عبور النهر لينجوا بأنفسهم الى معسكر سيدهم صاحب الزنج. غير أن أبا العباس لم يدع لهم الفرصة اذ اقتحم النهر بشذواته بعد أن بث رجاله على ضفتي النهر فلحقوا بهم وقتلوا وأسروا منهم خلقا كثيرا فلم ينج منهم الا الشريد. وقد غنم أصحاب أبي العباس أسلحتهم التى بلغت من كثرتها أنهم اضطروا الى القاء معظمها فى النهر. وبذلك عاد أبو العباس الى الموفقيه بعد أن "انقطع عن الفسقة ما كانوا يرتفقون به من المزارع التى كانت بالنهر الغربى".[3]

ان الذى يتتبع أحداث المعارك فى المرحلة الأخيرة من مراحل الصراع مع صاحب الزنج، والتى انتهت بالقضاء عليه وعلى أعوانه، يجد أن أبا العباس قد لعب دورا بارزا في تنفيذ المعارك الحربية التى خطط لها والده أبو أحمد الموفق.

ولما انتهت هذه الثورة أرسل الموفق ولده أبا العباس أمامه الى

---

(١) الطبرى : تاريخ جـ ٩/ ٦٥١.
(٢) ن.م.س : جـ ٩/ ٦٥٢.
(٣) ن.م.س : جـ ٩/ ٦٥٢.

بغداد يحمل البشرى ومعه رأس صاحب الزنج (١) فاستقبله الناس بالشكر لله والمدح لابن الموفق وأبيه فزينت له البلاد وضربت القباب (٢). مما يوحي بأنه انما أراد أن يسجل له الفضل ويعزز من مكانته .

ويبدو أن انتصارات أبي العباس ومحبة الجند له والتفافهم حوله قد دفعته الى التفرد في اتخاذ القرارات أحيانا مما يشكل خرقا لمفهوم الالتزام والضبط والربط العسكرى ، كما جعلته يظهر بمظهر المتمرد على أوامر أبيه (٣). وعندما أمره والده أن يخرج الى بعض المناطق التي تقتضي ذلك حسب اجتهاده رفض أبو العباس تنفيذ ذلك، وأصر على التوجه الى الشام لأنها " الولاية التي ولاه اياها أمير المؤمنين ". فكان رد فعل الموفق أن أمر بحبسه في حجرة في داره ووكل به من يمنعه من الخروج (٤). وخرج الموفق الى اقليم الجبل لقتال أحمد بن عبد العزيز بن دلف فمرض هناك (٥)، وعاد الى بغداد بعد أن اشتد به المرض حتى أرجف الناس بموته، فأسرع القادة المتعاطفون مع أبي العباس الى اخراجه بعد أن كسروا أقفال الأبواب المغلقة عليه ، فلما علم الموفق بخروجه رضي عنه وأدناه منه وقربه (٦) بعد أن عاتب القادة الذين فعلوا ذلك وأوضح لهم

---

(١) الطبرى : تاريخ ج ٩ / ٦٦٣ ، مؤلف مجهول : العيون ج ٤ / ٣ / ١١٣.
(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص/ ٣٦٩ ، ابن الجوزى : المنتظم ج ٥ / ٧٠.
(٣) السامرائي : المؤسسات ص / ٣٩ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٧ / ٤٣٢.
(٥) الطبرى : تاريخ ج ١٠ / ١٦.
(٦) الطبرى : تاريخ ج ١٠ / ٢٠ ، ابن الأثير : الكامل ج ٧ / ٤٤٢.

انه انما أراد تقويمه [1] . ولما توفى أبو أحمد الموفق [2] اجتمع القادة وأمراء الجيش على أخذ البيعة بولاية العهد لأبي العباس أحمد بن الموفق ، فبايع الخليفة المعتمد على الله له بولاية العهد بعد ابنه المفوض فى ٢٢ صفر ٢٧٨ هـ/ ٨٩١ م ، ولقبه بالمعتضد بالله وأمر أن يخطب له على المنابر [3] . وأصبح للمعتضد بالله ما كان لأبيه من التصرف بشئون الدولة [4] . غير أن ذلك لم يرض طموح أبى العباس أحمد بن الموفق الذى كان يتطلع الى ازاحة جعفر بن المعتمد على الله من ولاية العهد لكي يتسلم منصب الخلافة بعد الخليفة مباشرة [5] . وقد تحقق هذا الهدف في محرم ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م اذ جمع الخليفة المعتمد على الله القادة والقضاة ووجوه الناس وأشهدهم على خلع ابنه المفوض من ولاية العهد وجعلها للمعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق [6] . والحق فان تنشأة وتقويم وتدريب وبروز شخصية أحمد بن الموفق كانت بفضل توجيه ورعاية والده أبي أحمد الموفق بالله الذى لم يكتف بما قدم من جهود وخدمات للأمة والخلافة ، وكأنما أراد أن يضيف في شخص ولده من يديم الخدمة وبذل الجهد والتضحية وذلك ما تمثل في عهد أبى العباس

---

(١) ابن حمدون : التذكرة ، ورقة ٢٠٤ ب .

(٢) توفي الموفق في ٢٢ صفر ٢٨٧هـ/ ٨٩١م. أنظر الطبرى : تاريخ جـ١٠/ ٢١ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٥ / ١٠٩ .

(٣) الطبرى : تاريخ جـ١٠/ ٢٨ ، ابن كثير : البداية جـ١١/ ٦٤ .

(٤) الطبرى : تاريخ جـ١٠/ ٢٢ ، المسعودى : مروج جـ٤/ ٢٢٩ ، مؤلف مجهول : العيون جـ ٤/ ١٣١ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٧/ ٤٤٤ ، أبوالفدا : المختصر جـ ١ / ٥٥ .

(٥) السامرائى : المؤسسات ص / ٤٠ .

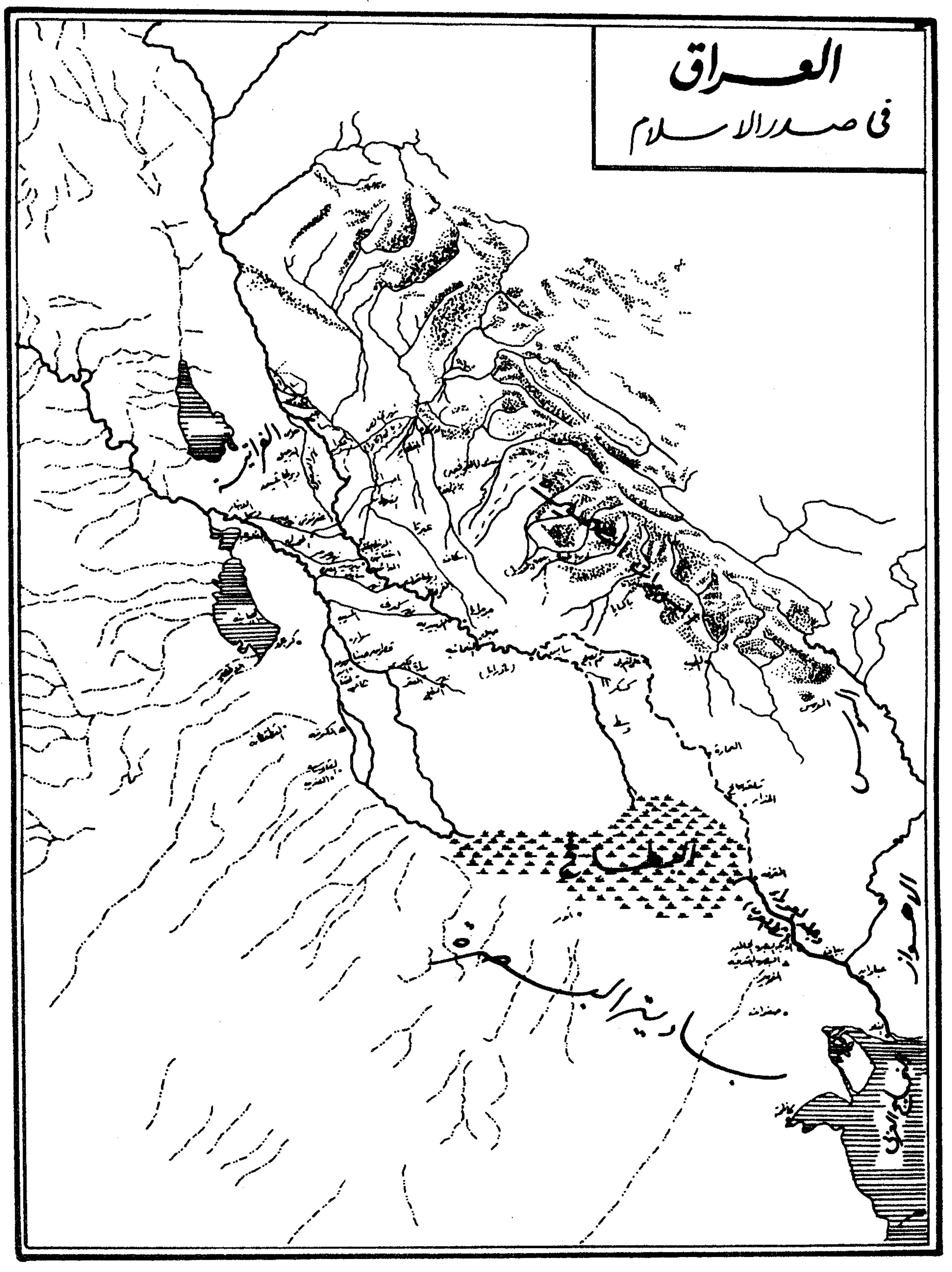
(٦) الطبرى : تاريخ جـ١٠/ ٢٨ ، ابن الأثير : الكامل جـ٧/ ٤٥٢ ، ابن العماد : شذرات جـ ٢/ ١٧٣ .

المعتضد بالله أمير المؤمنين الذى تولى الخلافة بعد وفاة عمه الخليفة المكتفى بالله .

وختاما أرجو من الله أن أكون قد وفقت فى اعطاء الموضوع حقه من البحث والاستقصاء . . وما التوفيق الا من عند الله . . .

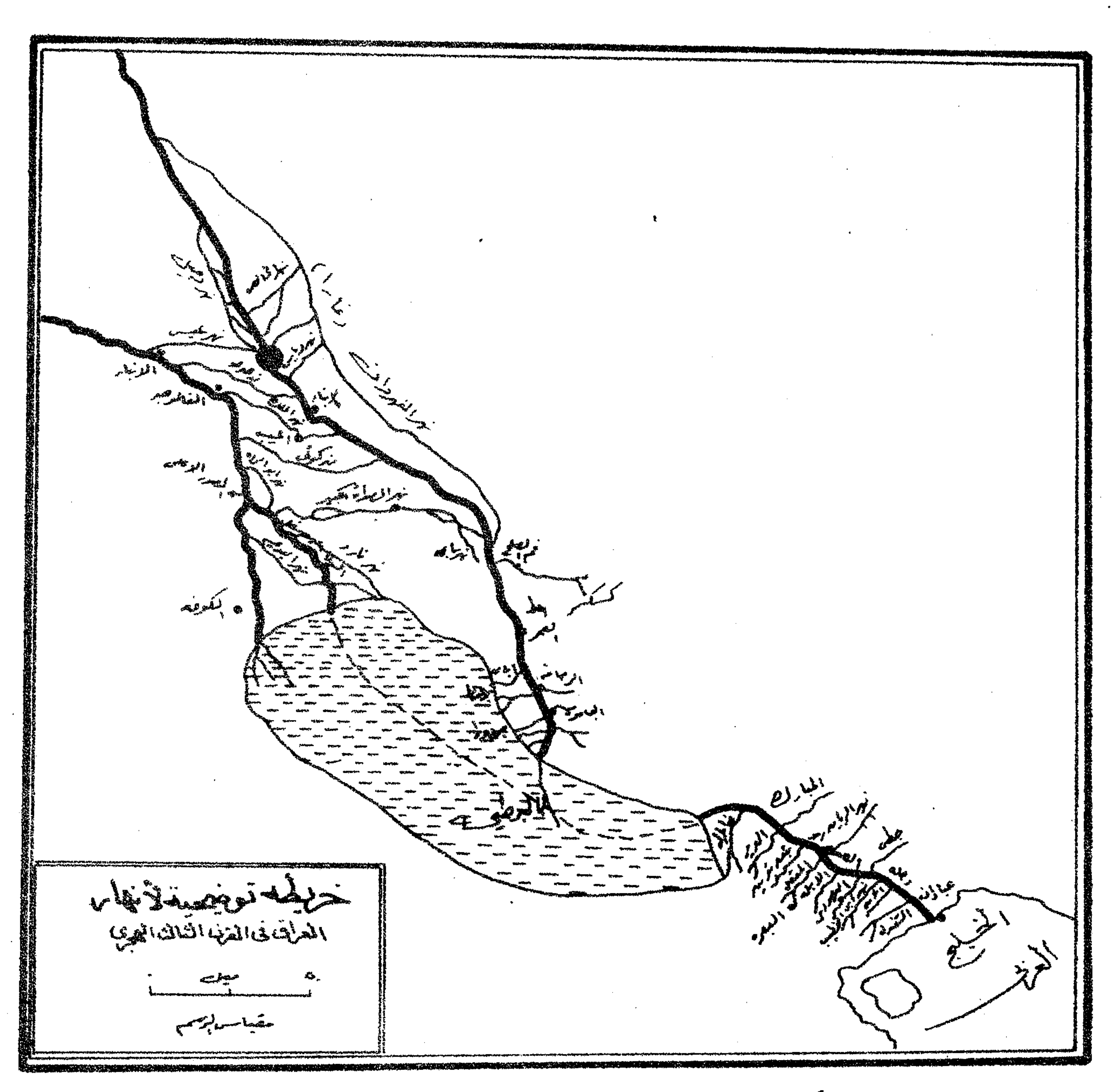
. . . . . .

ملحق الخرائط



نقلا من كتاب: محمد داود جودة «العرب والأرض في العراق في صدر الاسلام»

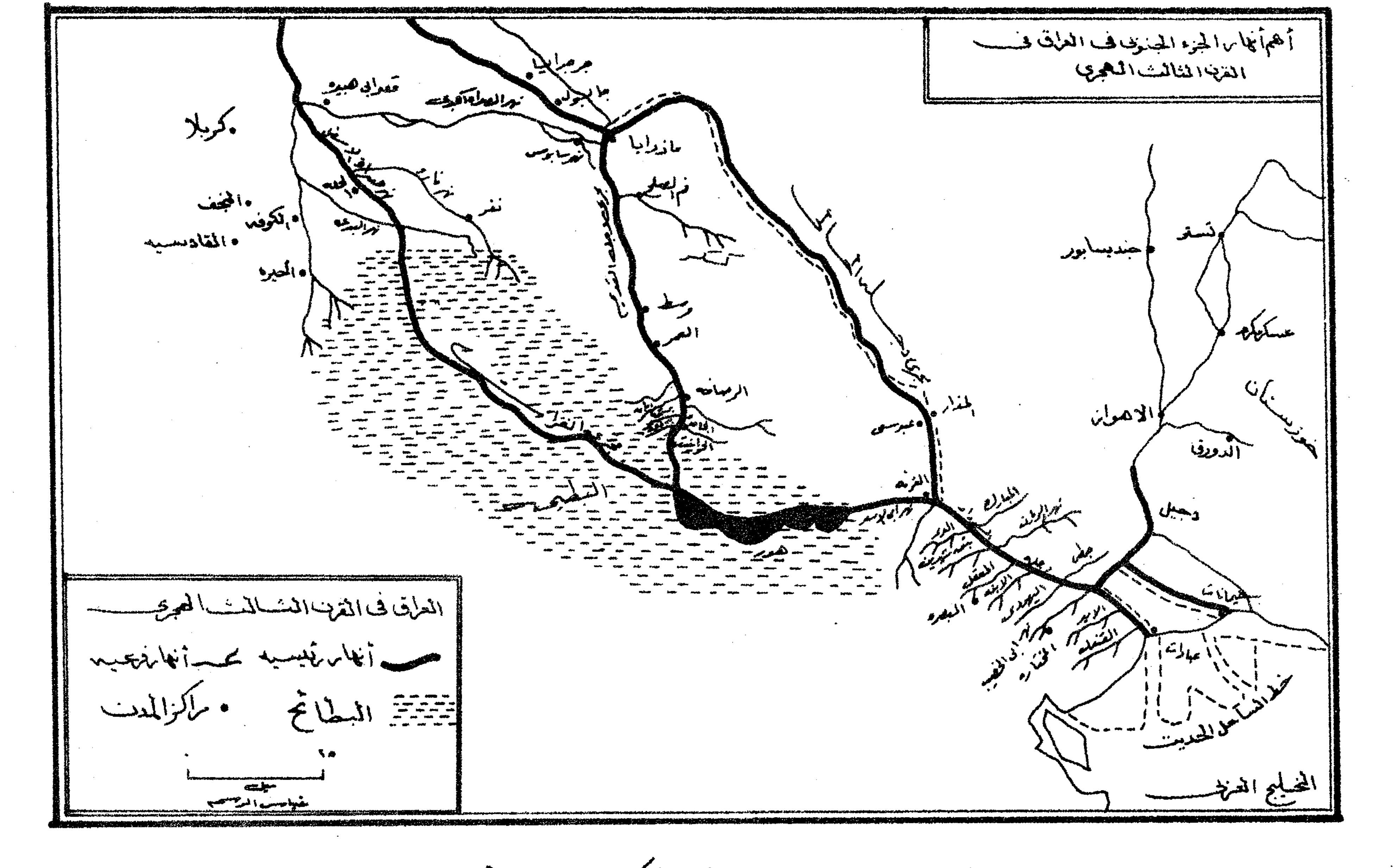
رقم (١)



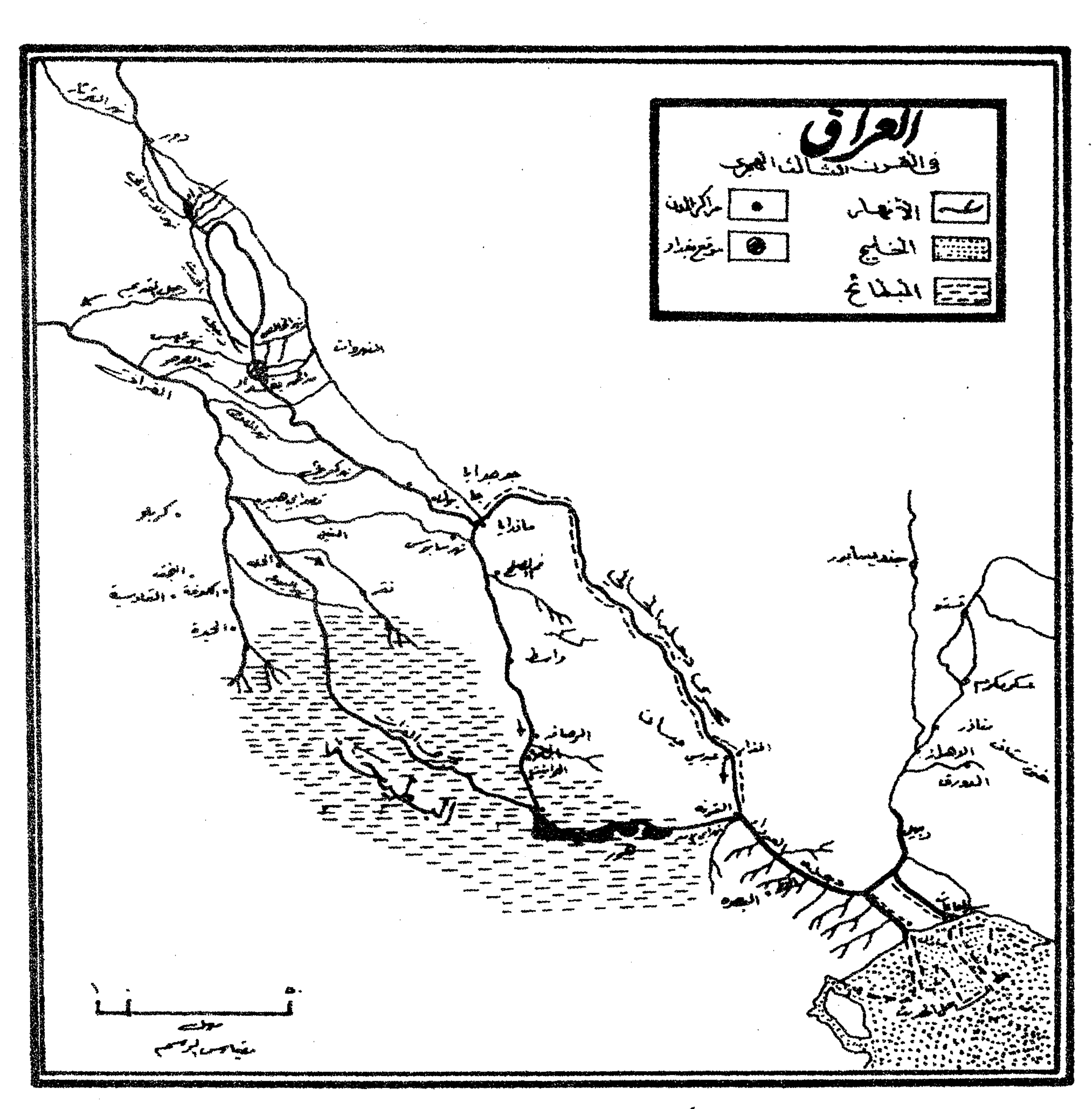
مقتبسة ومعربة من كتاب « الزراعة في العراق خلال القرن الثالث الهجري »

للدكتور السامرائي (بالانكليزية) (كتاب الزراعة في العراق)

رقم (٢)



اعدت على ضوء معلومات سهراب في كتابه عجائب الأقاليم
والاستعانة بخارطة الدكتور السامرائي كتاب الزراعة في العراق
رقم (٣)



نقلاً من كتاب فيصل السامر: ثورة الزنج

رقم (٤)

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجـــع

أولا : المخطوطات :

- ابن حمدون :

أبو المعالي محمد بن أبي سعد الحسن بن محمد بن علي بـــن حمدون (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م)

التذكرة في السياسة والآداب الملكية

المكتبة الأهلية - باريس رقم ٢٤٦٢ عربي

ثانيا : المصادر القديمة :

- ابن الابار :

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ /١٢٦٠م)

- الحلة السيراء

تحقيق حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦٣م.

- ابن الأثير :

عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيبانـــي (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

- الكامل في التاريخ ، ١٣ جزء

دار صادر ، دار بيروت ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥م

- اللباب في تهذيب الأنساب

دار الكتب المصرية ١٣٥٦

- الأربلى :

عبد الرحمن سنبط قنيتو الاربلى (ت ٧١٧هـ/١٣١٧م)

- خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك

تصحيح : مكى السيد جاسم ، بغداد ١٩٦٤

- الأصفهانى :

أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ/٩٦٦م)

- مقاتل الطالبيين

شرح وتحقيق أحمد صقر ، دار المعرفة - بيروت - لبنان

- الأصطخرى :

ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى الكرخي (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م)

- مسالك الممالك

تحقيق د . محمد جابر عبد العال الحينى

دار القلم - القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م

- البحترى :

أبو عباده الوليد بن عبيد الطائى البحترى (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م)

- ديوان البحترى ، ٤ أجزاء

تحقيق حسن كامل صيرفى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف - القاهرة .

- البلاذرى :

أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذرى البغدادى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)

- فتوح البلدان

نشره ووضع ملاحقه وفهارسه د . صلاح الدين المنجد

مكتبة النهضة المصرية .

- البلوى :

أبو أحمد عبد الله بن محمد المديني (من القرن الرابع الهجرى)

- سيرة أحمد بن طولون

تحقيق محمد كرد علي ، المكتبة العربية - دمشق .

- البيهقي :

ابراهيم بن محمد (ت في القرن الرابع الهجرى)

- المحاسن والمساوئ

دار صادر - بيروت ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م

- ابن تغرى بردى :

جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكـــــى

(ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٧٠م)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ جزء

طبعة دار الكتب - القاهرة

- التنوخي :

أبو علي المحسن بن علي بن أبي الفهم (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)

- جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٨ أجزاء

تحقيق عبود الشالجي

دار صادر - بيروت ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١م

- الفرج بعد الشدة ، ٥ أجزاء
تحقيق عبود الشالجى
دار صادر - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م

- الجاحظ :
أبو عثمان عمرو بن محبوب بن بحر (ت ٢٢٥ هـ / ٨٦٩ م)
- مجموعة رسائل الجاحظ
الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٢٤ هـ
- البخلاء
دار احياء التراث العربى - بيروت - لبنان .

- ابن الجوزى :
أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١م)
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ١٠ أجزاء
دار المعارف العثمانية - حيدر أباد ١٣٦٠ هـ

- أبن أبى الحديد :
عز الدين أبوحامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين (ت ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م)
- شرح نهج البلاغة ، ٢٠ جزء
تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦٠ م .

- ابن حزم :

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)

- جوامع السيرة

تحقيق : احسان عباس وناصر الدين الأسد

دار المعارف - القاهرة .

- الحصرى القيرواني :

أبو اسحاق ابراهيم بن على (ت ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م)

- زهر الآداب وثمر الألباب ، الجزء الأول

تحقيق على بن محمد البجاوى

دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.

- حمزه الأصفهاني :

حمزه بن الحسن (ت ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م)

- تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء

الطبعة الثالثة ، دار مكتبة الحياة - بيروت

- ابن حوقل :

أبو القاسم بن حوقل النصيبى (ت ٣٥٠ هـ / ٩٧٧ م)

- صورة الأرض

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

- الخطيب البغدادى :

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدى البغدادى

(ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١م)

- تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، ١٤ جزء
(ن٠م) المكتبة السلفية - المدينة المنورة

- ابن خلدون :
ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون
(ت ٨٠٨ هـ/١٣٧٨م)

- تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، ٧ أجزاء
مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م٠

- ابن خلكان :
أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) ٠

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ٨ أجزاء
تحقيق د ٠ احسان عباس
دار صادر - بيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م٠

- ابن دحيه :
أبو الخطاب عمر بن أبى على حسن بن علي (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م)

- النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس
صححه وعلق عليه : عباس الغزاوى
مطبعة المعارف - بغداد ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م ٠

- الديار بكرى :

حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٨٣ هـ / ١٥٨٢م)

- تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس

المطبعة الوهبية - القاهرة ١٢٨٣ هـ

- الدينورى :

أبو حنيفه أحمد بن داود بن ونند الدينورى (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥م)

- الأخبار الطوال

دار احياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٦٠م.

- الذهبى :

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى الدمشقى (ت ٧٤٧ هـ / ١٣٤٨م)

- دول الاسلام ، جزءان

تحقيق فهيم محمد شلتوت ، ومحمد مصطفى ابراهيم

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م

- العبر فى خبر من غبر ، ٤ أجزاء

تحقيق : صلاح الدين فؤاد السيد - الكويت ١٩٦١م.

- الرشيد :

القاضى الرشيد بن الزبير (ت فى القرن الخامس الهجرى)

- الذخائر والتحف

تحقيق د. محمد بن حميد الله

الكويت ١٩٥٩م.

- ابن الرومى :

على بن العباس بن جريج (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧ م)

- ديوان ابن الرومى

تحقيق د . حسين نصار

مطبعة دار الكتب ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

- الأزدى :

أبو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم (ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م)

- تاريخ الموصل

تحقيق د . على حبيبه

القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

- السيوطى :

جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥م)

- تاريخ الخلفاء

دار الفكر - بيروت

- حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة .

تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية القاهرة .

- سهراب :

ابن سرابيون

- عجائب الأقاليم السبعة الى نهاية العمارة

اعتنى بنسخه وتصحيحه : هانس فون مرثك

طبع فى مطبعة أدولف هولز هوزن - ڤينا ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م.

- الشابشتى :

أبو الحسن على بن محمد (ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨م)

- كتاب الديارات

تحقيق ونشر كوركيس عواد ، مطبعة المعارف - بغداد ١٩٥١م .

- شيخ الربوه :

شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى طالب الأنصارى الصوفي (ت ٧٢٧ هـ)

- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر

مكتبة المثنى - بغداد

- الصابى :

أبو اسحاق ابراهيم بن هلال بن زهرون (ت ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤م)

- المنتزع من كتاب التاجى

تحقيق وشرح د . محمد حسين الزبيدى ، مكتبة المثنى - بغداد ١٩٧٧م .

- الصابى :

أبو الحسن هلال بن المحسن بن هلال بن ابراهيم (ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦م)

- الوزراء أو تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء

تحقيق : عبد الستار فراج ، دار احياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٥٨م .

- الصفدى :

صلاح الدين خليل بن ايبك الدمشقى (ت ٧٦٤ هـ)

- الوافى بالوفيات

دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن (١٣٨١ هـ - ١٩٦١م)

- الصولى :

أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد الصولي البغدادى (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٧م)

- أخبار البحترى

تحقيق صالح الأشتر ، مطبوعات المجمع العلمى العربى - دمشق ١٣٧٨ هـ/١٩٥٨م.

- الطبرى :

أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد بن خالد الطبرى الآملى (ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م)

- تاريخ الرسل والملوك ، ١٠ أجزاء

تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف - القاهرة - طبعة الحسينية المصرية .

- ابن الطقطقى :

محمد بن على بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ)

- الفخرى في الآداب السلطانية والدول الاسلامية

دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦م

- ابن عبد ربه :

شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م)

- العقد الفريد ، ٨ أجزاء
الطبعة الثانية ، المطبعة الأزهرية - القاهرة ١٣٤٦ هـ/ ١٩٢٨م.

- ابن العبرى :
غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الططى (ت ٦٥٨هـ/١٢٨٦م)
- تاريخ مختصر الدول
المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٨٩٠ م

- العصامي المكى :
عبد الملك بن حسين (ت ١١١١ هـ)
- سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى ، الجزء الثالث - المطبعة السلفية - القاهرة .

- ابن العماد :
أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩هـ)
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ٨ أجزاء
منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت

- ابن العمرانى :
محمد بن على بن محمد المعروف بابن العمرانى (ت ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م)
- الأنباء فى تاريخ الخلفاء
تحقيق د . قاسم السامرائى ، لايدن ١٩٧٣م.

- ابن عنبه :

جمال الدين أحمد بن علي الحسني (ت ٨٢٨ هـ)

- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب

مطبعة دار الشعب - القاهرة

- الغزالي :

أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١م)

- احياء علوم الدين ، ٥ أجزاء

دار الفكر - بيروت

- أبو الفداء :

عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)

- تقويم البلدان

اعتنى بتصحيحه رينود اباك - كوكين د يسلان ، مكتبة المثنى - بغداد .

- المختصر في أخبار البشر

دار المعرفة - بيروت .

- ابن قتيبة :

أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)

- المعارف

الطبعة الثانية ، دار احياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م.

- القرمانى :

أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى (ت ٩٨٣هـ)

- أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ

عالم الكتب - بيروت

- القزوينى :

زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ)

- آثار البلاد وأخبار العباد

دار صادر - بيروت

- العسقلاني :

أحمد بن على بن حجر (ت ٨٥٢ هـ)

- فتح البارى بشرح صحيح الامام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ، ١٣ جزء

تصحيح واشراف عبد العزيز بن باز

دار الفكر - بيروت

- القلقشندى :

أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ)

- صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، ١٤ جزء

المطبعة الأميرية - القاهرة ١٣٣٨هـ ١٩١٩م .

- مآثر الانافة فى معالم الخلافة ، ٣ أجزاء

تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، الكويت ١٩٦٤م.

- الكازرونى :

ظهير الدين على بن محمد البغدادى (ت ٦٩٧ هـ)

- مختصر الدول من أول الزمان الى منتهى دولة بنى العباس

حققه وعلق عليه د. مصطفى جواد

الناشر: وزارة الاعلام - مديرية الثقافة العامة - بغداد .

- الكتبى :

محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م)

- فوات الوفيات والذيل عليها

تحقيق وضبط محمد محيى الدين عبد الحميد

مكتبة النهضة المصرية -

- ابن كثير :

عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ)

- البداية والنهاية فى التاريخ ، ١٤ جزء

الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف - بيروت ١٩٧٧م .

- الكندى :

أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م)

- الولاة وكتاب القضاة

تحقيق رفن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت -

١٩٠٨ م .

- ابن ماجه :

أبو عبد الله بن يزيد بن ماجه القزوينى (ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م)

- تاريخ الخلفاء

تحقيق محمد مطيع الحافظ ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

- المبرد :

أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ/٨٩٨ م)

- التعازى والمراثى

تحقيق : محمد الدياجى ، دمشق ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

- محى الدين بن عربى :

أبو بكر محمد بن على بن الحاتمى الطائى الأندلسى (ت ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م)

- محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار

تحقيق : محمد مرسى الخولى

دار الكتاب الجديد - القاهرة .

- المسعودى :

أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت ٣٤٦ هـ/ ٩٥٦م)

- مروج الذهب ، ٤ أجزاء فى مجلدين

تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد

دار الفكر - بيروت .

- التنبيه والاشراف

مكتبة خياط - بيروت ١٩٦٥م .

- ابن المعتز :

أبو العباس عبد الله المرتضى بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم العباسي (ت ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م)

- ديوان ابن المعتز

دار صادر - بيروت ١٣٨١ هـ - ١٩٦١م

- ابن مسكويه :

أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠م)

- تجارب الأمم ، الجزء السادس ، ملحق بكتاب العيون والحدائق فى أخبار الحقائق لمؤلف مجهول .

مكتبة المثنى بغداد .

- المقدسى :

شمس الدين أبو عبد الله محمد البشارى (ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧م)

- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم

الطبعة الثانية (ليدن) ١٩٠٦م .

- المقدسى :

المطهر بن طاهر (ت ٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م)

- البدء والتاريخ

طبع فى باريس ١٩١٦م

- المقريزى :

تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن أحمد (ت ٨٤٥ هـ)

- المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار

مطبعة بولاق - القاهرة ١٢٧٠ هـ .

- مؤلف مجهول : (من القرن السابع الهجرى)
- العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، الجزء الرابع - القسم الأول .
تحقيق : نبيله عبد المنعم داود
مطبعة النعمان ، النجف ١٩٧٢ م .

- ابن منظور :
جمال الدين أبو الفضل محمد بن جلال الدين أبو العز (ت ٧١١هـ)
- لسان العرب ، ١٥ جزء
دار صادر - بيروت ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م .

- ابن النديم :
أبو الفرج محمد بن اسحق (ت ٣٨٥ هـ/٩٩٥م)
- الفهرست
دار المعرفة - بيروت

- ابن الوردى :
أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٤ هـ)
- تتمة المختصر في أخبار البشر ، جزءان
تحقيق واشراف : محمد رفعت البدراوى
دار المعرفة - بيروت

- ياقوت :
شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومي البغدادى (ت ٦٢٦ هـ)

- معجم البلدان ، ٥ أجزاء
دار صادر بيروت ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م .
- معجم الأدباء ، ٢٠ جزء
دار احياء التراث العربي - بيروت

- اليافعي :
أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨ هـ)
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ٤ أجزاء .
الطبعة الثانية ، منشورات مؤسسة الاعلمي ، بيروت -
١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م.

- اليعقوبي :
أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ)
- تاريخ اليعقوبي ، جزءان
دار صادر - بيروت ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .
- مشاكلة الناس لزمانهم
تحقيق وليم طورد
دار الكتاب الجديد - بيروت

المراجع الحديثة :

- الباشا ، حسن
- دراسات في تاريخ الدولة العباسية
دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٧٥م.

- أمين ، أحمد
- ظهر الاسلام
الطبعة الرابعة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦م.

- بروكلمان ، كارل
- تاريخ الشعوب الاسلامية ، ٥ أجزاء
ترجمة د . نبيه أمين فارس ، ومنير البعلبكي
الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٥٤م.

- جوده ، محمد داود
- العرب والأرض في العراق في صدر الاسلام
عمان ١٩٧٩م.

- حسن ، ابراهيم حسن
- تاريخ الاسلام السياسي
الطبعة السابعة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤م.

- حيدر ، محمد علي
- الدويلات الاسلامية في المشرق
عالم الكتب - القاهرة .

- الخضرى ، الشيخ محمد
- تاريخ الأمم الاسلامية
المكتبة التجارية - القاهرة ١٩٧٠م.

- الدورى ، عبدالعزيز عبد الكريم
- دراسات في العصور العباسية المتأخرة
مطبعة السريان - بغداد ١٩٤٥م.

- الزافعي ، عبدالرحمن ، وسعيد عبد الفتاح عاشور
- مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتي الغـــزو العثمانــي
الطبعة الأولى ، دار النهضة المصرية ١٩٧٠م.

- السامر ، فيصل
- ثورة الزنج
الطبعة الثانية ، مكتبة المنار - بغداد ١٩٧١م.

- السامرائي ، حسام الدين
- المؤسسات الادارية في الدولة العباسية خلال الفترة (٢٤٧ - ٣٣٤ هـ)
مكتبة دار الفتح - دمشق ١٩٧٢م.

- سرنجاوى ، عبد الفتاح
- النزعات الاستقلالية في الخلافة العباسية
الطبعة الرابعة ، دار الكتب الأهلية - القاهرة ١٩٤٥م.

- سرور ، محمد جمال الدين

- تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتـراك الى منتصف القرن الخامس الهجرى

الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٧٦م.

- سزكين ، فؤاد

- تاريخ التراث العربى

ترجمة د . محمود فهمى حجازى ، د . فهمى أبو الفضل

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.

- أبو زهرة ، محمد

- تاريخ المذاهب الاسلامية فى السياسة والعقائد ، الجـزء الأول .

دار الفكر العربى - بيروت

- ضيف ، شوقي

- تاريخ الأدب العربى (العصر العباسى الثانى)

الطبعة الثانية ، دار المعارف - القاهرة .

- الطائى ، محمد بن خليفة بن محمد

- البصرة التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية

الطبعة الثانية ، منشورات مركز دراسات الخليج العربـــي ١٩٨٠م.

- عليى ، أحمد

- ثورة الزنج وقائدها على بن محمد

بيروت ، ١٩٥٩م

- علي، محمد كرد
- خطط الشام
الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٦٩م.
- الاسلام والحضارة العربية ، جزءان
الطبعة الثالثة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٦٨م.
- عمر ، فاروق
- بحوث في التاريخ العباسي
دار القلم للطباعة - بيروت ١٩٧٧م.
- الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية
الطبعة الثانية ، مكتبة المثنى - بغداد ١٩٧٧م.
- كاشف ، سيده
- سيرة أحمد بن طولون
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.
- متز ، آدم
- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، جزءان
ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ، الطبعة الرابعة ، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٧م.
- محمود ، حسن
- آسيا في العصور الوسطى بين الفتحين العربي والتركي
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.

- محمود ، حسن أحمد ، وأحمد ابراهيم الشريف

- العالم الاسلامي في العصر العباسي

الطبعة الثانية ، دار الفكر - القاهرة ١٩٧٣م.

- El-SAMARRAIE, Husam Qawam

- Agriculture in Iraq During the 3rd Century, A.H. Printed in Beirrut by HEIDELDERG PRESS LEBANON 1972.

•• ••